الشباب والمجتمع

أبعاد الاتصال والانفصال

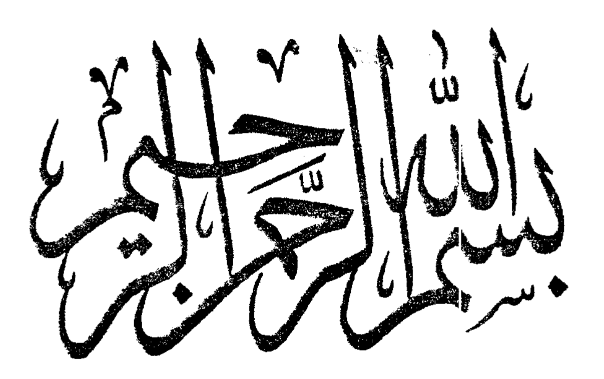
الشباب و المجتمع

أبعاد الاتصال و الانفصال

دكتور
علي ليلة
أستاذ النظرية الاجتماعية – جامعة عين شمس

٢٠٠٤

المكتبة المصرية
للطباعة والنشر والتوزيع
٣ ش أحمد ذو الفقار – لوران الإسكندرية
تليفاكس : ٠٠٢/٠٣/٥٨٤٠٢٩٨
محمول : ٠١٢٤٦٨٦٠٤٩


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بنهاية عقد الستينات أشرف النظام العالمى على حالة من الاستقرار التى ساعدت فى تأسيسها عوامل عديده. أولها الوفاق الدولى الذى تحقق بين القوتين العظيمتين بانتهاء عصر الحرب الباردة، وهو الوفاق الذى أدى إلى نتيجتين هامتين، الأولى سقوط بعض الأنظمة التقدمية فى مجتمعات العالم الثالث، والثانية هبوط فاعلية حركات التحرير فى العالم تارة بسبب الوفاق الدولى الذى تحقق، ومن ثم تدنى الدعم المعنوى المقدم لها من قبل القوى التى ترعى حركتها، وتارة أخرى بسبب إنخفاض الدعم المادى المقدم لها من قبل مجتمعات العالم الثالث التى تتعاطف وآمالها.

وعلى صعيد القوى العالمية اتجهت كل من هذه القوى إلى محاولة إعادة ترتيب بيتها الداخلى بعد أن فرغت من ممارسة الحرب الباردة التى جعلتها تقف فى أحيان كثيرة على حافة الحرب الساخنة. وكان منطقياً أن تتجه السلطة فى كل من المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية إلى إحكام سيطرة الدولة معنوياً ومادياً على المجتمع المدنى بشرائحه المختلفة، وخاصة شرائح الشباب، باعتبارهم أساس الحركة والطاقة ومصدر التوتر وإشاعة حالة عدم الاستقرار، وبدأ و من التأكيد على عمليات التنشئة الاجتماعية والصياغة النظامية للفئات التى يحتمل تمردها لخلق حالة من التكيف العميق داخل هذه المجتمعات تتلاءم مع حالة الوفاق بين القوى على صعيد النظام العالمى.

ولأن نظاماً عالمياً متماسكاً يسعى إلى تدعيم وحدته فإنه كان منطقياً أن تنعكس توجهات الميل إلى الاستقرار على صعيد مجتمعات العالم الثالث، فأمام حركة الوفاق تبعثرت أساليب الحركة فى مجتمعات العالم الثالث. بعضها بدأ يعيد حساباته وعلاقاته بالقوى العالمية التى اتجهت إلى الوفاق، بينما سقطت التجربة التنموية للبعض الآخر بسبب متغيرات داخلية تجاهلتها فى الماضى أو متغيرات خارجية طرأت عليها، بينما وقف البعض الثالث متربصاً فى خوف من أن يقع على أرضه ما حدث عند الآخرين، نتيجة

لذلك انكفأت مجتمعات العالم الثالث على ذاتها، إما خوفاً من الحركة خشية السقوط، أو فى محاولة البحث عن أساليب الإنطلاق من جديد بعد أن تحقق السقوط.

وقد كان منطقياً أن تكون شرائح الشباب هى الخاسرة من اتجاه النظام العالمى إلى هذا النوع من لاستقرار المفروض. أدرك الشباب فى المجتمعات المتقدمة أن الأنظمة السياسية بعد أن هدأت معاركها الخارجية، من المنطقى أن تتحول إلى الداخل لمحاولة أحكام السيطرة الداخلية كأحد أساليب إعادة ترتيب البيت الداخلى. ومن الطبيعى أن يكون الشباب هم المتضررون من ذلك. ومنطقياً أن يتوقعوا مستويات أعلى من القهر كلما اتجه النظام السياسى لأحكام السيطرة.

وقد كان من المنطقى أن يعى شباب حركات التحرير والتمرد نتائج هذه التوجهات العالمية على نضاله. فقد أدرك أنه مهدد بقطع الدعم المعنوى من القوى العالمية التى كانت تسانده. وبرز لديه يقين باحتمال تضاءل الدعم المادى، الذى قد يبخل به الجيران عليه، لأن أهل البيت أولى بموارده، ورأى سقوط الرفاق الذين كانوا يدعمون حركته من داخل العالم الثالث. هذا الشباب يتأمل بمشاعر الخوف والحيرة احتمالية أن تؤثر هذه التفاعلات على إختزال آمال نضاله. وانتابته الحيرة لقد قدم دماء كثيرة وما زال فى منتصف الطريق، وإذا كان فى قدرته - لاكتمل الطريق - أن يقدم التضحية، فإنه غير قادر على فرض تأمين استمرار دعم الآخرين له.

وفى مجتمعات العالم الثالث، شكل السقوط صدمة لشبابها. وبدأت تساؤلات كثيرة تظهر على السطح. لقد عانينا من الحرمان لتأكيد ثراء المجتمع وعافيته. لقد خفضنا طموحاتنا فى الإشباع لتزدهر طموحات المجتمع وآماله، لقد بذلنا كل الجهود الممكنة لدعم حركة البناء ودفع عجلة التنمية، فإذا كل المردودات سلبية ومتدينة. وفى قلب هذه الحالة المتأرجحة برزت تساؤلات كثيرة، هل هذه الحالة التى وصلنا إليها من التردى أسبابها

داخلية تستحق المساءلة أم أن عواملها خارجية مفروضة تستحق المواجهة؟ ومنطقى أن يحدث التوتر حينما يدرك الشباب أنه مقبل على حالة من الحرمان الفائض. لقد عانى الحرمان – عن رضى – ليؤسس البناء والتقدم والانطلاق، وعليه الآن أن يعانى من حرمان أعمق ليعالج آثار السقوط، نتيجة لذلك تلبدت سماء العالم الثالث بغيوم التمرد.

وفى قلب الأسى المفروض على كافة الأصعدة ظهرت ثورة الشباب على نظام عالمى يتلذذ – عن ساديه – بصناعة الكبت. بدأت الشرارة الأولى من جامعة نانانتير بفرنسا، بأهداف محدودة تتمثل فى ضرورة تحديث المناهج الدراسية، وخلق رابطة قوية بين مخرجات النظام التعليمى ومدخلات النظام الاقتصادى فى نطاق المهنة والعمل. وانتهت بأهداف ثورية شاملة، لها مضمون واحد، وإن اختلفت تجلياتها بإختلاف موقع الشباب على الخريطة العالمية.

ثار الشباب فى المجتمعات المتقدمه ضد المؤسسه الاجتماعية القائمة. ورأى فى المركب العسكرى – التكنولوجى المسيطر فى هذه المجتمعات آلية لفرض القهر على شرائح الشباب فى الداخل وقوى التحرر العالمية فى الخارج. فى مواجهة هذه المؤسسة رفع الشباب شعارات النضال والرفض والمطالبة بالحرية، وقد تجلى هذا الرفض فى السلوكيات التى تستهدف توسيع نطاقه من ناحية عن طريق السعى إلى التحالف مع القوى الاجتماعية المتضررة من النظام، كمحاولة جذب الزنوج والملونين. والفقراء والعاطلين عن العمل ليكونوا هم جنود النضال حينما تستوجب الضرورة ذلك، ومن ناحية أخرى الامتناع عن المشاركة فى الجهود التى قد تدعم النظام أو تضعف قدره قوى التحرر من الشباب العالمى على ممارسة النضال، مثلما فعل الشباب الأمريكى حينما رفض التجنيد فى الجيش احتجاجاً على الدور الأمريكى فى الحرب الفيتنامية، فى هذا الإطار تنوعت سلوكيات الشباب بين الرفض العنيف لممارسات النظام، وإعلان هذا الموقف

تطلب ذلك قدراً من التضحية. وبين إعلان عدم المشاركة فى التفاعل الاجتماعى من ناحية وبين الإنسحاب من الحياة الآثمة للمؤسسة الاجتماعية الحاكمة من ناحية ثانية، حدث الهروب إلى حالة الطبيعة، أولى الغابات بعيداً عن سيطرة المؤسسة الحاكمة، أو الهروب إلى العالم تخلقه الماريجوانا والحشيش، حيث تخف وطأة القهر ويتعمق الاستمتاع بالحرية فى عالم خيالى، أو الهروب إلى حالة من البوهيمية وممارسة الجنس، حيث الاستمتاع الماسوخى بقتل الذات، فهم مرضى وهم نتاج لمجتمع مريض.

فى المجتمعات الاشتراكية – كقوى عالمية متقدمة – كان للشباب دور مماثل وإن اختلفت فى طبيعته. فقد أدرك الشباب الاشتراكى التناقض الذى يغلف حياته، فهو قد تعلم فى الصغر – حسب التعاليم الماركسية – أن المجتمع الاشتراكى هو مجتمع المساواة فى امتلاك فرص الحياة والعمل والتعلم والمشاركة فى اتخاذ القرار. غير أنه حينما امتلك وعيه أدرك أن الأمور تسير بما يخالف نقاء التعاليم. أدرك أن الأحزاب الاشتراكية قلاعاً تنظيمية حصينه من الصعب اختراقها واكتساب عضويتها. بحيث أدى ذلك إلى خلق تفاوت بين الاشتراكيين القياديين من ناحية، وبين عموم الشعب الاشتراكى من ناحية ثانية، وهى مقولة جديدة لا محل لها من التعاليم الماركسية. وبدلاً من أن تصبح الأحزاب الاشتراكية صفوانا للقيادة نحو تحقيق المجتمع الشيوعى، تراجعت لكى تصبح وسائل لممارسة القهر والكبت.وأصبح الإنسان فى المجتمع الاشتراكى موضع شك ورقابة. فى مواجهة هذا الموقف مارس الشباب السلوكيات الاشتراكية الظاهرة، بمشاعر عدائية كامنة نحوها.

أدرك الشباب أيضاً أنه فى مواجهة لامتيازات التى يمتلكها البعض يبرز الحرمان المفروض على البعض الآخر، الامر الذى أدى إلى افتقاد المثل الاشتراكية لمعانيها النقية والطاهرة. يضاف إلى ذلك وعى الشباب بأن ثمة تحالف قائم بين الجهاز البيروقراطى الذى يتولى تنظيم الجماهير والتعامل

مع شئونها، وبين التنظيم الحزبى الذى يتولى قيادتها وتعبئتها. وأنه إذا كان الشباب الأمريكى يعانى من المركب العسكرى - التكنولوجى فإن الشباب الاشتراكى يعانى من المركب البيروقراطى - الحزبى. غير أنه بسبب السيطرة الكاملة والشاملة، وبسبب الكبت المفروض، عاش الشباب الاشتراكى حالة من الثورة الصامتة التى تنتظر أدنى تسامح من المركب القادم لكى تنفجر إعصاراً يدمر كل شئ*.

وحينما حدث الوفاق، تسرب الاعلام والإعلان العربى إلى المجتمعات الاشتراكية وتراخت قبضة النظام المسيطر، بحيث تزامن ذلك مع ضغط الشباب من الداخل من أجل قدر من الحرية وقدر من الإنفراج. وأمام هذه الضغوط وقف النظام فترة حائراً فى جمود، يعتقد أنه قادر على السيطرة، غير أنه أمام ضغط الشباب والجماهير إنجنى لرياح الإصلاح والتغيير، وتحولت الثورة الصامتة إلى ثورة صريحة ومدويه أتت على طغاه وآلانت عريكة آخرين.

وأمام سقوط بعض الأنظمة وعجز البعض الآخر بدأ شباب العالم الثالث يستلهم شعارات ثورة الشباب فى العالم المتقدم. وإن كان بمضمون مختلف. حيث قاد الشباب مظاهر التمرد والعنف تارة بسبب عجز الأنظمة السياسية عن تحديد طريق واضح ومحدد تندفع فيه التنمية، الأمر الذى أدى إلى آنتكاستها فى النهاية، وتارة أخرى بسبب الحرمان من المشاركة، واحتكار الكبار سلطة إصدار القرار، بينما الشباب هم المتحملون لآثار القرار تمخض عن آثار سلبية، وتارة ثالثة لأنهم رأوا أن سنوات الشباب معدودة فى العمر، تضيع من بين أصابعهم بسبب مشاعر الحرمان المحيطة بهم، والتى تكثف طاقات العذاب التى يعرضون لها. أمام هذا الموقف قد يتجه الشباب

* طرحنا هذا التوقع فى الطبعة الأولى قبل أن ينهار الاتحاد السوفيتى القديم. وقد صدقت توقعاتنا حينما حدث الإنهيار الهائل بسبب التسامح الديمقراطى الذى سمحت به القيادة السوفيتية بقيادة الرئيس السوفيتى السابق جورباتشوف. فبإعلانه لفلسفة البيروسترويكا والجلاسونست، فتح الباب أمام التوترات المختزنة التى شكلت إعصار عصف بالبناء جميعه.

لممارسات العنف والرفض مدمراً الأصول المادية لمجتمعه، أو ينصرف إلى عالم آخر، قد يكون هذا العالم ساحة للانتظار من أجل الوثوب من جديد على المجتمع والثورة عليه، أو الغياب عن المجتمع، تحت وطأة مشاعر اليأس، فى عالم وردى تثير خيالاته اشباعات يعجز عنها عالم الواقع. ينصرف الشباب الأول إلى الدين كساحة للانتظار والتجمع من أجل مسيرة الخلاص، بينما ينصرف الشباب الثانى من خلال المخدرات إلى عالم خيالى ينتظر المخلص والخلاص.

وبسبب انتشار حركات الشباب فى كل مكان، تدرك حركات التحرر الوطنى أنها أمام رياح جديدة تأتى بما تشتهى السفن، وأن شباب العالم بروحه قد بدأ يدعم نضالها، واكتسب نضالها نتيجة لذلك قدرة عالية على تجسيد الخيال. تحول إلى طاقة متسامية على التضحية من أجل المثل. فى الأولى حركات التحرر نقل ساحة القتال إلى قلب مجتمعات القوى الأمبريالية ليتسنى لجيوش الشباب فى الداخل أن تلعب دورها مثلما فعلت حركة تحرير ڤيتنام. قمة الانتصار أن يدافع الشباب الأمريكى عن وجهة النظر الڤيتنامية فى قلب مدرجات الجامعات الأمريكية. وفى الحالة الثانية أدركت قوى التحرر ضروره تكثيف التضحية من أجل المثل، ليصبح الرصاص شعاراً والموت خلاصاً من أجله. أليس ذلك هو ما فعله تشى جيفارا وأكدته ملحمة النضال فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وتكتب الانتفاضة الفلسطينية بالدماء سطوره الآن.

وفى قلب الغليان تساءل الباحثون التابعون لتفاعل المجتمع: هل نحن أمام ظواهر تمرد وعنف يمارسه الشباب استجابة لممارسات القمع والكبت بغض النظر عن اختلاف المستوى والمكان، أم أننا فى مواجهة ثورة عالمية تتوفر لها كل أركان الثورة، وأنها إذا لم تنجح الآن فلسوف تنجح حتما فى المستقبل. إما بسبب الخبرة المتولده عن التجريب الثورى، أو بسبب ضعف

المؤسسات المسيطرة. ومن جانبنا نؤكد أننا أمام ثورة شبابية محتملة لأن شروطاً ثلاثة قد توفرت.

ويعتبر توفر أيدويولوجيا وثقافة الشباب هى الشرط الأول لقيام هذه الثورة، حيث تلعب الثقافة والأيديولوجيا وظيفتين. الأولى أنها تخلق المجتمع الشبابى وتؤكد على تماسكه الداخلى، البرهنة على ذلك أن أغانى الشباب وموسيقاه متماثلة، والجينز هو الزى الغالب والموحد. والموقف متماثل من مؤسسات الضبط والسيطرة. بينما تتحدد الوظيفة الثانية للايديولوجيا فى تشخيصها للمجتمع الذى ينبغى أن يكون، المجتمع المتحرر من القهر والكبت، المجتمع الذى يتيح مساحة للمشاركة فى إصدار القرار، والذى يمتلك القدرة على توفير الفرصة لاشباع حاجات الشباب، وبين عذابات ومعاناة ما هو كائن وأحلام ما ينبغى أن يكون، يتأسس شوق صوفى قادر فى لحظة على الانسحاب إلى عالم آخر وخاص، بينما هو فى لحظة أخرى من خلال العنف قادر على تجاوز الفجوة التى تفصل بين ما هو كائن عن ما ينبغى أن يكون.

وتعتبر القابلية الجماهيرية للإنجذاب لمثل الايديولوجيا وقيم الثقافة هى الشرط الثانى، باعتبار أن هذه المثل والقيم تقدم وعداً بالاشباع المحتمل. وفى اطار الشباب يصبح الارتباط بهذه الثقافة والايديولوجيا هو الآلية التى تخلق تجمعاً هائلاً يشكل الشباب جمهوره الأساسى. قد يبدأ بقطاع الشباب المثقف غير أنه يستمر فى التعاظم والتنامى ليضم قطاعات شبابية جديدة، من بين شباب الفلاحين، والعمال وطلبة الجامعة، ولأن هذه الايديولوجيا تتناقض والثقافة السائدة فى المجتمع تلك التى تفرض على أعضائه قدراً متزايداً من الحرمان، فإنه من المنطقى فى اللحظات الحاسمة أن تكون الايديولوجيا والثقافة الشبابية ليست جاذبة للشباب فقط، ومعينه له، ولكنها قادرة كذلك على استمالة فئات أخرى إلى معسكر الشباب، كالفقراء، والمقهورين، وسائر الجماعات الخارجة على النظام.

وتعتبر حالة النظام السياسى فى المجتمعات التى تمارس القهر على

الشباب شرطاً ثالثاً لنجاح الثورة أو الحركة الشبابية. فإذا كان النظام قهرياً وغير متوازن لا يتيح أى قدر من الحركة والمشاركة فإنه يشكل عاملاً أساسياً يساعد على انجاح الثورة أو العنف الشبابى، أما إذا كان مراوغاً يتيح قنواتاً مظهرية للمشاركة فإنه بذلك يؤر عنف الشباب، أو يؤجل مرات تحول وقائع العنف المتناثرة إلى ثورة شبابية شاملة. البرهنة على ذلك ما تؤسسه الأنظمة الرأسمالية من سياسات للتعامل مع الشباب بحيث أوقفت العنف وحولتها إلى مجرد ظواهر تمرد ورفض، من الصعب أن تتحول إلى ثورة، وما تبنته الأنظمة الاشتراكية من سياسات وممارسات ساعدت على تحول مشاعر التمرد والرفض إلى ثورة أتت على أسس النظام، ما حدث فى رومانيا والكتلة الاشتراكية يعتبر مثال على ذلك.

لا نقصد بالقول بثورة الشباب أن يخلق الشباب نظاماً يحكمه الشباب. ولكن ما نقصده أن يدمر الشباب مجتمعاً يفرض القهر والحرمان والمعاناة على البشر فى اطاره، ليخلق مجتمعاً أقرب ما يكون إلى مثل الشباب، وإن لم يقتصر على إشباع حاجاتهم، مجتمعاً لا وجود لممارسات القهر فيه، يشارك الجميع عن دميقراطية وغيرية وتضامن فى اتخاذ القرار الذى يدعم الصالح العام. ترتفع فيه شعارات الحرية، وتتجسد قيمها فى اطاره. لكن من المؤكد أن الشباب سوف يشكل رأس الحرية دائماً، فى الجهد الثورى الذى يتولى تأسيس هذا المجتمع.

لكل هذه الاعتبارات تناولنا قضية الشباب بالبحث والدراسة من خلال المؤلف الذى أقدمه الآن، والذى يشير عنوانه إلى ثلاثة ظواهر نعايشها ويعيشها الشباب، وهى ظواهر التغير والأحياء الدينى والعنف.

وفيما يتعلق بظاهرة التغير ندرك منذ البداية أن التغير يعتبر الصيغة أو التفاعل التى تعيشه مجتمعات النظام العالمى المعاصر بفاعلية، وهو التفاعل الذى نعتقد أن الشباب يلعبون دوراً أساسياً فى اطره، وذلك لاعتبارات كثيرة. منها أن الشباب أقل التزاماً بالثقافة والتقاليد التى تنظم تفاعل الحاضر. ذلك

لأن الشيوخ هم الأكثر التزاماً بها، فروابط الشباب واهية بالماضى، غير أننا نجدهم فى مقابل ذلك لديهم إيمان بالحاضر والمستقبل. ومن هذا المنطلق يتبلور الميل إلى التغير. فهم من ناحية قد يدركون إنحرافات الحاضر وفساده، وضروب القهر والكبت المفروضة عليه، ومن ثم تظهر الدعوة – استجابة لذلك – بضرورة التحرك من أجل التغيير والقضاء على كل ما يشوه الحاضر. غير أنهم من ناحية أخرى قد يأملون أن يكون المستقبل متجاوزاً للحاضر ومتفوقاً عليه، ومن ثم تظهر الحاجة ماسة إلى بذل الجهد لبناء الحاضر إنطلاقاً إلى المستقبل، أو السعى بعنف لتدمير الحاضر والقضاء عليه من أجل فتح الطريق نحو المستقبل. ويصبح التغيير هو الشعار الذى يحكم تفاعلات عملية الانتقال، إضافة إلى ذلك فعلاقة الشباب بعملية التغيير قوية وعضوية، من ناحية لأنهم أصحاب القدرة على بذل الجهد من أجل التغيير، ومن ناحية ثانية لأنهم فى تكوينهم البيولوجي والنفسى والاجتماعى يمثلون مرحلة تغير وانتقال فى تاريخ الشخصية الإنسانية. من هنا كان الشباب دائماً هم الحاضرون أبداً بين كل الداعين إلى التغيير أو الذين يعملون على تجسيد شعاراته.

وتتعلق الظاهرة الثانية التى وردت فى عنوان هذا المؤلف بظاهرة الأحياء. ونحن نعتقد أن الأحياء نوع من التغيير أو بالأصح الدعوة إلى التغيير. ويتم الاحياء فى الغالب من خلال التراث، وإذا كانت ظواهر الاحياء من الظواهر التى كان لها وجودها فى مختلف المجتمعات، فإنها فى المجتمعات الإسلامية بدأت تلعب دوراً وجودياً وبنائياً، ويكشف تأمل عملية الاحياء أن الشباب لا يرغبون من خلاله العودة إلى الماضى، فأعتقد أن ذلك أبعد ما يكون عن روح الشباب، وإذا كان من الممكن أن يتمسك الشيوخ بالماضى فإنه من المستحيل أن يكون ذلك هو توجه الشباب. وليس من المنطقى كذلك أن يقود الشباب تطوراً إلى الخلف. فذاك يتناقض مع قوانين الطبيعة والتطور. يحاول الشباب من خلال الاحياء الدينى بالتحديد بعث مثل المجتمع العظيم وقيمه، وليس شكل المجتمع القديم وواقعه.

ويعتبر العنف هو الظاهرة الثالثة التى تصدى لها هذا المؤلف لأنه يعد من الظواهر المرتبطة بالشباب، من ناحية لأنهم أطهار ومباشرون حتى لو زدت الطهارة والمباشرة إلى الصدام، وهم فى ذلك على عكس الشيوخ الذين زودتهم خبرة السنين بالقدرة على المناوره والالتفاف لتحقيق الهدف. من ناحية ثانية فالشباب حساس، متوتر وقلق، طاقات التكيف السلبى متدنية لديه، ومن ثم إذا تواجد ما يثير حساسيتهم ويفجر طاقات القلق والتوتر لديهم، فالاستجابة بالعنف تصبح المطية الملائمة.

وأخيراً أتمنى بهذا الجهد أن أكون قد وفقت فى طرح المسألة الشبابية على الصعيد الإنسانى والعربى والمحلى من منظور أشمل، وآمل أن تلقى هذه المحاولة قبول الجماعة العلمية، حيث أعتقد أن القبول هو الشرعية الحقيقيه لأى باحث ينبغى أن تكون له مكانة فى اطار هذه الجماعة.

لا أنهى مقدمتى لهذه الدراسة قبل أن أتوجه بالشكر والاعتراف لصديقى الدكتور شحاته صيام الذى تحمل عن كرم عبء متابعة إخراج هذا المؤلف إضافة إلى أفكاره الشبابية التى إستندت إليها فى إجراء تعديلات عديدة أشكره وجزاه الله عنى كل خير.

واستناداً إلى طبيعة التكوين الديموجرافى لغالبية مجتمعات العالم الثالث احتلت الشريحة الشبابية مكانة هامة فى أبنيتها الاجتماعية. وترجع هذه الأهمية لثلاثة عوامل. أولها : أن شريحة الشباب تمثل القطاع السكانى الغالب فى مجتمعات العالم الثالث. إذ يصل حجمهم فى المجتمع المصرى مثلاً إلى نحو ٥٨ ٪ من سكان المجتمع. وإذ كانوا هم الأغلبية فهم المحتملون لأعباء العملية الإنتاجية فى المجتمع، وعلى أكتافهم تلقى مسئولية استمرار المجتمع إلى جانب ذلك فهم أصحاب الحق فى تحديد مستقبل المجتمع وتلمس السبل التى يمكن أن تسلم إليه. ويتمثل العامل الثانى فى أن شريحة الشباب هى الشريحة الأكثر احتياجاً لعطاء المجتمع وإيجابيته. فهى مرحلة التفتح للإشباع لأنها البداية الحقيقية للدخول فى عالم البالغين وتحمل

مسئولياتهم. فهم فى حاجة إلى المسكن وإلى فرصة العمل الملائمة ومستوى الدخول التى تيسر ممارسة الحياة. ومن هنا فإذا لم تشبع الحاجات، فإن القطيعة أو الخصومة قد تحل بين الشباب والمجتمع، هى حالة لها آثارها الممزقة أو المدمرة للإثنين معاً. ويرتبط العامل الثالث فى أنهم الشريحة الأكثر وعياً فى المجتمع، ربما لأنها التجمع - خاصة شباب الجامعة - الأكثر تثقيفاً أو تعليماً، أو لأنهم الأكثر متابعة لحركة المجتمع وارتباطاته المتنوعة، ومن ثم فهم الأقدر على التقييم، أن نقداً أو مباركة، ولذلك إثارة على إنقسام الشريحة الشبابية على نفسها أحياناً. نستنتج من ذلك أن مكانة هذه الشريحة مؤكدة فى بناء المجتمع. ومن ثم فهى الأكثر قدرة على إشاعة القلق والتوتر، أو التأكيد على حالات الوحدة والاستقرار.

ويستند إبراز أهمية هذه المكانة إلى متغيرات كثيرة ومتنوعة. وفى هذا الإطار تثار قضية. ما هى المتغيرات الأولى بالاهتمام إذا حاولنا فهم المسألة الشبابية؟ البعض يؤكد أن الشباب ليس شريحة محلية أو عربية ولكنها شريحة عالمية موجودة فى كل المجتمعات لها خصائصها الواحدة، فهى تشكل مرحلة انتقالية فى عمر الإنسان، ثم هى ضعيفة روابطها بالماضى ولديها نفس الشوق تجاه المستقبل. لها أيضاً مواقفها المتشابهة فهى رافضة فى غالب الأحيان- إذا امتلكت الوعى - للنظام القائم. ثم أن لها صراعاتها مع أجيال الكبار. يضعف الصراع إذا عفت تقاليد المجتمع، ويشتد أواره إذا تجمدت هذه التقاليد، إضافة إلى تماثل المعاناة التى تخضع لها. إذ يمثل الشباب المرحلة العمرية التى تتعمق احتياجات الإنسان خلالها، يحتاج أثناءها الشاب إلى وسائل البالغين لممارسة الحياة، يحتاج إلى المسكن، إلى العمل والدخل، إلى تشكيل أسرة. وتخفت المعاناة إذا امتلك المجتمع الوفرة القادرة على توفير هذا الاشباع وقدمه عن طواعيه ورعاية، وتتكثف الآلام إذا كان المجتمع فقيراً وعاجزاً عن توفير ما يشبع هذه الاحتياجات. الحالة

الأولى تدفع إلى التكيف وتدعم الرابطة العضوية بين الفرد والمجتمع، بينما تؤدى الثانية إلى الرفض والتمرد، وضعف الانتماء.

ترتيباً على ذلك يؤكد هذا الفريق أن المتغيرات الفاعلة فى عالم الشباب هى متغيرات عالمية بالأساس، فهناك ثقافة للشباب، جوهرها رقصات الروك أندرول، وموسيقى الجاز، والجينز كملبس يميز عالم الشباب، كلها عناصر فى ثقافة واحدة يميل إليها الشباب بغض النظر عن التوجه الأيديولوجى للمجتمع أو مستوى التقدم الذى تحقق لهذا المجتمع.

هناك وسائل الاتصال والمواصلات التى تغذى فى مختلف المحليات عالمية الثقافة وعالمية القضايا كذلك. من خلالها يعيش البشر فى هذه المجتمعات اهتمامات عامة وشاملة. والشباب بحكم تكوينهم هم أكثر الفئات إيثارية وإنفعال بما هو عام، والتخلى عن ما هو أنانى وخاص. ولا شك أن عالمنا مقدم على مرحلة سوف تتحطم حواجز الحدود وتنهار أمام طلقات الإعلام والإعلان، ولنا أن نتوقع حجم النتائج التى سوف تتخلق عن ذلك.

هناك القضايا العالمية ذات الأهمية والحساسية بالنسبة للشباب، حيث تعتبر هى الأخرى متغيرات فاعلة فى عالمهم، ولقد كانت الحرب الفيتنامية فى الستينات هى التى أشعلت مشاعر الحماس والبحث عن الحرية والمطالبة بالاستقلال لدى الشباب. لم يكن الشباب الفيتنامى هو الذى نادى بذلك، بل كان الشباب الأمريكى هو الذى شكل جماعة للضغط على نظامه المعتدى، تاركاً نظيره الفيتنامى متفرغاً لإدارة الحرب والصراع. ومنذ هذا التاريخ وعالمنا متخم بالقضايا ذات الطابع الإنسانى التى سقطت فى سبيلها رموزاً إنسانية شبابية أو لاقت العذاب. نذكر منهم تشى جيفارا، باتريس لومومبا ونيلسون مانديلا الذى ألهب حماس مشاعر الحرية أخيراً.

فى مواجهة ذلك هناك موقفاً آخر يؤكد على محلية المسألة الشبابية. يذهب هذا الفريق إلى إبراز خداع النظام العالمى الواحد، والشريحة الشبابية

العالمية الواحدة التى ترتبط به. إضافة إلى ذلك لا ينكر أحد الفجوة الواسعة التى تفصل المتقدم عن المجتمعات المتخلفة، وهى الفجوة التى مازالت تتزايد باتجاه العمق والاتساع. وإذا كان هناك من يؤكد على عالمية المسألة الشبابية استناداً لفاعلية وسائل الاتصال والاعلام. فإننا نجد أن الواقع المادى لمجتمعات العالم المتخلف يقضى على أية فرصة للالتقاء. وإذا قلنا أن بعض شباب العالم المتخلف يرقصون على سماع موسيقى الجاز، أو يلبسون الجينز، فإن ذلك أولاً فى حدود قلة لا تعبر عن الشريحة المحلية بكاملها، ثم هى بالتأكيد قلة تنتمى لشريحة طبقية هى الطبقة البرجوازية ذات الصلة العضوية بالبرجوازية العالمية، تسعى إلى اكتساب أو تبنى أساليبها فى الحياة، فهى جزر ضيقة غريبة على مجتمعاتها وغير متجانسة معها.

يتأكد ذلك أننا إذا تأملنا الشرائح الشبابية للعالم المتخلف فإننا نجد أنها تعانى من قضايا لا يهتم بها شباب العالم المتقدم، فمثلاً قضايا المجاعات والأوبئة وكوارث الطبيعية التى تحل بالعالم ولا يملك درعاً واقياً منها، تعتبر من القضايا التى توتر وتؤرق خيالهم، وتجعل البحث عن الجينز أو موسيقى الجاز ترفا يصل الاستماع به إلى حد الخيانة لمشاعر المجتمع.

يعانى الشباب فى هذه المجتمعات من قضية التقاليد الراسخة، التى تكبل حركتهم من ناحية وتعوق التنمية الاجتماعية الاقتصادية لمجتمعاتهم من ناحية ثانية. حيث تخلق فى هذه المجتمعات وضع نال الشباب من خلاله حظاً من التعليم والانفتاح على العالم الخارجى، بينما كان خظ الشيوخ أقل، ونتيجة لذلك فرض الصراع الجيلى نفسه واضحاً. وتعقدت الأوضاع حينما قدر على شباب العالم المتخلف أن يشاركوا – إضافة إلى ذلك – فى الصراع الاجتماعى حول المسألة الاجتماعية والعدل الاجتماعى. فى نطاق ذلك يقود الشباب معركة مركب من المتخاصمين، فهم فرسان فى صراع الأجيال مع الشيوخ، وهم الذين يناضلون ضد البرجوازيات المحلية الشرهة لكى تكف عن استغلال مجتمعاتنا لصالح البرجوازية العالمية، وهم

المتمردون دائماً على المؤسسة الاجتماعية وعلى رأسها المؤسسة الحاكمة، تارة حول خيارات التوجه الأيديولوجى الذى يقود التنمية، وتارة أخرى ضد الفساد وعدم الفاعلية، وتارة ثالثة رفضاً لتسلط وبحثاً عن الحرية وعن حقوق الإنسان.

والحقيقة دائماً – على ما يؤكد فيبر – لا يمكن أن تكون من طرف واحد أو من رؤية مستقطبة، وإنما هى نتاج بين العلمية والمحلية فكلاهما لمتغيراته فاعلية وتأثير. والمعتقد أن الفكر الاجتماعى قد تجاوز مرحلة القول بنسبة الحقيقة لفاعلية متغير واحد، وأصبح التأكيد واضحاً على فاعلية جمع من المتغيرات التى تعتبر الحقيقة نتيجة لتفاعلها. ويصبح المطلب الذى ينبغى أن يتجه إليه البحث هو تحديد الوزن النسبى لاسهام كل متغير من المتغيرات.

ذلك سوف نحاول القاء الضوء عليه فى مجموعة الفصول التالية. إضافة إلى إلقاء الضوء على طبيعة العناصر أو المقومات التى تشكل بناء الشخصية، وكذلك الخصائص التى تميز هذه الشخصية، وتفصلها عن الأنماط الأخرى، ثم طبيعة المشكلات التى تواجهها الشخصية الشابة سواء فى اطار البيئات الاجتماعية والثقافية المحيطة أو تلك التى تتعلق بالسياق الاجتماعى العام.

الفصل الأول
الشباب في عالم متغير
طبيعة المتغيرات المؤثرة

المحتويات

قال رسول الله ﷺ

أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة. إن الله بعثني بالحق بشيراً ونذيراً فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ. ثم تلى قول الله (فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم).

صدق الله العظيم

أولاً - قضية الشباب، طبيعتها وأبعادها:

ابتداء من عام ١٩٦٨ هبت عاصفة شبابية فأطاحت باستقرار نظام عالمى عجوز، واحتلت هذه الظاهرة جوهر حوار علمى عريض يدور حول سؤال رئيسى مضمونه لماذا ثورة الشباب؟ تكشف الإجابة عن هذا السؤال أن الاهتمام بالظاهرة الشبابية بدأ حثيثاً قبل ذلك. وهو الاهتمام الذى ظهر كنتيجة لانبثاق تمردات الشباب التى دفعت إلى ظهور جماعات الهيبز Hip-pies مع بداية الستينات واحتجاجاتهم التى بدأت فى نهاية الخمسينات والتى استمرت حتى بلغت أوجها فى التصاعد الهائل لتمرد الشباب مع نهاية الستينات، بحيث ظهر اتجاه للنظر إلى هذه الحركات باعتبارها واحدة من أهم الظواهر فى مجتمعنا العالمى المعاصر، وبدت هذه الحركات النسبة للبعض باعتبارها تنبؤا الحضارة الغربية الحديثة ونذيراً بموتها بينما كان ذلك يعنى بالنسبة لآخرين تبشيراً بفجر حضارة جديدة(١).

وبظهور الشباب على ساحة النظام العالمى فى معبة زمانية واحدة أصبحوا هم جوهر التركيز والاهتمام، وذلك باعتبار أنهم مضمون الحركة فى النسيج الاجتماعى. قد يكونوا جزءاً منه، إلا أنهم أيضاً قوته الضاغطة والمحركة. وهم بذلك يمثلون جوانب التطور والدينامية. وهى الدينامية التى تتحقق عادة من نظرتهم المستقبلية، فهم ليسوا ذوى ماض يتحسرون عليه ويرتبطون به، وهم أيضاً ليسوا ذوى حاضر ممتلئ بالمسئوليات والمشاغل، ومن ثم فنظرتهم دائماً ما تكون منطلقة إلى الأمام، إلى المستقبل تود أن

تؤسس جذور هويته فى الحاضر، الذى قد لا يكون ملائماً دائماً لصياغة المستقبل المبتغى ومن هنا فقد تكون نظرتهم حالمة، واهمة، إلا أنها دائماً ما تكون متقدمة فى جميع الحالات، لأنها إلى الغد وإلى المستقبل. وبين رفض الحاضر وطلب المستقبل، تتأسس عادة بين الشباب حركة تلقائية ترتبط دائماً بالتغير الذى قد يتطرفوا فى فرضه حتى استخدام العنف ضد واقعهم المقيد لحركتهم، مطالبين دائماً الإنحراف عن مساره(٢).

يكشف البحث فى قضية الشباب أيضاً أن لهم حضورهم فى المعادلة الجيلية أو الاجتماعية، وأم لهم دورهم فى مراحل التاريخ المختلفة، لأن لهم فعالية صناعة الحركة فيه فلهم مكانتهم فى التدرج الجيلى، غير أنهم إلى جانب أصبحوا طرفاً فى معادلة أثر بروزاً هى المعادلة الاجتماعية. ومن ثم بدأ وضعهم يكتسب ملامح جديدة ويتخلى عن أخرى قديمة. ونتيجة لذلك تخلقت ملامح جديدة لموقفهم وبناء شخصيتهم. وفى اطار ذلك قد تثار تساؤلات عديدة، هل ما زال موقف الشباب موقفاً جيلياً حول صراعات مكونات النسيج الاجتماعى ويميز دوره الأجيال التاريخية؟ أم أن هذا الموقف أصبح موقفاً اجتماعياً طبقياً؟ محور الاختلاف والصراع فيه يدور حول الموقف من العملية الاجتماعية، من الذى يعطيها دعمها وينتجها، ومن الذى يحصل على نتائجها أو فائضها؟ مع كل النتائج الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على ذلك.

استكشاف قضية الشباب يفرض علينا الانتباه إلى مجموعة من المتغيرات ذات الطابع العالمى، كالحضور المفروض لمتغير العالمية الذى تأكد من خلال ثورة المواصلات والاتصال كذلك الحضور المكثف لبعض الأحداث المحلية التى اتخذت طابعاً عالمياً، فبرغم بروزها فى محلية محددة إلا أنها اكتسبت اهتماماً إنسانياً عاماً، لأن تأثيرها لم يقتصر على حدود محليتها، كالثورة الفيتنامية مثلاً، وأحداث نقابة التضامن البولندية. بالإضافة إلى ذلك ميكنة الحياة المحيطة بالإنسان كأحد أثار الثورة العلمية

والصناعية باعتبارها متغيراً آثار الرفض الشبابى لهذه الحضارة بحثً عن واقع حضارى جديد، كل ذلك وغيره كان له تأثيراته العديدة على تماسك المحليات، ومن ثم التأثير على استمرارية تراث هذه المحليات نقياً دونما اختلاط.

غير أنه حينما يقع التفاعل، يطرح التغيير كضرورة، ومن الطبيعى أن يكون لذلك أعباء ومعاناة يتحمل وقعها الشباب كى ينتقل بالمحلية إلى العالمية، بحيث يتوازى مع ذلك الانتقال من الحاضر إلى المستقبل، غير أنه لإنجاز ذلك هناك محاذير وضرورات لابد وأن نأخذها فى الاعتبار.

فمحضور علينا أن نطرح قضية الشباب طرحاً تعميمياً. كالقول بأن المسألة الشبابية مسألة معاصرة، أو إرجاعها أو بعض تفاعلاتها إلى عوامل أو متغيرات أحادية منفردة. ذلك لأن المسألة الشبابية فيها قدم وفيها جدة، وأنها إذا أصبحت الآن بارزة، فلأن ذلك يرجع أساساً إلى عوامل تتعلق بعلاقتها بسياقها المحيط وموقفها من مكوناته وعناصره.

محظور أيضاً القول بالتعميم الذى يذهب إلى أن الفئة الشبابية ذات ملامح إنسانية شاملة. وذلك لمجرد اشتراك التجمعات الشبابية عالمياً فى بعض الخصائص التكوينية أو العمرية. ومن ثم الوصول إلى استنتاج خاطئ من خلال ذلك يؤكد أن القضايا واحدة والمواقف متماثلة. ونتيجة لذلك فلابد من اتباع منهج واحد متميز. ذلك لأن حقائق الشباب هى حقائق اجتماعية ترتبط بحدود المحلية، وتوجب أن يسير التفاعل وجهة معينة مرتبطة أساساً بحقائق هذه المحلية. الأمر الذى يفرض ضرورة البحث عن منهج علمى ملائم لإدراك تفاعلاتها وتحديد القواعد والقوانين التى تحكم حركتها.

محظور علينا أيضاً، أن نتصور نحن الكبار، نحن الذين تدعى دور الوصاية، نحن الذين نمثل المكانة المؤسسة أو التامة الصياغة، أن نؤكد أننا المثال الذى ينبغى أن نحتذى. ففى ذلك خطأ فادح خلاله من المستقبل أو

الطبيعة المتحركة أن يتوقف لكى تتطابق مع الماضى الساكن فى جوهره، علينا دائماً أن نتخلى عن النظرة إلى الشباب باعتبارهم خرافاً ضالة، علينا أن نحمل المشاعل لتنير بنورها طريق المستقبل دون قصر على السير فيه. وأيضاً دون حجب لأماكنه الوعرة. علينا أن نتذكر القول السمحى بأنهم (خراف ضالة، فيها براءة وفيها سذاجة، فيها صلاحية، إلا أنها تستقيم فقط تحت رعاية الراعى الصالح والأمين) أو القول الإسلامى (ريح الجنة فى الشباب، فلا تحولوا تياره إلى النار).

إلى جانب ذلك علينا أن نتخلى عن أى إدراك مستقطب للشباب فهم ليسوا ملائكة لا يأتون الخطأ، وهم أيضاً ليسوا أشراراً لا سبيل أمامهم إلى البداية، وإنما هم بشر لديهم كل ملامح البشر. ومن ثم فهم بحاجة إلى اللهو لإنعاش الحياة بقدر ما هم تواقون إلى التضحية والفداء ملامح البشر. ومن ثم فهم بحاجة إلى اللهو لإنعاش الحياة بقدر ما هم تواقون إلى التضحية والفداء من أجل الحياة. ومن ثم فليس علينا أن نعايرهم بأنهم ذوو عنف ولاهون. وليس علينا أن ننصب أنفسنا دائماً باعتبارنا أصحاب الأجراس التى تدق لتعلن إنحرافهم أو رجوعهم إلى جادة الصواب.

ذلك يعنى أنه من الضرورى أيضاً أن نرفع مظلة الوصاية عن الشباب، ففى ذلك إطلاق لكل طاقات الحاضر للإنطلاق، بقوة وموضوعية إلى المستقبل. فى اطار ذلك لابد أن ندرك المسألة الشبابية من خلال رؤية الشباب لها. علينا أن نتجنب محاولة فهمهم فى غيابهم أو بالوكالة عنهم. فذاك يعنى أنهم النضج وهذا حكم اتهامى، ويعنى أيضاً نظرة تآمرية من الخارج لا تدرك بما فيه تفاعلاتهم الداخلية.

ومن الضرورى أيضاً أن نتبنى منطقاً إدراكياً جديداً يتخلى عن أية مسلمات أو عواطف مسبقة. علينا أن ننظر إلى الشباب من خلال التفاعل المؤمل الذى يركز على إيجابياتهم، ويستثير حافزيتهم إلى العمل والإنطلاق بالمجتمع. علينا أن نتعفف عن النقد الهادم الذى لا يخلق فى اطار الشباب

سوى نماذج متمردة على الوصاية أو هاربة من مجالها، أو مصابة بالعجز والمرض، نتيجة للتعرض المكثف لتأثير الوصاية.

بالإضافة إلى ذلك فإنه من الضرورى أن تكون نظرتنا للشباب محكومة باعتبارات عديدة من هذه الاعتبارات أنه وأن تباين الشباب مع جيل الشيوخ مما دعا إلى قيام الصراع الجيلى الذى قد يبدو هادئاً أحياناً، أو يصبح ممزقاً فى أحيان أخرى، يؤثر فى الشخصية الشابة فيملؤها بمشاعر الأسى. غير أننا نجد أن للشباب موقفاً باعتباره طرفاً فى المسألة الاجتماعية، يقف الشباب والفقراء فى ناحية بينما الشيوخ والأغنياء على الطرف الآخر من خط المواجهة الساخن، كيف نفهم أو نفسر هذه المعادلة؟

من الإعتبارات التى ينبغى أن تراعى كذلك أن تمرد الشباب لم يعد يدور حول قضايا تتصل بمطالب محددة لاشباع الحاجات الأساسية، حيث تجاوز الشباب ذلك، إذ أصبحت لهم مطالب لا تتصل بإشباع حاجاتهم الأساسية، ولكنها تتصل بالتأكيد بإشباع حاجات لجتماعية عامة وملحة، قد يتطلب اشباعها إعادة صياغة النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بكامله. أعنى بدأوا يتحركون من الاهتمام بالقضايا الخاصة بالشباب كفئة، إلى القضايا العامة المتعلقة ببناء المجتمع. كيف يمكن أيضاً فهم هذه القضية.

من الاعتبارات الهامة أيضاً أننا فى البلاد النامية لا نجد فى مواجهتها شريحة شبابية واحدة. فإذا أمعنا النظر فسوف نجد فى مواجهتنا شريحتين أساسيتين، بينهما من أسباب الإنفصال أكثر مما بينها من أسباب الاتصال. الشريحة الشبابية العريضة التى تضم العمال والفلاحين فى مواجهة الشريحة الشبابية الضيقة والمثقفة، وهى الشريحة التى تضم أساساً الشباب الجامعى فى البلاد النامية. غير أنه مع التسليم بهذا الإنفصال داخل البنية الشبابية، فإنه إذا قامت حركة شبابية فإننا نجد اتصالاً عضوياً بين كل ما هو منفصل على السطح، تلك أيضاً معادلة تستحق الفهم والتفسير والاعتبار.

ثانياً - التحديد الموضوعي لمفهوم الشباب:

استناداً إلى التفاعلات العالمية والمحلية والمعاصرة برز مفهوم الشباب باعتباره يشير إلى فئة لها نشاطها وفاعليتها فى بناء المجتمعات المعاصرة. وبدأ تساؤل عن من هم الشباب؟ فى هذا الإطار فإنه إذا كان البلوغ حقيقة بيولوجية بحتة، فإن الشباب يعتبر حقيقة اجتماعية بالأساس. وليس هناك ضرورة بيولوجية لفرض الفكرة التى تؤكد أنه ينبغى استمرار عزل الأشخاص الصغار عن عالم البالغين ومن ثم منعهم من ممارسة الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والجنسية. ففى حدود سن الثامنة عشر على الأقل يصبح كل إنسان بالغ من الناحية الفسيولوجية، بل يكون قد وصل إلى حالة النضج الجنسى ووصل أيضاً إلى قيمة النضج العقلى والفيزيقى، وعلى هذا النحو لا تعرف ثقافات كثيرة فكرة تصنيف البشر وعذلهم(٣).

إذن فظهور الشباب كمفهوم يشير إلى متغير واقعى برز بالنظر إلى بعيدين أساسيين، أولهما : يتمثل فى الفاعلية التى ارتبطت بهذه الفئة، وهى الفاعلية التى تشكل جوهر الحركة ومضمون التجديد فى النسيج الاجتماعى. بينما يتصل الثانى بطبيعة الوضع الثقافى الذى يعيشه النظام العالمى. ذلك أنه إذا عجزت عن التفرقة بين الفئات العمرية، فتقليدية الثقافة تنهار أمام طوفان التحديث. وإذا كانت الثقافة التقليدية لم تعرف فروقاً على أساسها تميز شريحة الشباب، فإن التحديث سوف يفرض عليها أن تنجز ذلك. وبمجرد ظهور المفهوم حاولت مختلف النظم العقلية أن تقدم تحديداً له، كل من خلال زاوية تخصصه، ومن ثم فمن المنطقى أن نتوقع اختلاف هذه التحديدات عن بعضها البعض لاختلاف زاوية الرؤية.

ويعتبر علماء السكان هم أول من حاول تقديم تحديد لمفهوم الشباب، وفى هذا التحديد نجدهم قد إستندوا إلى معيار خارجى يتمثل فى السن أو العمر يقضيه الفرد فى أتون التفاعل الاجتماعى. ويختلف علماء الديموجرافيا فيما بينهم فى تحديد بداية ونهاية هذه المرحلة. فهناك من يؤكد أنهم من

هم تحت سن العشرين، وبذلك فهو يحدد نقطة النهاية دونما تحديد لنقطة البداية. وهناك من يؤكد أنهم من يقعون فى الشريحة العمرية ابتداء من سن الخامسة عشر إلى سن الخامسة والعشرين، أو هم من يقعون بين سن الخامسة عشرة إلى سنة الثلاثين على ما يذهب آخرون (٤). بينما يذهب فريق رابع إلى القول بأنه إذا كان مقنعاً أن تسمر فترة الطفولة حتى الثالثة عشر، وأن فترة المراهقة تغطى السنوات بين الثالثة عشر والسادسة عشر، فإن الشباب يصبحوا هم الأشخاص الذين يزيدون عن السادسة عشر، ومن ثم فهم المؤهلون للانضمام إلى قوة العمل، وإلى المشاركين دائماً فى بناء المجتمع والتفاعل الاجتماعى. وفى الحقيقة يرجع هذا الاختلاف بين علماء السكان إلى طبيعة السياق الاجتماعى الذى يعيش بداخله هؤلاء العلماء، أو الذى يضم الشباب موضع الاهتمام فى اطاره. إذ يختلف المدى العمرى الذى تقع فيه هذه الفئة فى المجتمعات النامية عنه فى المجتمعات المتقدمة، حيث تمتد فترة الشباب والمراهقة فى الأخيرة عنها في الأولى، بحيث نجد أن الحد الأقصى لسن الشباب، ينتهى فى الأولى مبكراً عن الثانية(٥).

أما علماء الاجتماع، فلهم هم الآخرون تحديدهم العلمى والموضوعى، الذى يؤكد أنه بالإضافة إلى التحديد العمرى السابق، فإن فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكى يحتل مكانة اجتماعية ويؤدى دوراً أو أدوار فى بنائه، وتنتهى حينما يمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره فى السياق الاجتماعى، وفقاً لمعايير التفاعل الاجتماعى. وهم يؤكدون أن الشخصية تظل شابة طالما أن صياغتها النظامية لم تكتمل بعد.

* فى العصور الوسطى وحتى بداية العصر الحديث ولفترة طويلة بعد ذلك، كان الأطفال يختلطون بالبالغين فى الطبقات الدنيا طالما أنهم قارون على الاستمرار بدون أمهاتهم. فبعد فطامهم مباشرة وهو الأمر الذى يحدث فى سن السابعة تقريباً، تجدهم يلحقون بمجتمع الرجال، يشاركون فى العمل ويلعبون مع رفاقهم الصغار والكبار على السواء.. ويعنى ذلك أن الصغير بمجرد فطامه يصبح رفيقاً طبيعياً للبالغ وهو ما يذهب إلى تأكيد عجز الثقافة التقليدية عن تمييز فئة الشباب.

وفى إطار ذلك يفرق علماء الاجتماعى بين الدور فى مرحلة الأعداد، والدور فى مرحلة الإكتمال والفاعلية، فدور الطالب وصبى الحرفى يعد من النوع الأول، بينما دور العامل والموظف والمهنى من النوع الثانى، وبذلك يعتمد تحديد علماء الاجتماع للشباب كفئة على طبيعة ومدى اكتمال الأدوار التى تؤديها الشخصية الشابة. ويستتبع ذلك تأكيدهم على انتشار الرفض والعنف والتظاهر عند هؤلاء الذين لم تكتمل أدوارهم بعد، أو مازالت٠ فى طور الاعداد، وذلك نظراً لنقص اكتمال صياغتها النظامية، كانتشار هذه الظواهر بين الطلبة أو العمال والموظفين الذين شغلوا أدوارهم المهنية حديثاً(٦).

ويربط علماء النفس وعلماء النفس الاجتماعى بداية ونهاية مرحلة الشباب بمدى اكتمال بنائهم الدفاعى. فإذا ولد الفرد بمستوى بيولوجى، فإنه كذات أو هوية يتم بناؤها إذا استوعبت مجموعة التوجيهات القيمية الكائنة فى السياق الاجتماعى من خلال عملية التنشئة التى تقوم بها نظم اجتماعية عديدة. ثم إذا هى نتيجة لذلك، استطاعت أن توائم بين هذه التوجيهات القيمية من ناحية وإشباع احتياجاتهم واهتماماتهم الأساسية فى مستوياتها الوجدانية والادراكية من ناحية أخرى، بحيث تشير هذه المواءمة إلى امتلاك الشخص لبناء دافعى متكامل يمكنه من التفاعل السوى فى المجال الاجتماعى(٧).

وإذا كان علماء السكان والاجتماع والنفس قد حاولوا تقديم تحديدهم الموضوعى للشباب فعلماء البيولوجيا رؤيتهم كذلك. وهى الرؤية التى تؤكد على ربط نهاية هذه المرحلة باكتمال نمو البناء العضوى والفيزيقى، من حيث الطول والعرض، أو من حيث نمو واكتمال كافة الأعضاء التى لها وظائف معينة فى بناء الجسم سواء كانت أعضاء داخلية أو خارجية كالغدد وما غير ذلك(٨). بينما تتمثل نقطة البداية فى مجموعة التغيرات النوعية التى تحدث فى البناء البيولوجى للكائن الحى.

تذهب هذه النظم العقلية أيضاً إلى أنه إذا أصطلحنا على تقسيم دورة

حياة الإنسان بين الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة، فإن المرحلة الأولى فى غالبها ذات طابع بيولوجى، بينما الثانية اكتمال بيولوجى نفسى واجتماعى، وتعتبر الثالثة امتداداً بهذا الاكتمال إلى أقصى مستويات النضج، وهو المستوى الذى يبدأ فى التحلل خلال المرحلة الرابعة، حيث الشيخوخة، وإن المرحلة الثانية -- مرحلة الشباب - هى مرحلة المعاناة، لأنها مرحلة الاكتمال، والاكتمال مرحلة فيها إضافة وتولد، فيها غرس ورفض، فيها فعل ورد فعل، وهذا ما يحكم تفاعلات هذه المرحلة. ذلك يعنى أن الشخصية الشابة تعتبر بناءاً يتكون من مجموعة من العناصر البيولوجية المتفاعلة والتى يسود بينها نمط من التوازن يعكس ملامح الشخصية الشابة وفيما يلى نذكر بعضاً من هذه العناصر:

١- يعتبر العنصر البيولوجى هو العنصر الأول والقاعدى فى بناء الشخصية الإنسانية والشخصية الشابة. ويولد الفرد بهذا العنصر، فهو من خلاله يعتبر امتداداً للطبيعة، ولا يختلف الإنسان عن الحيوان فيما يتعلق بمكوناته العضوية والبيولوجية، ويتضمن هذا العنصر بعداً هاماً يتمثل فى الحاجات الأساسية التى تتطلب إشباعاً، بحيث تخلق هذه الحاجات لديه ميلاً إلى ما هو خارج بنائه العضوى، إلى التفاعل مع الآخر بحثاً عن الاشباع.

٢- ويعتبر العنصر الاجتماعى هو العنصر الثانى فى بناء الشخصية الشابة. وهو يضم البيئة المحيطة بالفرد والتى بإمكانها أن تقدم إشباعاً لحاجاته الأساسية. بل أننا نجد أن هذه البيئة الاجتماعية عادة ما تزود الشخص ببعض الحاجات الاجتماعية الأخرى التى عليه السعى لإشباعها إلى جانب حاجاته البيولوجية الأساسية. ويتم غرس هذا العنصر من الخارج من خلال عملية التنشئة الاجتماعية التى يتم إنجازها بوسائل عديدة كالأسرة، المدرسة، ومؤسسة العمل أو المهنة. وعادة ما يضم هذا العنصر الخبرات التى يكونها الشخص نتيجة للتعامل مع العالم الخارجى والتى

تشكل عنصراً اجتماعياً يقف إلى جانب العنصر البيولوجي والعنصر السيكولوجي.

٣- ويعتبر العنصر السيكولوجي هو العنصر الثالث ويضم مجموعة الخبرات التي يكونها الشخص نتيجة للتعامل مع العالم الخارجي إلى جانب اتجاهاته حول هذا العالم وتتكون هذه الاتجاهات والخبرات لدى الشخص نتيجة للتفاعل الذى يتم بينه وبين هذا العالم الخارجي. فالعنصر السيكولوجي إذن ينتج عن التفاعل بين العنصر البيولوجي والاجتماعي، ومن ثم فهو يخالف من شخص إلى آخر نتيجة لطبيعة تكوينه البيولوجي بدرجة ما أو بدرجة أكبر بالنظر إلى طبيعة البيئة الاجتماعية التي تشكل اطار تأهيله الاجتماعي(٩).

٤- ويشكل المكون الثقافي العنصر الرابع في بناء الشخصية الشابة، ويتم استيعاب هذا البعد في بناء الشخصية الشابة من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية ويلعب هذا البعد دوره في ضبط حركة الفرد في السياق الاجتماعي وتتباين القيم الموجهة للسلوك الفردي بين كونها قيماً وجدانية تلمس الجوانب العاطفية والشاعرية، أو تتصل بالقيم التقويمية التي تساعد الفردعلى المفاضلة بين الاختبارات المختلفة، أو القيم الإدراكية التي توجز معرفة الإنسان بواقعه المحيط والأسلوب العلمي أو الموضوعي للتعامل معه(١٠).

وإذا كانت هذه العناصر الأربعة هي التي تكون بناء الشخصية الشابة، فإن طبيعة التفاعل بينها، وحجم المشاركة التي يؤديها كل عنصر بالنظر إلى العناصر الأخرى هو الذي يحدد طبيعة الشخصية الناتجة. فغلبة العنصر البيولوجي من حيث فاعليته على العناصر الأخرى يعني أن هذه الشخصية لم تصل إلى طور الاكتمال بعد أو هي لم تصل إلى مرحلة النضج. بينما تؤدي غلبة العنصر الاجتماعي أو الثقافي إلى درجة عالية من استقرار الشخصية التي تعيش مرحلة الرجولة المتأخرة والشيخوخة، بينما يعني التعادل بين هذه المكونات إلى أن الشخصية تعيش مرحلة الرجولة الحقيقية،

وأن نقص التعادل والاستقرار تعنى احتمالية عالية لوجود الشخصية فى اطار مرحلة الشباب أو بداية الرجولة.

فإذا إنصبت اهتمامات التحديد السابقة على محاولة تشخيص ملامح الشخصية الشابة. فإنه يلزم ضرورة التركيز على طبيعة الفئة الشبابية الأولى بالاهتمام. بداءة نحن نرى أن الشباب لا يشكل قطاعاً واحداً يتقاطع والحدود والمحلية المجتمعات النظام العالمي. وإنما نجد أنفسنا قطاعات شبابية عديدة تتنوع بالنظر إلى متغيرات كثيرة كالعرق واللغة القومية والدين والتعليم، والمستوى الاقتصادى والنوع والسياق الاجتماعى. وإذا كانت كل الدراسات السابقة قد ركزت على الشباب المثقف من ناحية، وعلى الصراع أو التناقض الجيلى من ناحية أخرى فإننا نرى أنه من الضرورى فى تحديد من هم الشباب أن نأخذ فى الاعتبار الأبعاد التالية:

١- أن التركيز على شباب المثقفين والطلبة قد تم باعتبارهم الصفوة الأكثر وعياً بفئتها والأكثر إمكانية من حيث التناول العلمى. وقد لا يوجد هذا التباين بين الصفوة والقاعدة الشبابية فى المجتمعات المتقدمة، إلا إننا نجد أن هذا التباين موجود وواضح فى المجتمعات النامية، حيث لا يحمل المثقفون والطلبة نفس خصائص الشريحة الشبابية العريضة. ذلك لأنه قد وجد بعض المتغيرات كالتعليم وما إلى ذلك – التى جعلت قلة من الشباب صفوة لها خصائص ومكانة محددة، وبالتالى مصالح قد تختلف إلى حد ما عن مصالح فئات الشباب العريضة. بحيث يمكن أن يتعمق هذا الاختلاف بالنظر إلى طبيعة السياق الاجتماعى(*).

٢- أن التركيز على شباب المثقفين والطلبة قد حدث لأنهم فئة الشباب الأكثر إدراكاً لحمل لواء الثورة والتغيير والتظاهر والعنف والرفض. وقد يكون السبب باعتبارهم أكثر إدراكاً لطبيعة التفاعل الاجتماعى

*بدأت نظرية العلم والإنسانية تتخلى عن هذا التحيز الواضح لقطاع الشباب المثقف، ومن ثم فقد أصبحت نظرتها أكثر شمولاً، حيث تحاول أن تقدم فهما للقطاع الشبابى ككل. وقد ظهرت بواكير ذلك على المستوى العالمى فى بحوث كثير رائدة.

والأيديولوجى السائد، أو لكونهم القاطنين بالمراكز الحضرية التى تسبح عادة فى بحر من التفاعلات والتيارات العديدة والمتباينة. ولعل هذا يلقى ضوءاً على كون الجماعات الثورية والرافضة فى المجتمعات النامية كانت من بين شباب المثقفين والطلبة أساساً.

٣- أن الشباب يعيش خلال هذه الفترة أوضاعاً اجتماعية متميزة تستحق التركيز بالبحث والدراسة. فالأول مرة فى التاريخ نجد أن حوالى نصف البشر فى العالم يقعون فى الفئة العمرية بين ١٦-٣١ سنة، وهم يوجدون كأعضاء عاملين فى قوة العمل وأن هناك نسبة عالية مازالت فى التعليم وقسم كبير فى القوات المسلحة، بينما توجد نسبة لها اعتبارها تعانى من البطالة الدائمة، أو البطالة المؤقتة، فهم ينفقون معظم وقتهم يتسكعون فى الشوارع . وفضلاً عن ذلك، فهناك ٢٥ ٪ من الشباب الذى يقع بين ٢١-٢٥ سنة، مازالوا فى التعليم وهو رقم لم يسبق له مثيل فى التاريخ. ويعتبر ذلك من أكثر التطورات الاجتماعية وضوحاً فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية. وإذا اتفقنا على وجود الشباب فى كل فترات التاريخ، فإنه يمكن القول أنه لم يحدث أن كانت نسبة عالية من السكان صغار السن شباباً على هذا النحو(١١). ذلك يعنى أنه من الواجب أن تركز الدراسة العلمية على الشباب باعتبارهم يمثلون ظاهرة إنسانية جديدة وأنه من الضرورى استكشاف العوامل التى دفعت إلى ظهورها على هذا النحو.

وبغض النظر عن التحديد الذى نوافق عليه لمفهوم الشخصية الشابة أو تحديد الشريحة الشبابية الأولى بالدراسة والبحث، فقد طورت النظرية الاجتماعية بعض المواقف النظرية لإدراك المسألة الشبابية فى محاولة لفهمها. فى هذا الصدد نجد أنفسنا فى مواجهة منظورين. ويعتبر المنظور الليبرالى هو المنظور الأول فى هذا الصدد، ويرى هذا المنظور فى الشباب فئة جيلية مازالت فى مرحلة التشكيل والصياغة النامية، فهى فئة ناقصة

التكوين اجتماعياً. وهذا يبرر وجود كثير من مظاهر عدم الاستقرار ورفض التكيف مع المجتمع، فإذا اكتمل تكوينها فإن مظاهر عدم الاستقرار هذه سوف تختفى. فالشباب مرحلة مرضية بطبيعتها، يملك المجتمع بالنسبة لها ميكانيزمات علاجية عيدة. فإذا حدث تمرد أو رفض شبابى، فإن هذا المنظور يذهب إلى ضرورة البحث عن أسبابه فى بناء الشباب الرافض لتحديد عوامل الرفض، ومن ثم مواجهة ذلك بالعلاج والتأهيل(١٢).

على نقيض ذلك نجد المواقف النقدية أو الراديكالية التى ترى موقف الشباب باعتباره يشبه إلى حد كبير الموقف الطبقى. وإذا كانت البروليتاريا هى التى تشكل قوى الثورة فى المنظور الماركسى، تثور لكى تستعيد فائض القيمة الذى سلب منها، فإننا نجد أن الاتجاهات النقدية الحديثة تؤكد أن الشباب والطلبة هم قوى الثورة والتغيير التى يمكن أن تحل محل قوى الثوة التقليدية، وإذا كانت البروليتاريا هى التى تثور ضد البرجوازية المشتعله، لها فالشباب فى المجتمعات الإنسانية المتقدمة هم الذين يثورون رفضاً للقهر وبحثاً عن الحرية الإنسانية الشاملة فى مجتمعات تحاول تطوير نموذج الإنسان ذو البعد الواحد (١٣).

ثمة خلاف إذاً حول تحديد من هم الشباب، فى مقابل اتفاق حول تحديد المكونات الأساسية للشخصية الشابة، أو الاعتبارات التى ينبغى أن تراعى فى دراسة الشباب، غير أن الشاب لا يعيش فى فراغ، ولكنه يشكل بؤرة ونطاق تأثير سياقات متنوعة ومتداخلة، بعضها ينتم إلى النظام العالمى الأشمل، بينما يرجع البعض الآخر إلى النطاق المحلى الضيق وتشكل المتغيرات المنطلقة من كل منها إطاراً يمكن أن يفسر التفاعلات الشبابية فى مجتمعات العالم الثالث وجة نظرنا فى هذا الصدد ينبغى أن يضم المتغيرات التالية:

١ - المتغيرات المتصلة بالنظام العالمى، حيث نجد أن هذا النظام العالمى ضم مراكز متقدمة فى النظام العالمى ينطلق منها التأثير إلى حيث المناطق

المختلفة فى هذا العالم، ولا شك أن العالم الثالث يحتل قلب هذه المناطق أو يقع فى اطارها.

٢- المتغيرات المتصلة ببناء المجتمعات المحلية فى بناءات العالم الثالث، ما يتصل بالأبعاد التاريخية لهذه المجتمعات، أو ما يتصل ببناء الثقافة والقيم، أو تلك العوامل التى تتصل بالنسق الاجتماعى لهذه المجتمعات، أو تلك المتصلة ببناء الشخصية الشابة فيها.

وسوف نعرض فيما يلى لطبيعة المتغيرات لكل مستوى من هذه المستويات وأسلوب فاعليتها فى نطاق الشباب.

ثالثاً - المتغيرات العالمية المؤثرة علي الشباب :

الذى لا شك فيه أن النظام العالمى الذى نعيش فى اطاره يضم مجموعتين من المجتمعات، المجتمعات المتقدمة والمجتعات المتخلفة. ثم هو إلى جانب ذلك يحتوى على تفاعلات تتصل بطبيعه العلاقة بينها، ولهذه التفاعلات والعلاقات تأثير على البشر فى مجتمعات العالم الثالث، وعلى الشباب باعتبارهم الأكثر حساسية والأكثر قابلية للتأثر بهذه المؤثرات القادمة من العالم الخارجى.

فالمجتمعات المتقدمة تتميز بأنها مجتمعات تجاوزت مرحلة التغيرات الطفرية السريعة بكل تفاعلتها الدينامية المصاحبة، وبدأت تخضع فى تفاعلها لما يمكن أن يسمى بالتغيرات التدريجية الهادئة. فى هذا الاطار فإننا نجد أنها مجتمعات يسودها نوع من الإتساق الثقافى والاجتماعى، فالأخلاق والمصلحة الفردية والتعامل فيها يستند عادة إلى قيم السوق، وهى قيم رشيدة. وفى هذه المجتمعات حلت جماعات رسمية كالأحزاب والنقابات فى فاعليتها محل الجماعات غير الرسمية كالقرابة وجماعات العزوة فى المجتمعات التقليدية والمتخلفة.

يرى من يحاول فهم التفاعل فى هذه المجتمعات أن دور السلطة فى هذه

المجتمعات، يماثل دور السلطة الأبوية فى المجتمعات التقليدية أو النامية. حيث تبذل السلطة كل جهدها من أجل غرس ثقافة المجتمع، وأيديولوجيته فى بناء شخصية أفراده. فمثلاً: تحاول المجتمعات الاشتراكية تنشئة أطفالها وشبابها وفقاً لمحتوى التوجيهات القيمية المنبثقة عن الأيديولوجيا الاشتراكية مستعينة فى ذلك بعديد من التنظيمات الرسمية وغير الرسمية، وفى إنجازها لعملية التنشئة هذه قد تلجأ إلى إجراءات التغيير والثورات الثقافية التى تهدف إلى الرجوع بالأيديولوجيا إلى حالة نقائها الأساسى وفرض الالتزام بها. ويتم نفس الإجراء فى المجتمعات الرأسمالية حيث تحاول تنظيمات السلطة فيها فرض أيديولوجيتها بعديد من الوسائل، ومن ثم فهى تواجه أى إنحرافات بعديد من الإجراءات التى قد تبدأ من استخدام القمع الصريح لكل من جانب الصواب، وحتى استخدام آليات تصريف التوتر. والنتيجة أن بعد هذه المجتمعات المتقدمة – اشتراكية كانت أو رأسمالية – تهدف إلى خلق ثقافة واحدة متجانسة، وإلى خلق ما يسمى بالمجتمع الجماهيرى Mass Society، إلى خلق الإنسان الخاضع لنظامه، الإنسان ذى البعد الواحد(١٤).

يضاف إلى ذلك، إنتشار الظاهرة التكنولوجية – كخاصية أخرى – تميز سياق هذه المجتمعات. وهذه الظاهرة وإن يسرت على الإنسان الاستفادة من رقيه والتمتع بحياته إلا أنها سلبته متعة العمل. بل وسلبته حريته أحياناً (وأصبح الإنسان يعانى من سلسلة من الاغترابات التى تبدأ باختزل إنسانيته، وتنتهى إلى جعله عبداً وتبعاً لآلة كان سيداً وخالقاً لها). فى هذا السياق قد يتساءل الفرد فى بعض المجتمعات المتقدمة – وخاصة تلك التى تجهض كل أبعاده الإنسانية – عن مصيره فى هذا السياق؟ عن معنى المسخ الذى ينتاب النموذج الإنسانى؟ عن معنى أن نكون على قمة الحضارة ومطلوب منا أن نعيش حياة القطيع. والأنانية الفردية، ودعم احترام الحياة الخاصة والقضاء على معان سامية لتنظيمات هامة كالأسرة؟ عن معنى استخدام أفضل منجزات العقل البشرى فى قتل الإنسان لخلق عصر استعمارى جديد؟ من

هنا لابد وأن يظهر رد فعل يتمثل فى رفض هذا الوجود المتقدم. وقد يتخذ الرفض أشكالاً عديدة، قد يبدأ بالرفض الإيجابى للنظام القائم، بالتمرد عليه والتظاهر ضده وهذا ما تقوم به الجماعات الراديكالية والمناهضة للعنصرية فى اطار ما يمكن أن يسمى بالثورات الحمراء والخضراء والسوداء. أو قد يتخذ شكل الرفض السلبى بالإنسحاب من هذه الحياة المغتربة، والبحث عن حياة خاصة منسحبة قد تتمثل فى العودة إلى الطبيعة والبيئات الطبيعية كما هو الحال فى فلسفة الهيبيز مثلاً، أو قد يكون هروباً من هذه الحياة والاتجاه للاندماج فى حالة دائمة من الغياب واللاوعى بالتعاطى الدائم للمخدرات(١٥).

وإلى جانب هذا الواقع الذى تميزت به المجتمعات المتقدمة باعتبارها المجتمعات المسيطرة على النظام العالمى، هناك مجموعة من الأحداث والظروف التاريخية ذات التأثير على الشباب والتى تنطلق أساساً من النظام العالمى، ويمكن تصنيف هذه الأحداث إلى نوعين من الأحداث أو الظروف التاريخية. أحدهما يرتبط بمجتمعات معينة ويقتصر تأثيره على حدودها، بينما يحدث الآخر فى مجتمعات محددة غير أن تأثيره له طبيعته الإنسانية الشاملة. بالنظر إلى ذلك نجد أن حركة الشباب قد تأثرت فى عالم اليوم بمجموعة من الأحداث ذات الطبيعة التاريخية البارزة.

وتعتبر الثورة التكنولوجية أول هذه الأحداث، وهى تتمثل فى تلك الطفرة الهائلة فى العلم والتكنولوجيا مع التغير المترتب على ذلك فى وسائل الإنتاج. ويمكن القول بأن الثورة التكنولوجية كان لها تأثيرها على الصعيد العالمى من خلال ثلاثة أساليب، تتراوح بين التأثير المكانى، ثم الزمانى، ثم ذلك المتعلق بالملامح البنائية للمجتمعات المعاصرة.

وفيما يتعلق بالتأثير المكانى أدت الثورة التكنولوجية إلى ضيق مسافات الامتداد المكانى وقصرها، حيث جعلت المسافات داخل المجتمع الواحد أبعد كثيراً من المسافات الجغرافية بين مجتمعات عديدة. ذلك أدى إلى تطلع

الفئات المتماثلة إلى بعضها البعض لكونها ترتبط بنفس القضايا، أو إلى تطلع الفئات الاجتماعية من سياق اجتماعى إلى سياق اجتماعى آخر، تحاول البحث فى اطاره عن اشباع ملائم لطموحاتها. ومن هذا المنطق نستطيع أن ندرك هجرة الشباب من مكان لآخر بهذا العالم، بحيث أدت هذه الظاهرة إلى حدوث تداخل مكانى وإجتماعى فى اطار هذه الفئة على مستوى العالم كله.

ويتمثل التأثير الزمانى للثورة التكنولوجية فى كونها أدت إلى سرعة تطور العالم والتكنولوجيا. ومن ثم اتساع المسافة بين مختلف الأجيال فى المجتمع الواحد، بالنظر إلى قدرتها على الاستيعاب المتفاوت لنتائج العلم والتكنولوجيا. وإذا كانت التطورات العلمية والتكنولوجية تحدث مرة واحدة فى كل عدة أجيال، فإنها اليوم تحدث مرات كثيرة فى الجيل الواحد. ونتاجاً لذلك فإننا نجد فى مجتمع البالغين جيلين: الجيل الأول تخلق فى اسار مناخ من الاستقرار، ومن ثم فهو غير قادر على استيعاب متضمنات التغير وعدم الثبات، هذا الجيل هو جيل الشيوخ. بينما تخلق الجيل الآخر فى مناخ من طبيعة غير مستقرة، تفاعلاته ذات طبيعة ديناميه ومغيرة أبداً، ومن ثم، فهو جيل يمتلك القدرة على استيعاب نتاج مجتمع التقنية الكاملة، قادر على التلاؤم معه، وهؤلاء هم جيل الشباب. هذا الجيل يمتلك عبر العالم كله موقفاً أساسياً من الأجيال الأخرى، لديه اتجاهات فيها قدر كبير من التماثل بالنظر إلى بعض القضايا ذات الطبيعة العالمية العامة. الدليل على ذلك أنه فى عام ١٩٦٨ تأسس ما يمكن أن نسميه بالتمرد الشبابى الشامل، حيث تخلق فى اطار الشريحة الشبابية عبر العالم تفاعلاً اجتماعياً متماثلاً، برغم وجود التجمعات الفردية لهذه الشريحة الشبابية فى ظروف محلية مختلفة تماماً. بحيث واجهنا فى هذه السنة موقفاً شبابياً من المؤسسات الحاكمة فى كل من البرازيل، وفرنسا، ويوغسلافيا، والولايات المتحدة الأمريكية، ومصر، والصين.

بالإضافة إلى ذلك أدى التغير فى وسائل الإنتاج إلى إحداث تعديلات أساسية فى بناء المجتمعات المعاصرة. فقد ظهر ما يمكن أن نسميه بالإنتاج الواسع الذى يغطى الاستهلاك المحلى أو بهدف إلى فرض أسواق استهلاكية جديدة خارج المجتمع المنتج، بحيث ساعد ذلك على خلق صيغة عالمية جديدة، يرتبط المشتغلون فى اطارها عضوياً على الصعيد الداخلى. هذه الصيغة هى بالتأكيد نتيجة لفاعلية الثورة التكنولوجية. وهى الثورة التى ساعدت على إنهيار أشكال التجمعات السائدة منذ بداية التاريخ، كالتجمعات العائلية والقرابية بحيث حلت محلها المجتمعات الصناعية والطبقية، وبرزت الفردية على حساب إنهيار الحواجز التقليدية والقيم الجماعية. وظهر ما يمكن أن يسمى بقضايا الإنسان المعاصر كالديموقراطية والحرية وعدم الاستغلال، وما إلى ذلك من القضايا التى بدأت تتشكل بشأنهاموافف إنسانية متماثلة ومن الطبيعى أن يكون الشباب فى مقدمة الذين يتخذون موقفاً إنسانياً شاملاً بشأن هذه القضايا(١٦).

وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى ظهرت واقعة أخرى كان لها تأثيرها على النظام العالمى فقد برز النظام الاشتراكى إلى الوجود، حيث أدى ظهوره إلى طرح طريق جديد لامكانية التقدم والنمو. غير أن وجوده ساعد على خلق تناقضات وصراعات عديدة فى اطار النظام العالمى خاصة فى اطار السياقات التى فضلت اختياره نموذجاً تتجه وفقاً له مسيرة التنمية بحيث شكل ذلك مصدر إثارة وحساسية لفئات عديدة تؤيده وأخرى تناقضه. ولقد كان الشباب وشباب العالم فى أحيان كثيرة من أصحاب المواقف المؤيدة(١٥). فهم من ناحية لديهم ميل جارف نحو التقدم، ثم هم يرغبون فى أن يكون التقدم لصالح الفقراء. ومن هنا كان ارتباطهم بالنموذج الاشتراكى. أليس النموذج الاشتراكى هو الذى يرفع رايات (يا عمال العالم اتحدوا...).

ويمثل انهيار الامبراطوريات القديمة الواقعة التاريخية الثالثة التى وقعت فى اطار النظام العالمى لتؤثر فى الشباب. ذلك بالإضافة إلى مجموعة

الحروب الصغيرة التى شنتها القوى الكبرى تحاول بها فرض الاستغلال والسيطرة بهدف التحكم فى بقايا الامبراطوريات المنهارة. هذه الحروب نجدها فى مجملها حروباً ضد شعوب صغيرة كحرب ڤيتنام. وأظننا ندرك كم كانت هذه الحروب مصدر الهام لكل الحركات الشبابية فى العالم، بحيث شكلت أساساً لصيغة عامة من الرفض الموجه ضد المؤسسات الخارجية التى تنتمى للدول المتداخلة أو المؤسسات الداخلية المتعاونة.

بالإضافة إلى الوقائع السابقة ذات الطابع التاريخى هناك مجموعة من الأحداث أو الظواهر التى تقع فى عالمنا المعاصر، وهى تفترق عن مجموعة الوقائع السابقة فى خاصية التزامن أى أننا نعايشها، نشاهد تخلقها وطبيعة التفاعل الذى تثيره، والنتائج لذى تمخض عنها. ومرة أخرى تتأكد عالمية هذه الظواهر لكونها قد إنبثقت أو تخلقت عن ظروف ومؤثرات عالمية شاملة، ومن ثم فلها تأثيرها على محليات هذا العالم. ربما تتخلق أو تنبثق فى اطر محلية محددة، إلا أنها لها صلتها بالتفاعل الذى يقع فى المحليات الأخرى لمجرد أن قضاياها تتصل بمضامين إنسانية شاملة وهو الأمر الذى يسبغ عليه طبيعتها العالمية(١٧).

أول القضايا فى هذا الصدد هى قضية الاستمرار (التقليد) والانقطاع (التجديد) الذى ترغبه المحلية وتتجه العالمية. بمعنى أن هناك علاقة بين موقف الشباب على بعد المحلية- العالمية من ناحية. وموقفهم على بعد التقليد – التجديد من ناحية أخرى. فى اطار ذلك تبرز القضية الجيلية فا شك أن الموقف والمسألة الشبابية فى اطاره ذات صيغة عالمية بارزة إنطلاقاً من عمومية دورة الأجيال فى كل المجتمعات وتقارب طبيعة التفاعل بين مختلف هذه الأجيال. بيد أن للقضية وجهاً اخر يتعلق بمدى وصاية جيل الاباء على الأبناء، ومدى تمرد الأبناء على الآباء. غير أن إدراك هذا الوجه من القضية على هذا النحو من الاستقطاب فيه تجنب للمنهج العلمى. بينما يطالبنا الطرح العلمى للقضية أن ندرك بشكل محدد قدر الاستمرار الذى

نريده وقدر التجديد الذى نسمح به للأجيال القديمة أن ننشئ الأجيال الشابة أن تصنع أو تؤسس اختياراتها وتصوغ قراراتها بمفردها.

يتعلق جوهر القضية بمدى السماح للمحلية – ممثلة فى جيلها المحافظ – بالاستمرار مدى السماح للمتغيرات العالمية بالتغلغل المؤثر مع مكونات هذه المحلية، ومن ثم تقطع عليها مسيرتها الأحادية. حيث يتأسس هذا السماح مرتبطاً بعملية التغير كعملية أساسية يعيشها عالمنا المعاصر، ومن ثم تتأكد المتغيرات العالمية من خلال تحديد مدى ارتباط الشريحة الشبابية بالتغير ومدى إيمانها بتفاعلها وسلوكها ديناميا وفقاً لايقاعه. ومن ثم فقدر التغير الذى تسمح به المحلية سوف يعنى قدر الإنقطاع الذى لابد أن يحدث بين أجيال الشيوخ والشباب. فالشريحة الشبابية التى ترتكز على استخدام وسائل إنتاج استخدمها الأجداد (كالطيور مثلاً) تعتبر شريحة راكدة ساكنة وجامدة مثل أجدادها. هنا يكون للمحلية دورها البارز ولعناصر الاستمرار سطوتها الأكثر فاعلية وغلبة على عناصر التجديد، إذاً فمدى التعرض للتغير بسرعاته المتعددة يعتبر الأساس لقياس مسافة الاقتراب من العالمية والاندماج فيها والتفاعل مع متغيراتها. ومن هنا فلابد أن تتأسس معادلة تؤكد على أن ثمة علاقة الشباب والعالمية تقف فى مواجهة وجود علاقة بين الشيوخ والمحلية. بين البحث عن طريق للانطلاق من أسار عالم المغلق وضيق، وبين الإنجذاب إلى الخلف، حيث واقع محليات متناثرة فى قلب عالم شامل لا متناهى الحدود، وفى هذا الاطار تتأسس حيوية الدور الشبابى

نقول أن عالمنا المعاصر منذ فترة تاريخية بعيدة تتأسس مرتكزاته على تفاعلات التغير الاجتماعى، فمنذ عصر النهضة والثورة الفرنسية، والثورة العلمية والتكنولوجية وثورة المواصلات والاتصال. نجد أن العالم يعيش فى اطار مناخ جديد تهتز على ساحته أكثر التقاليد رسوخاً، وتنهار فى سياقه أكثر المؤسسات قداسة وعراقة. ويتولد عنها إيمان جديد مضمونه أن الثبات قد أنسحب من على المسرح، وأن الدينامية هى القاعدة، وأن التغير هو

المنطلق الذى يتخلق من خلاله هذا العالم، الذى يتحرك فيه التخلف الساكن من خلال التنمية – وهى التغيير الارادى – ليلحق بالمتقدم الذى تندفع فى اطاره ايقاعات التغير بسرعات يصعب إدراكها (١٨) . فى أثناء ذلك تنهار مؤسسات رئيسية، بينما تتأسس أخرى، فالأسرة يصيبها الانهيار لأن المثل والمعايير التى تنشئ عليها الابناء تختلف كثيراً عن تلك التى يواجهونها فى واقع الحياة الاجتماعية الحيطة. بالإضافة إلى ذلك فقد أسس التقدم التكنولوجى واقعاً جديداً، فيه علاقات وأدوار جديدة، وربما وجهات نظر جديدة وفرها التقدم التكنولوجى من خلال وسائل الاتصال، بحيث جعل فئات شبابية عديدة إلى التواصل مع نظائرها خارج أنساقها الأساسية، وأثناء ذلك تجلب إلى محليتها أكثر عالمية(١٩) .

فى إطار الفئة تتأثر الفئة الشبابية كمتغير فى موقف التفاعل العالمى بعاملين: الأول يتعلق بتأثير التقدم التكنولوجى والعلمى على الشريحة الشبابية. فقد أدى التقدم التكنولوجى وتراكم المعرفة العلمية وتعقد المؤسسات التعليمية إلى اتساع الهوة بين النضج الفسيولوجى من ناحية وبين النضج الاجتماعى من ناحية أخرى. ففى فترات سابقة كان الشخص يمارس دوره الاجتماعى بمجرد أن يتحقق نضجه الفسيولوجى، ومن ثم فلم تكن هناك هوة بين طرازى النضج. بيد أنه بالنظر إلى ذلك تخلقت مشكلة فى المجتمعات المتقدمة خاصة المجتمعات الأوربية نتيجة لاتساع الهوة بين نوعى النضج، فنتيجة لتضخم حجم المعلومات التى على الشباب تحصيلها لكى يصبح صالحاً لشغل دوره الاجتماعى، أن ازدادت فترة التكوين والتعليم. ومن هنا تخلقت الفجوة بين نضجه الفسيولوجى وبين اعتراف المجتمع به كمواطن مستقل له دوره الاجتماعى الذى يؤديه وله اسهامه، ذلك يفسر وجود أزمة الشباب فى المجتمعات المتقدمة. ويفسر أيضاً تأسيس هذه الأزمات بين فئات الشباب البرجوازى أو المثقف، فليس صدفة إذا أن الانفجارات الشبابية التى حدثت فى عام ١٩٦٨ وقدمت معظها فى مجتمعات

متقدمة، وكانت أساساً بين شباب المثقفين، أو شباب المؤسسات التعليمية الذين يبحثون عن انتماء. ويعنى ذلك أن تبنى المجتمعات المتخلفة لبعض خواص المجتمعات المتقدمة، كاعتبار التعليم أساساً لممارسة الدور الاجتماعى بشكل فعال، سوف يؤدى إلى حدوث أزمة شبابية فى اطارها، وسوف يتحدد عمق واتساع هذه الأزمة بقدر الملامح التى سوف تتمكن شريحة الشباب من استيعابها أو اكتسابها، وهو الأمر الذى يؤكد أن أزمة الشباب لها أسبابها العالمية(٢٠).

ويرتبط العامل الثانى بموقف القطاعات الاجتماعية من التغير الاجتماعى كصيغة عالمية. ذلك أن هناك اختلافات عديدة بشأن ذلك. إذ تراها النظريات الغربية من خلال التناقض بين الكبار والصغار، أو الرجال والنساء، أو بسبب اختلافات الريف والحضر. وهو الأمر الذى تعتبره النظرية الماركسية تمييعاً للقضية، وذلك لأنها تنظر إلى ذلك من خلال المصالح الطبقية بين فئات المجتمع أو طبقاته العديدة(٢١). بيد أننا نلاحظ أن وجهة النظر الماركسية تعانى من قصور واضح فيما يتعلق بقضة الشباب، ذلك لأن الشباب أكثر مثالية من الكبار الذى قد يمتلكهم السعى وراء المصالح الطبقية. بينما الشباب ساعون أبداً وراء المثل حيثما كانت. على استعداد للتضحية من أجلها، حتى لو كانت لتضحية لصالح مثل تفيد الطبقات الأخرى بدرجة أكثر.

وإذا كانت القضية الجيلية هى التى تربط الشباب بالتغير الاجتماعى فإن القضية الاجتماعية أو الطبقية تربط الشباب بإتجاه التغير الاجتماعى. إذ تختلف فئات الشريحة الشبابية حول مسار التغير واتجاهه. وفى هذه الحالة قد يعبر الموقف الشبابى عن مصالح طبقية. فإذا قلنا أن الشباب يتميز بالرؤية المستقبلية، فإن السؤال الذى يجب أن نطرحه لابد وأن يتعلق بطبيعة المستقبل. هنا أيضاً يختلف تصور المستقبل باختلاف الطبقة أو الشريحة الاجتماعية التى تنتمى لها الشباب، فتصور المستقبل عند الفلاح يختلف

بالتأكيد عن تصور المستقبل كما يراه الشباب الجامعى، برغم احتمالية انتمائتهم المحلية واحدة. فجميعهم لديهم تصور للمستقبل المتخيل والمطلوب تحديده فى واقع ملموس. وإذا إختلفت التصورات على مستوى المحلية فإنه قد تنشأ تماثلات أو اتساقات على مستوى العالمية، على أساس من الطبقة أو الشريحة الاجتماعية التى ينتمى إليها الشاب. ومن ثم فمن المحتمل أن يتفق المثقفون الذين ينتمون إلى محليات عديدة حول تصور موحد فيما يتعلق بقضية معينة. وهم فى اتفاقهم هذا قد يختلفون جذرياً مع تصورات فئات شبابية أخرى من نفس المحلية(٢٢).

ويعنى ذلك أنه إذا كان تبنى تصور معين للمستقبل يعتبر من السمات الأساسية للشباب. فإن من سماته أيضاً اختلاف التصورات باختلاف الشريحة الاجتماعية. وذلك يأتى بنا إلى رفض تصور شبابى موحد للمستقبل. ففى ذلك وصاية، وتحقيقه غير ممكن لأنه غير مطلوب. بل أنه من الضرورى بدلاً من ذلك أن نؤمن بإمكانية تأسيس تصورات شبابية متباينة. ففى ذلك إفلات من اسار المحلية المتخلفة التى تفرض بالوصاية منطقاً واحداً، والإنطلاق نحو عالمية تؤمن بالتقدم كهدف، والتغير كوسيلة ملائمة المستقبل حيث مجال تحقيق الوعد، يتحرك نحوه الجميع من دروب ومسالك عديدة فى نطاق عالمية وشاملة(٢٣).

خلاصة القول أن هناك فريق من الباحثين الذين قد ينتمون إلى مواقف نظرية متباينة إلا أنهم يتفقون فى إيمانهم بالمنطلقات النظرية الشاملة، التى تؤكد على الإدراك الكلى الشامل للواقع الإنسانى ومن ثم فإن متغيرات التأثير فيه تكون عادة ذات طبيعة شمولية فى تأثيرها. حقيقة أن متغيرات التأثيرقد تتخلق منبثقة عن واقع محلية واحدة، فعلى سبيل المثال تخلقت الثورة الدينية فى إيطاليا، وتخلقت الثورة الفرنسية السياسية فى فرنسا، والصناعية فى إنجلترا، والرأسمالية فى الولايات المتحدة، والثورة الاشتراكية

فى روسيا، إلا أنه يظل مؤكداً أن أسباب تخلق هذه المتغيرات قد يرجع لمحلية أو محليات معينة وانتشارها قد يكون فى اطار مجتمعات محلية قد ينتمى الحصاد إلى سياق تنمو الجذور فى سياق آخر.

ومن ناحية أخرى تتأسس عالمية أو شمولية تأثير هذه المتغيرات بالنظر إلى التكرار المتماثل لفاعليتها فى مختلف محليات النظام العالمى. فالتشكيل الجيلى موجود فى كل المجتمعات. وهناك تناقض جيلى فى الموقف والرؤية لطبيعة التفاعلات الجارية. هناك أيضاً فئات متماثلة كالعامل والشباب والطلبة لها خصائص أساسية متماثلة. تجعل إمكانية أن يكون رد فعلها للمؤثرات الواحدة متماثل تقريباً. مثل حركة الستينات الشبابية وموقفها من المؤسسات القائمة. وبذلك تتأسس الصيغة العالمية لكل من المتغيرات المستقلة والتابعة.

استنتاجاً مما سبق تصل إلى مجموعة الاستخلاصات الأساسية التالية:

١- أنه بغض النظر عن انتماء شريحة الشباب فى العالم الثالث لمجتمعاتها، فإنه لفهم السلوك والتفاعلات الشبابية لابد أن تعطى اعتباراً للبعد العالمى، أى التأثيرات التى يرجع مصدرها للنظام العالمى. فعالمنا أصبح يتجه إلى الوحدة بفاعلية وسائل الاتصال والمواصلات.

٢- ليس من الضرورى لكى تصبح الواقعة ذات تأثير عالمى أن يشمل تأثيرها النظام العالمى أو تنتمى إلى بنائه الأساسى، وإنما من الممكن أن يصبح لواقعة معينة تأثيرها العالمى برغم انتمائها لمحلية محدودة فى اطار النظام العالمى. وفى هذه الحالة فإن تأثيرها يرجع إلى تماثل الظروف المحيطة بها مع الظروف القائمة فى المحليات الأخرى التى استوعبت تأثيرها.

٣- أن هناك بعض الآليات التى استحدثت فى النظام العالمى ساعدت على تأسيس عالمية المسألة الشبابية والظروف المحيطة بها. من هذه الآليات

التدرج الجيلى فى مختلف المجتمعات، هذا إلى جانب وسائل الاتصال وثورة المواصلات الحديثة، إضافة إلى وقوع بعض الأحداث التى شكلت مصدراً لالهام الشريحة الشبابية كالحرب الفيتنامية، وثورة الشباب فى ١٩٦٨.

٤- تتباين الاستجابة المحلية للتأثيرات العالمية بالنظر إلى البعد الجيلى من ناحية. كأن نجد أن أجيال الشباب أكثر استجابة للأحداث العالمية من أجيال الشيوخ، وذلك لطبيعة التجديد الكامن فى بناء شخصيتهم، بالإضافة إلى أن التباين قد يحدث من ناحية أخرى بالنظر إلى المجموعة الشبابية، فمن المؤكد أن الشباب المثقف والشباب الجامعى أكثر استجابة من الشباب العامل أو الفلاحين الشباب.

رابعاً: تأثير المتغيرات المحلية علي الشباب:

فى مواجهة التأكيد على المتغيرات العالمية باعتبارها المتغيرات الأساسية المؤثرة على الشريحة الشبابية بل والمخلقة لها، أكد بعض الباحثين أن أبنية المجتمعات المحلية هى المسئولة عن طبيعة الحركة الشبابية فى اطارها. وأن متغيرات السياقات المحلية هى التى تلعب دوراً أساسياً سواء فى تشكيل موقف الشباب، أو إكسابهم خصائص معينة. غير أنه لفهم السياقات المحلية لمجتمعات العالم الثالث فإننا نجد أن ظهور الموجة الاستعمارية قد شكلت البداية الحقيقية لنشأة العالم الثالث كتجمع رئيسى يحتل مكانة محددة فى بناء النظام العالمى، وكرست الحرب العالمية الأولى والثانية وعقود التنمية التى تلت حصول معظم مجتمعات هذا العالم على الاستقلال فى الخمسينات هذه المكانة. وظهر حوار خلال هذه المرحلة يدور حول البحث عن أفضل الطرق ملاءمة لتنمية العالم الثالث. وفى هذا الإطار ظهرت ثلاثة مواقف تجتهد كلها فى البحث عن مخرج لانطلاق هذا العالم.

(أ) فهناك موقف الصفوة العلمانية التى خاصمت التراث وأغلقت أبوابه

خلفها، ورأت التحديث على الطريقة الغربية هو أفضل محطات الانطلاق. ومن الطبيعى أن تجد مؤيديها بين الشباب الذين لديهم شوق دائم إلى التجديد.

(ب) وهناك موقف الصفوة التراثية، التى وافقت على جمود البناء والتراث كسلسلة مبدئية غير أن ذلك لا يعنى رفضه وإغفاله إذا أردنا تطوير المجتمع، بل علينا أن نتقدم به، وأن نثير مكامن القوة فيه، لكى تنمو من خلاله. ألم يكن هذا التراث هو الذى صنع مجتمعات الماضى القوية والمجيدة. ما نحتاجه إذا لكى ننمو، صفوة قادرة على التجديد. وإذا كان الدين هو جوهر التراث، فإن نظريه الدين لها بريق فى اطار الشباب.

(جـ) وهناك الصفوة التوفيقية الحائرة فى اختيارها بين مراحل التاريخ الخلاقة فى مجتمعها وبين الإنجاز الفعال القائم فى المجتمعات الغربية. ومن ثم فقد رفعت هذه الصفوة شعار الانتقائية. أن تخلق اطاراً تنموياً جديداً يضم أفضل عناصر الأصالة والتراث وفى ذات الوقت أرقى ممكنات التحديث. لتخلق مجتمعا به أفضل ما قدمته تجربة التحديث وأكفأ ما هو قائم فى التراث أيضاً (٢٤).

بيد أن هذه المواقف الثلاثة اتفقت على مسلمة أساسية مؤداها أن العالم الثالث يشكل عالماً مختلفاً عن العالم المتقدم. وهم فى ذلك ينطلقون من قضية واضحة تؤكد على فرق التطور بين محليات العالم الثالث من ناحية والعالم المتقدم من ناحية أخرى، وأن التطور قد وسع درجات الخلاف حتى تكاد أن تنتقل من خلاف فى الدرجة أو الكم لتصبح خلافاً فى النوع أو الكيف. ومن هنا فالدعوة لادراك المسألة الشبابية باعتبارها ترتبط بأبعاد وعوامل عالمية تعتبر دعوة متطرفة، وتحمل فى طياتها مخاطرة الإنزلاق إلى هوة تخلف أكثر رجعية. فالادعاء بأى تجانس أو اتفاق بين التقدم والمتخلف لا يعنى سوى تأكيد خضوع الأخير دون وعى للأول، وربما أيضاً عدم قدرته على الاستفادة من إنجازات التقدم التى قد يحققها المتقدمون. فهى زما أن تصيب المتخلفين بالتخمة والاعتلال وعدم القدرة على الهضم،

أو قد تصيبهم بالأنيميا الحضارية حينما يقفوا موقفاً استهلاكياً من منجزات التقدم، يستوعبون نتائجه دون أن يحاولوا تطوير مقدماته(٣٥). ويذهب دعاة الاهتمام بالأوضاع المحلية للعالم الثالث إلى أن الثورة العلمية بدلاً من أن تعمل على توحيد العالم، جعلت الهوة أكثر اتساعاً بين مجموعاته. ولنا أن نتساءل بعد إنحسار الاستعمار التقليدى، هل تقدم المتخلفون؟ أم أنهم تحولوا بالأحرى إلى مناطق للتنافس والصراع أو ساحة تصفى عليها قوى العالم المتقدم حساباتها وصراعاتها؟ لا ينبغى أن ننكر أن العالم يضم الآن قسمان، المتقدمون والمتخلفون، فما هو طريق الخروج من المضلة؟ ما هو أسلوب الادراك الأمثل لقضية الشباب؟ ليس هناك من طريقة سوى الحفاظ على الهوية المحلية، أى أن علينا أن نطور تصوراً منطلقاته داخلية أساساً. ولا يمنع ذلك من انتقاء متغيرت خارجية نرى أنها قد تساعد على تحقيق التقدم، شريطة أن تستوعب فى حياتنا، غير أنه من الضرورى مراعاة ألا يزيد ما ينتقى من حضارة التقدم على ما هو كائن فى حضارة الأصالة. ذلك سوف يؤدى إلى الإنطلاق الواعى نحو عالمية شاملة فى ظروف أكثر ملاءمة لنا كما هى كانت لغيرنا. فإذا حدث غير ذلك، الإنطلاق بغير وعى، فإننا قد نتوحد مع العالمية فى ظل ظروف غير ملائمة لنا، لأن فيها فناء لهويتنا، وربما اجتثاث وجودنا من أساسه. قد يقال أن حركة الشباب فى الستينات واحدة تقريباً، فصيغتها متماثلة، لا تخرج تقريباً عن الرفض والتظاهر أو الهروبية، ولكننا نؤكد أن المضمون لم يكن واحدا، حقيقة أن الرفض قد انتشر فى مجتمعات محلية عديدة. لكن لماذا؟ وكيف؟ ولأى هدف؟ كان ذلك موضع التباين وفقاً لطبيعة السياق الذى وجدت فيه حركة الشباب(٣٦).

يذهب دعاة البحث عن متغيرات التفسير فى البنية المحلية لمجتمعات العالم الثالث إلى أن ثمة مغالاة أو تجاوز فى تقدير آثار الثورة التكنولوجية على الشباب من خلال ثورة المواصلات المفتوحة القنوات. إلا أن الحسم النهائى يظل قائماً فى يد السياقات المحلية تسيطر عليه، كم من ش باب المجتمعات المتخلفة يتعرض لفاعلية هذه القنوات؟ كم من الشباب يقرأ ويكتب ويتابع تفاعلات مجتمعه المحلى؟ فما بالك بالتواصل مع العالمية؟

كم من الشباب يتعرض ابصارا أو سمعاً لفعالية هذه القنوات؟ حقيقة أن القنوات مفتوحة وتأثيرها منساب ومرسل، لكن هل إدراك المضمون يتم بسهولة وبلا عوائق؟ هذه هى القضية.

وبغض النظر عن رفض دعاة البحث عن متغيرات التفسير فى بناء المجتمع المحلى، لقدرة المتغيرات العالمية على التفسير، فإننا نجدهم ينظرون إلى الموقف فى مجتمعات العالم الثالث باعتباره أكثر معضلة وآثارة فيما يتعلق موقف الشباب وقضاياهم. فهذه المجتمعات تحاول اجتياز الهوة الكائنة بين وضعها المتخلف والوضع الذى تعيشه المجتمعات المتقدمة من خلال عملية التنمية الارادية المكثفة. وهى مكثفة لأن عليها أن تتجاوز هوة التخلف بسرعة مضاعفة لكى تعوض التغير والتقدم الذى حققته المجتمعات المتقدمة عبر قرون عديدة، ثم لكى تعوض التغيرات المعاصرة التى يحققها العالم الموتقدم، وقد يساعدنا فى ذلك أن هناك نماذج كثيرة للتنمية هى بمثابة خلاصة تجارب عانتها الشعوب المتقدمة، إلا أن الاختيار بين هذه النماذج صعب وتحكمه متغيرات – ذات صلة بتفاعل القوى العالمية – يتطلب اعتبارها حساب واع ودقيق(٢٧).

فمعظم هذه المجتمعات كانت تعيش اقطاعياً واستعمارياً، ومن ثم فقد تكون على كراهية تاريخية لنموذج التنمية الرأسمالية. ويصبح الخيار الباقى أمامها هو نموذج التنمية الاشتراكية بأى من درجاته وأنواعه. أولا لأن هذا النموذج فيه وعد كثير لكل الكادحين، وفيه أيضاً أسلوب لاستثمار قوى العمل والإنتاج من البشر. بيد أن الاختيار الاشتراكى قد يواجه فى هذه البلاد موقفاً صعباً، فقد تتعارض الاشتراكية مع بعض عناصر التراث أو الثقافة المحلية. ثم هى نموذجاً قد يلائم سياقاً دون آخر. ثم هى قدر لا تعطى عائداً سريعاً فى شعوب طالما عانت واستنزفت من كثرة العطاء فى المرحلة الاستعمارية. وهى مطالبة فى ظل الاشتراكية – لو لمرحلة – بعطاء جديد بالرغم من كونها جماهير عانت وناضلت واستقلت واختارت الاشتراكية لتأخذ، وبذلك تتخلق أرضية أساسية لظواهر فريدة ومعضلة(٢٨).

بغض النظر عن الاختيار الاشتراكى أو الليبرالى الذى تؤسسه الصفوات الحاكمة، فإن أياً من هذه الاختيارات غريب على التراث فى هذه المجتمعات، فهناك قناعة لدى الصفوة بضرورة التحديث - اشتراكياً كان أن ليبرالياً- ولو على حساب التراث، بل ومن الضرورى أن يتم ذلك على حساب التراث. بيد أن التراث والأصالة قيم مستوعبة فى بناء شخصية الأفراد داخل المجتمع من خلال مؤسسات التنشئة كالأسرة والمدرسة ومؤسسة العمل. فإذا حسم الاختيار على المستوى الصفوة، فإن صراع الاختيار سوف يبدأ على مستوى الأفراد فى المجتمع. قد ينتصر اختيار الصفوة فتجذب معها الجماهير على طريق التنمية ويحدث الانطلاق. وقد لا تستجيب الجماهير لهذا الاختيار فتعاند التحديث مختبئة وراء درع الأصالة والتراث. وهنا تحدث الكارثة، حيث تنادى الصفوة الاندفاع لتحقيق التنمية بينما الجماهير منسحبة أو تسير متلكئة ترفع فى صمت تساؤلاً لماذا لا يكون التحديث من خلال تجديد التراث؟ ولأن لشباب هم المستهدفون من التنمية، هم الذين يتفاعلون عضوياً مع نتاجها. فإن صرخاتهم تكون عالية. وحينما تتغافل الصفوة عن صرخات الشباب، فالعنف هو المطية الملائمة، وكلما امتلك المجتمع تراثاً فعالاً وقوياً كلما كانت احتمالات الصدام والعنف أكثر.

ذلك يدفعنا إلى استكشاف دقيق وواع لموقف الشباب فى سياقات المجتمعات النامية. ذلك أن الشخصية تعكس عادة ملامح السياق الاجتماعى الذى تعيشه وتتفاعل معه فالشخصية على ما يذهب علماء الاجتماع هى الوحدة المصغرة للبناء الاجتماعى وإن كانت فى ذات الوقت أحد عناصره. وفى الواقع الاجتماعى الأكثر تخلفاً والأكثر تقدماً تصبح الشخصية واضحة محددة الملامح، وذلك بالنظر إلى وضوح وتحذر ملامح السياق الاجتماعى، غير أن الوضع يختلف بالنسبة للمجتمعات الانتقالية أو النامية(٢٩).

وبالنسبة لعلاقة الشخصية الشابة بالتنمية، فإن العلاقة تصبح لها أبعاداً كثيرة. أبرزها أن الشخصية الشابة بطبيعتها شخصية إنتقالية إذا نظرنا إليها

على المتصل الجيلى . ومن ثم فهى تتصف عادة بعدم الاستقرار النسبى . وعدم التحدد النسبى للهوية والملامح . أما البعد الثانى فيتعلق بطبيعة السياق الاجتماعى، ومن الواضح أن سياق التنمية انتقالى بطبيعته، ومن ثم فملامحه غير محددة نسبياً . فكل شئ فى اطاره منساب ومنطلق كالنهر، تشكلاته عديدة، تتباين رأسياً وأفقياً فى كل لحظة زمانية . من هنا فإن ناتج التفاعل بين الشخصية والسياق الاجتماعى يتصف إلى حد كبير بعدم الاستقرار والدينامية ذات السرعات العالية(٣٠) . فى اطار ذلك تبرز المعاناة التى تخضع لها الشباب فى مرحلة التنمية، حيث البحث عن أسس ثابتة تحكم السلوك الواقعى بينما الواقع منساب وسائل . ويرجع عدم توفير هذه الأسس إلى عدم القدرة، أو لطبيعة المرحلة الانتقالية التى يمر بها المجتمع، وذلك فى حد ذاته معضلة(٣١) .

خامساً : الشباب المصري كنموذج للشباب العربي:

استعرضنا فى الصفحات السابقة وجهات النظر المتباينة التى تحاول تحديد المتغيرات المؤثرة فى الواقع الشبابى، سواء كانت هذه المتغيرات ذات طبيعة محلية أو عالمية أو هما معاً . وحتى لا يكون الحديث عاماً فسوف نتحدث عن وضع الشباب فى المجتمع المصرى باعتباره بالدرجة الأولى أحد المجتمعات النامية . ولأنه يعكس فيما يتعلق بقضية الشباب معظم التفاعلات التى تقع فى غالبية هذه المجتمعات وذلك لاعتبارات كثيرة . منها أن المجتمع المصرى يتميز بناؤه الدميوجرافى بالطابع الشبابى، فنحو ٥٨ ٪ من سكانه فى سن الشباب بين ١٥-٣٠ سنة . وهو واقع موجود فى غالب المجتمعات العربية والنامية . وثانياً لأن المجتمع المصرى يعانى بشكل حقيقى من معضلات المرحلة الانتقالية، بصورة حادة كما فى معظم مجتمعات العالم الثالث والمجتمعات العربية وثالثاً لأن المجتمع المصرى قد عانى من الصراع بين الجماعات التى تحكمها توجهات أيديولوجية متباينة، حيث كان التاريخ المصرى دائماً ساحة لمواجهات التصفية والصراع . ثم أن

المجتمع المصرى من ناحية رابعة هو المجتمع الذى يدور فى إطاره التفاعل ساخناً بين الأصالة والتراث من ناحية وبين رياح التحديث وتياراته من ناحية أخرى. وأخيراً فهو المجتمع الذى استفزت تفاعلاته توترات الشباب وطهارته، فانطلق يطلق الرصاص على من استفز مشاعره(٣٢) أليست هذه ملامح الشباب على خريطة الواقع العربى؟ذلك يعنى أن استعراض علاقة الشباب ببناء المجتمعات العربية والنامية من خلال معطيات الموقف فى المجتمع المصرى، يعنى أننا سوف نهتم بالتركيز على بعدين. الأول يتعلق بطبيعة المجتمع المصرى كأحد المجتمعات النامية التى نعلم كلنا أنها تعيش فى فترة متخمة بالتغيرات السريعة، والكثيفة والثورية. وأثناء ذلك قد تقع أخطاء وقد تحدث تصحيحات، والشباب هو المتحمل لآثار الخطأ وأعباء التصحيح، وتمتاز مرحلة التنمية أيضاً بتعرضها لمتغيرات عديدة ينبغى التعامل معها لكى نستوعب منها القدر الذى يدفع التنمية دون أن يطمس الهوية. ذلك يستوجب الاختيار الدقيق الذى قد لا يشارك الشباب فى فرضه بالقدر الملائم، وفى هذا الاطر تصحيح مشكلة الشباب هى إمكانية التعبير عن رأيه وعن قدرته على المشاركة الفعالة.

ويتعلق البعد الثانى بالكثافة الشبابى فى البناء الديموجرافى فى للمجتمع المصرى حسبما أشرنا. وهو الأمر الذى يعنى أن هذا المجتمع يمتلك ديناميه وإيجابية بناءه إذا حدث توظيف ملائم للطاقات الشبابية الفعالة، استثمار أفضل لقدراتها. فإذا لم يحدث ذلك، وإذا بقيت قدرة المجتمع غير قادرة على استيعاب هذه الطاقات الشبابية، فسوق يصبح المجتمع – حسبما يذهب علماء الاجتماع السياسى – مهدداً بانفجارات اجتماعية عديدة، قد تحمل قدراً من الفوضى، إلا أنها بالتأكيد سوف تؤدى إلى تدمير عديد من المظاهر الاجتماعية المعوقة. فنحن لا نعلم إلى أى مدى يتحمل شبابنا الذى يعانى من ظروف الاختناق فى مستوى المعيشة والمسكن، والمواصلات وممارسة حياته اليومية بشكل مؤثر. إلى متى سيصمت الشباب فى مجتمعنا، وهم

يشاهدون أحلى سنوات العمر تضيع نتيجة لعجز النظام الاجتماعى عن اشباع حاجاتهم، بما يوفر لهم حياة كريمة وملائمة خلال هذه المرحلة(٣٣).

نصل من ذلك إلى أن التغير ينتاب كل مجالات ثقافية كانت أم اجتماعية. بيد أن التغير فى رحلة التنمية يكون مكثفاً فى العادة، تستهدف من ورائه البلاد النامية تحقيق قدر من التطور الذى حققته المجتمعات المتقدمة فى قرون عديدة، ومن ثم فقد كان عبورها لهذا التطور متجانساً ومتسقاً. أما التطور فى البلاد النامية - لظروف عديدة - فعادة لا نجده متسقاً ولا متجانساً. ونتيجة لذلك توجه هذه المجتمعات خلال هذه العملية الدينامية المتحركة بمواضع ثابتة لا تتلائم فى درجة تغيرها مع الجوانب الأخرى، ومن ثم فهى قد تختلف أو حتى تتناقص مع منطق الحركة العامة. ومن الطبيعى أن يكون لهذا التناقض تأثيره ووطأته على الشباب خلال مرحلة التنمية.

وسوف نكتفى فى هذا الفصل بتوضيح علاقة الشباب المصرى بالمجتمع من خلال بعدين أساسيين الأول يتمثل فى البعد التاريخى، نستكشف من خلاله طبيعة ارتباط الشباب بالمجتمع، ومساحة المشاركة التى أتيحت للشباب. أما الثانى فيتعلق بفاعلية متغير الثقافة والقيم اطار الشريحة الشبابية، باعتبار أن الثقافة فى جانب منها نتيجة لتطور وميراث تاريخى، ثم هى التى تتحكم فى التفاعل الاجتماعى، وهو ما نعرض له من خلال الصفحات التالية(*).

---

* اكتفينا فى هذا المقام اتسعراض طبيعة المشاركة التاريخية للشباب المصرى من خلال استعراض طبيعة العلاقة بين الشباب والمجتمع، وكذلك علاقة الشباب بالسياق الثقافى للمجتمع وقيمه. وفى الفصل التالى سوف نعرض لعلاقة الشباب بمكونات البناء الاجتماعى، أى علاقته بالنظر الاجتماعية المختلفة.

١- الشباب المصري والمجتمع. تحليل تاريخي:

لا ينبغى أن تحجب التفاعلات المعاصرة، التى كان الشباب المصرى طرفاً فيها، عن أنظارنا الدور التاريخى لهذه الشريحة. فقد كان الشباب فى تاريخنا المصرى دوراً بارزاً. كانت لهم قضاياهم وكانت لهم مواقفهم من قضايا مرحلية كانت ذات أهمية اجتماعية خلال مراحل التاريخ المختلفة. قد تختلف قضايا الأربعينات عن قضايا الخمسينات أو الستينات أو السبعينات. وسوف تختلف هذه القضايا بالتأكيد عن قضايا الثمانينات أو التسعينات أو سنة ٢٠٠٠ غير أن القاسم المشترك بينها كلها يتمثل فى المشاركة الإيجابية من قبل الشباب فى مواجهة هذه القضايا.

وبنظرة سريعة إلى التاريخ المصرى الحديث فإننا سوف نجد أن شباب الفلاحين هم الذين حملوا معول محمد على فشقوا الترع والقنوات وإستزرعوا الأرض، واستنبتوا أحدث المحاصيل، ومن ثم فقد أسسوا تنمية مصر ورخاءها خلال هذه المرحلة شباب الفلاحين هم الذين تولوا تجسيد أحلام محمد على وخياله واقعاً يفرض نفسه على جغرافية هذا العالم، ويطرح العظمة المصرية وإمكانياته فى الانتشار ابتداء من هضبة الأناضول على مشارف أوروبا وانتهاء بأعماق أفريقيا فى جنوب مصر.

وشباب الفلاحين أيضاً هم الذين دفعهم وعيهم التاريخى بمصالحهم إلى الاهتمام بقضايا سياسية عامة كانت ذات أهمية حادة بالنسبة للمجتمع المصرى خلال هذه المرحلة. إذ نجد فى أوراق الثورة العرابية محاضر وعرائض وقعها أو بصم عليها شباب الفلاحين أو عمال تراحيل فى مصر، الذين كانوا يعملون فى حفر الرياح التوفيقى، يفوضون بها أحمد عرابى للدفاع عن القضية المصرية. قد يقال أن بصماتهم وتوقيعاتهم جمعت عن غير وعى منهم، والرد على ذلك أننا جميعاً ندرك مدى حرص الفلاح المصرى على معرفة ما يبصم أو يوقع عليه، حتى لا يفقد فى مقابل ذلك أرضه، وهو الإنسان المرتبط عضوياً وتاريخياً بها (٣٤).

في ثورة ١٩١٩ كانت هناك تحركات واسعة وحادة تحمل عبئها شباب الفلاحين، حقيقة أن هناك صعوبات كثيرة أمام رصدها، إلا أن ذلك لا يجب أن يكون مدعاة للتجهيل، وشباب الأزهر – أبناء الفلاحين والفقراء – الذين هاجروا سعياً إلى المعرفة واجهوا الرصاص بصدورهم زودا عن الوطن وتلبية لدواعى النضال. ولا نستطيع الجزم بأن شباب الحضر عمل الحرف قد غابوا عن المشاركة فى هذه المرحلة النضالية بل أن البحث الدقيق سوف يصل إلى الوثائق التى تؤكد ذلك.

ويكشف تاريخ الفترة الواقعة بين ثورة ١٩١٩ وأحداث ١٩٤٧/٤٦ عن تميزها بايجابية الشباب. فلدينا الأدلة والبراهين التى تؤكد تصدر الشباب المصرى لقيادة الحركة الوطنية خلال هذه المرحلة ليس فى المجال الدينى والسياسى فقط، ولكنه اتسع ليشمل كافة المجالات الاجتماعية الأخرى. فقد إمتدت الإيجابية حتى وصلت إلى حمل السلاح فى مواجهة المستعمر فى شكل تنظيمات الكتائب التى برز وجودها فى الفترة السابقة على ١٩٥٢، لمحاولة إخراج المستعمر القوة المسلحة فى أحين أخرى كان الرصاص المصرى يتجه إلى صدور زعامات استعمارية أو زعامات مصرية متعاونة مع الاستعمار قد ندين الاغتيال السياسى، إلا أن مقتل السردار فى مصر يجب أن يدرك باعتباره تعبيراً عن إيجابية الشباب لرفض الاحتلال الجاثم على أرض الوطن(٣٥).

قد يرى البعض أن وجود الاحتلال الكائن فى أرض الوطن هو الذى ألهب شعور الشباب وحماسه للنضال، وهو الوضع الذى كان من المنطقى أن يستنير كبرياء المصريين وفى مقدمتهم الشباب باعتبارهم مرهفى الاحساس، لكن ماذا عن الجمعيات التى شكلها الشباب فى مطلع القرن العشرين لمحو الأمية؟ فقد تأسست هذه الجماعات باعتبارها تنظيمات مساعدة للحزب الوطنى لحو الأمية(٣٦). كان الطالب فى اطارها يكلف تكليفاً محدداً فى عطلة الصيف بعد الفراغ من الدراسة، أن ينشئ فى قريته جمعية أو مكاناً

صغيراً يجمع فيه الفلاحين ويعلمهم مبادئ الكتابة والقراءة، بل جند شباب الأعيان أيضاً لتوفير الاحتجاجات المادية الملائمة لإنجاز هذا التكليف(٣٧).

وفى ١٩٤٦/١٩٤٧ تأسست لجنة الطلبة والعمال، بحيث اعتبرت إحدى القيادات البارزة للحركة الوطنية فى هذه المرحلة. حقيقية أن هذه اللجنة لم تعمر طويلاً، وانهارت بسبب الخلافات الداخلية بين الطلبة والعمال حول أسلوب النضال ومنهج التحرك السياسى. إلا أنها كانت كلها اختلافات تكتيكية حول استراتيجية رفض إجراءات المؤسسات الحاكمة، وأسلوب القيام بتحديات كثيرة يتصدى من خلالها الشباب لهذه الإجراءات. ويمكن القول بتنوع الجماعات الشابية المناضلة خلال هذه المرحلة، أيضاً تنوع الأهداف التى تستنير النضال، ابتداء من الأهداف السياسية إلى العسكرية إلى الدينية إلى الاجتماعية. بحيث بلغت المواجهة بين الشباب من ناحية والاستعمار والسلطة المتعاونة معه من ناحية ذروتها فى حريق القاهرة سنة ١٩٥١(٣٨).

ذلك يعنى أن المشاركة الشبابية فيما قبل ١٩٥٢ كانت موجودة وبارزة. فهى مشاركة تخطت حاجز الكلمات إلى حمل السلاح وإطلاق الرصاص وحتى إحراق البيت على ساكنيه. وإلى جانب هذا الاستعداد الإيجابى للفداء، إمتدت المشاركة إلى المجال السياسى وإلى كافة المجالات الاجتماعية والثقافية وذلك بهدف النهوض الشامل بالمجتمع ذلك يجعلنا نطرح تساؤلاً لابد من المصارحة به، ماذا حدث لهذه المشاركة فيما بعد ١٩٥٢؟ ما الذى حول هذه الريجابية إلى سلبية أو لنقل حيادية أو لا مبالاة لما يحدث فى المجتمع؟ ما هى العوامل المسئولة عن تغير علاقة الشباب المصرى بمجتمعه فيما بعد هذا التاريخ، الإجابة على ذلك تطرح أمامنا عوامل وظواهر عديدة(٣٩).

منها أن الثورة المصرية التى قامت فى ١٩٥٢ كانت كأى ثورة فى حاجة إلى إيمان تعتقد فيه. فقد كان الثورة الفرنسية إيمانها ومثلها. كذلك للثورة البلشفية، وتكمن أهمية الإيمان فى كونه يساد على تأسيس فكر

اجتماعى وسياسى متماسك حتى لا يتمزق الفكر الشبابى ويضيع سدى فى أى اتجاه ما حدث أنه فى أعقاب ثورة ١٩٥٢ لم يتوفر وضوح كاف لمثل هذا الإيمان. بل إننا نجد أن الفترة الأولى من عمر الثورة ١٩٥٢-١٩٦٠ كانت محاولة دؤوبة للبحث عن هذاالإيمان،ونتيجة لذلك تعددت انتماءات المجتمع والثورة بين الانتماء الأفريقى والعربى الاسلامى والليبرالى والاشتراكى، وقد انعكس ذلك على سلوك البشر وتفاعلاتهم فى المجال الواقعى. ومن ثم افتقد المجتمع إمكانية تأسيس النماذج الواجب إحتذاؤها هل هى فردية رأسمالية أم جماعية اشتراكية، أم أنها تنتمى إلى التراث والدين والأصالة؟ وفى ظل ذلك تميعت القيم والمثل لغياب الإيمان الذى تتخلق عنه هذه القيم والمثل. هذا بالإضافة إلى عدم تأسيس القنوات الحرة والملائمة التى يمكن أن تيسر إنسياب الفكر الشبابى من خلال الحوار المخلص والصريح لكى يسهم فى إمكانية تخلق إيمان يقود المسيرة(٤٠).

بالإضافة إلى ذلك وابتداء من ١٩٥٢ بدأ التخطيط للشباب والعمل الشبابى يأخذ شكل الوصية. بل إمتدت هذه الوصاية أحياناً لتشمل المجتمع المصرى بأكمله وفى جو الوصاية هذه، رفضت المشاركة كفكرة أساسية، وهو رفض مازلنا نعانى منه حتى الآن. ولقد أدى فرض الوصاية ورفض إمكانية المشاركة، وهدم قيم المجتمع القديم دون تأسيس فعال لسياق قيمى فعال يقود مسيرة التنمية فى مجتمع الثورة إلى تخلق نوع من الفراغ، الذى انصرف الشباب فى اطاره إلى عديد من التنظيمات اليسارية واليمينية، حتى الجماعات الرافضة لكل ذلك، باعتباره تغريبا وعلمانية ومن ثم فالدعوة للعودة إلى الدين فى أصوله فى اطار هذا الفراغ برزت فجوتان: الأولى تتعلق بافتقاد القدرة والمثال، وتكمن الثانية فى الفارق بين ما يقال وما يمارس. ومن ثم فقد كان من نتيجة ذلك أن إنتقل الشباب المصرى من مرحلة المشاركة الفعالة والقيادة الرائدة التى حدثت قبل ١٩٥٢، إلى مرحلة السلبية والهجرة سواء كانت مادية جغرافية أو معنوية سيكولوجية. يعيش فى

اطارها الشباب غريباً عن واقعه فاقداً الانتماء له. إذا فقد جاءت مرحلة السلبية فيما بعد ١٩٥٢ أثر مرحلة الإيجابية البارزة التى سادت قبل ١٩٥٢، بحيث مهد ذلك المناخ لسيادة مرحلة من الرفض بأشكاله العديدة، وسواء كان رفضاً شبابياً من الداخل، حيث الأقدام ما زالت على تراب الوطن حتى ولو كان التعذيب والقهر هو رد الفعل المقابل، أو كان هروباً من المجتمع إلى خارجه، حيث تحولت البيئة المصرية لأول مرة فى التاريخ إلى البيئة طاردة. وأصبحنا نجد المصرى الذى يؤكد عنه التراث أنه محب لوطنه متمسك به – مهاجراً إلى حيث عالم يعيش فيه بلا وطن بعيداً عن العزلة والقهر. وقد استهلكت هذه الفقرة حقبتى الستينات والسبعينات ومع بداية الثمانينات تحول الرفض إلى العنف المسلح الذى أطلق الرصاص تحت وطأة القهر والإثارة، والسؤال الذى نطرحه، لماذا حدث كل ذلك؟

البحث عن إجابة لهذا السؤال يكشف أن المجتمع المصرى قد تعرض فى أعقاب ١٩٥٢ لمجموعة من الأحداث والظواهر التى هزت توازنه مع أساسه، ففى ١٩٥٢صدرت قوانين الاصلاح الزراعى والتى كانت تعنى شكلاً ومضموناً التبشير بمنطق أيديولوجي جديد. وفى هذا الإطار ضربت القوى الاقطاعية وحررت قوى الفلاحين المعدمين. وفى ١٩٥٤ حسمت الثورة اتجاهها العلمانى مؤكدة أن الدين تحت الدولة، واستوجب ذلك ضرب الجماعات الدينية. واستمر الحال على هذا النحو حتى ١٩٦١ صدرت مجموعة قرارات التأميم التى أكدت المنطلقات السابقة وسارت شرطاً فى تعميقها، بحيث شهدت هذه المرحلة انتقالاً واضحاً ومحدداً نحو المنطلقات الاشتراكية. حيث أدت هذه المنطلقات إلى إعادة ترتيب التوازن فى الحضر مثلما أعادت قوانين ١٩٥٢ وما بعدها ترتيب التوازن فى الريف، غير أن ذلك أضر بصالح جماعات ومنح أخرى مصالح جديدة عليها. وبرغم وضوح التوجه الأيديولوجى، غير أن هذا التوجه اقتصر على الصفوح

الحاكمة ولم يتسرب إلى الجماهير لعدم إمتلاك الصفوة الوسائل التى من خلالها يمكن تربية الجماهير اشتراكياً. هذا إلى جانب أن النظام السياسى بدأ يدرك أنه ينبغى أن يكون قوياً فى مواجهة القوى المتربصة فى الداخل والخارج، وهو الاعتقاد الذى شكل أرضية لممارسات من القهر والكبت والدكتاتورية وإبعاد الجماهير عن المشاركة، وهنالك قول صريح حاول أن يصور هذه المرحلة حينما ذهب(إلى أن بمصر اشتراكية بلا اشتراكيون)(٤١).

وفى ١٩٦٧ واجه المجتمع المصرى هزيمة عسكرية ساحقة لم تظهر فقط ضعف المؤسسة العسكرية ولكنها أظهرت أيضاً عجز هذا النظام عن مواجهة آثارها التى انتشرت فى كل الأرجاء. بل أن هناك مفكرون يؤكدون أن الآثار النفسية لحرب ١٩٦٧ سوف تستمر لسنوات كثيرة قادمة. حيث أدت الهزيمة ومحاولة إعادة البناء العسكرى من جديد إلى تواجد الشباب المثقف بكثافة داخل القوات المسلحة. تخرجوا من كليات الطب والآداب والتجارة والهندسة وأرسلوا إلى الجبهة مباشرة دون أن يمارسوا مهنهم أو يتعرفوا عليها لفترة كافية، فقدوا خلال هذه المدة تخصصاتهم واستقرارهم، وهى الحالة التى سوف يكون لها آثارها الكثيرة والمتنوعة(٤٢).

ثم جاءت الفترة بين ١٩٦٨-١٩٧٣ لتفرض آثار الهزيمة والاستعداد للمعركة كعامل جديد فى الموقف الاجتماعى. فقد كانت القضية الأساسية خلال هذه الفترة هى تحرير الأرض غير أنه خلال هذه المرحلة وقعت أحداث جسام. فقد مات الزعيم الذى شكل إلهاما لفترة تاريخية كاملة، وأدرك الشباب أن المثال قد مات، وماتت معه نضالات وأحلام فترة تاريخية كاملة وأنهم على أبواب عهد جديد أو لنقل على أبواب المجهول. وعلى عتبة المجهول تربصت لقوى الاجتماعية ببعضها البعض، كل منها تعيد حساباتها من جديد تأهباً لما هو قادم. وبدأ النظام السياسى يغير هويته. يصبح ليبراليا بعد أن كان اشتراكياً. وتحول الشباب وهم الطلائع الاشتراكيون ليجدوا أن صيغة الحزب الواحد قد تحولت فجأة إلى أجنحة ثم

إلى أحزاب ذات توجهات أيديولوجية متباينة(٤٣) .وبدأ نقد الاشتراكية والناصرية والترحيب بالإنفتاح والرأسمالية فى الخطب العامة، وفى ١٥ مايو تم القضاء على آخر رموز النظام الاشتراكى، واستقبلت زعامة النظام رواد الاستثمار ورجال الإنفتاح. وأدرك الشباب أن النظام السياسى على وشك أن يفقد إيمانه القديم وأنه يستهل الاعتقاد فى إيمان جيد أو هو على وشك أن يرفع راياتا جديدة. ولقد زاد درامية الموقف إعلانات النظام السياسى خلال هذه المرحلة بنية الحرب دون إنجازها، فى حين أن الشباب لا يرى مبرراً للتقاعس، عنها بحيث كان ذلك مبرراً لتوترات وتظاهرات وعنف منتشر.

وفى الفترة من ١٩٧٣ وحتى ١٩٧٧، قام النظام بحربه الناجحة لتحرير التراب الوطنى، غير أنه برغم هذا الإنجاز الهائل قدم عناصر توتر جديدة. فقد فتح الباب على مصراعيه أمام القطاع الخاص رواد الإنفتاح، وليولى عصر الاشتراكية إلى غير رجعة بالإضافة إلى ذلك بدأ النظام يغازل التيار الدينى بل وجعله أساساً بعض شرعيته، فى هذه الفترة ظهرت القاب (الرئيس المؤمن) وأخبار عن (الخلوة) فى وادى الراحة وغيرها. وكان النظام بذلك يحاول ضرب الجماعات المناوئة له والتى حاولت انتقاص شرعيته. وانتشرت (البوتيكات) السلع الاستهلاكية المثيرة، والتى استفزت كثيراً فقد الفقراء. وبدأت تتخلى تدريجياً عن بعض الالتزامات الاشتراكية ذارت الطابع الجماهيرى، حيث بدأ الحديث عن عدم الالتزام بتعيين الخريجين، وعن رفع الدعم عن طعام الفقراء وعن الجامعة الأهلية أثارت كل هذه التطورات مشاعر الشباب، فهم المستهلكون أو المثارون بسلع الاستهلاك، وهم أعضاء الجماعات الدينية التى يؤيدها النظام أو الجماعات اليسارية التى يبغضها النظام، هم الذين أباحت لهم الاشتراكية مجانية التعليم، وهم الذين التزمت الدولة او الايديولوجيا الاشتراكية أمامهم بتوفير فرص العمل. وأدرك الشباب أن الرمال بدأت تنساب من تحت أقدامهم، ومن ثم لابد من الرفض أو الهروب أو الاثنين، وقد كانت هذه السلوكيات جميعاً.

وابتداء من ١٩٧٧ وحتى ١٩٨١ وقعت أحداث جديدة اكتوى الشباب بنارها، فقد انتشر سرطان الانفتاح الاستهلاكى وظهرت سريعاً القطط السمان و (الأرانب) وتغيرت لغة الحياة اليومية، وظهرت مساكن التملك، وتأزمت مشكلة الإسكان والمواصلات والدخل، وفى قلب هذا الألم المحيط يعلن النظام السياسى زيارة القدس تمهيداً للصلح مع إسرائل فى كامب ديفيد. وأدرك الشباب أنه أمام صورة معكوسة، كنا اشتراكيون فأصبحنا انفتاحيون، كنا حلفاء للقوى الاشتراكية فأصبحنا هوامش للمراكز الرأسمالية، كنا ندعم القطاع العام فأصبحنا نعرضه بضاعة لمن يشترى فى السوق، يرفع النظام السياسى صوته الإسلام والدين كأساس للشرعية، بينما تنمو الرذيلة تنمو مستشرية فى شارع الهرم، وأدرك الشباب أنه أمام خدعه كبرى، ولقد كان المتدينون – حلفاء النظام– هم أول من اكتوت مشاعرهم وأجسادهم بناره، وأصبحنا بذلك أمام تمزق جديد، إلى أن دون طلقات الرصاص تعلن عن العنف الناتج عن التمزق(٤٤). ولتضع نهاية درامية لمرحلة متوترة ومحبطة.

لا شك أن هذا القدر من التحولات التى وقعت فى إطار المجتمع المصرى تحتاج إلى إنسان جديد قادر على استيعاب كل هذه التنقلات الاجتماعية الكبيرة دون أن يحدث له توتر أو قلق. وإلى حد كبير، فقد أدت هذه التحولات إلى تأسيس نوع من التسيب الأيديولوجى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى الذى أدى إلى فى النهاية إلى اهتزاز ملامح الشخصية الشابة، وظهرت تساولات: من نحن؟ وإلى أين نسير؟ هل نحن عرب أم مسلمين أو أفارقة أم أننا كل ذلك؟ هل نتبع منطقاً اشتراكياً زو رأسمالياً؟ هل نضع أنفسنا مع القوى الاشتراكية أم القوى الرأسمالية؟ ما هى طبيعة علاقتنا بإسرائيل، هل نحن أمام تحالف جديد أم هدنة بعد عداء؟ قد تكون هناك إجابات توفيقية لذلك. إننا عرب ومسلمون، وأفارقة، وإننا رأسماليون لكن لا يمنعنا ذلك أن نرفع شعارات الديمقراطية والحرية والعدالة الاجتماعية. أننا نؤيد القطاع الخاص والعالم معاً، غير أن ذلك لا يحل

المشكلة ففى تحديد هوية الإنسان لذاته لابد أن يؤسس نوعاً من الأولويات التى تستند إليها الشخصية، وإذا لم يتمكن من تحقيق ذلك، فإنه عادة ما يشعر فى داخله بالتمزق، ويكون لذلك تجلياته ومظاهره العديدة فى اطار الشخصية والسياق الاجتماعية على السواء.

كيف السبيل إذا؟ كيف الخلاص من احتمالات التمزق؟ الإجابة أننا نحتاج فى هذا الإطار إلى وجود فكرى ونحتاج إلى إطار واضح ومحدد المعالم يتمثل فى تأسيس المجتمع الذى يتملك القيم التى يعتقد أنها قادرة على قيادة المسيرة التنموية، يصونها ويدافع عنها. هذه القيم التى ارتضاها المجتمع لابد وأن يستوعبها الشباب بعد أن يشارك بالحوار والتعبير الصريح فى خلقها، فذلك يحميه من الحياة فى مناخ من البلبلة، التى قد تسلمه إلى إختبارات متطرفة غير ملائمة لتحقيق الحوار والمشاركة ولكونها لا تتفق مع مصالح المجتمع ومسيرته، والمجتمع هنا ليس هو السلطة. فليس هناك دفاع عن قيم السلطة. لا يجب أن يكون هناك وجود لقيم السلطة منفصلة عن قيم المجتمع. ما طرح فى الفترات السابقة كان قيم السلطة. أما قيم المجتمع فيجب أن تتأسس فى مرحلة التنمية من خلال تطوير تراثه الذى يتفاعل مع ما تفرضه المعاصرة من متغيرات.

إذا لم يتحقق ذلك فسوف تواجهنا اختيارات تمزق قاتلة. أبسطها ما يمكن أن نسميه بالجماعات الأيديولوجية الهاربة من قيم النظام إلى حيث أيديولوجيات التحديث المتعددة والمتناقضة، أو إلى الدين والأصالة والتراث، أو تكاثر تنظيمات الإنحراف والجريمة لابد أن نظر فى هذا الإطار إلى الجماعات اليسارية أو الدينية باعتبارها قد اتجهت إلى الماركسية أو إلى الدين لأنها لم تنشأ على إيمان أيديولوجى محدد. ولأنها تفتقد ذلك فقد اتجهت إلى الدين أو الماركسية باعتبارها الاطارات التى يمكن أن تنتقد الواقع بمشاكله وظروفه بالنظر فيها، بل إن ذلك يعتبر شاهداً على عدم قدرتها على السير فى الحياة اليومية وعجزها عن تحمل أعبائها من خلال منطقه وتوجهاته.

وفى النهاية فإن هذا البحث عن اطارات ايديولوجية أخرى. هو اندفاع إليها فى أصولها المثالية، والمثالية تحتاج إلى جهد كبير جتى تكون قادره على مواجهة مشكلات الواقع، وإلا اعتبر ذلك هروباً من واقع حياتنا المتفاعل والمتطور.

تكشف النظرة المتفحصة لهذه المسيرة التاريخية عن بروز مجموعة من الملامح الأساسية التى تبلورها فى مجموعة النتائج التالية:

١- أولها افتقاد النظام السياسى لامتلاك توجه أيديولوجى واضح محدد المعالم، وله استمراره التاريخى، حتى وإن امتلك فى بعض الفترات بداية للاعتقاد الأيديولوجى فإنه لم يمتلك الوسائل التى يمكن بالنظر إليها تنشئة الشباب فى المجتمع حسب قيم النظام وتوجهاته الأيديولوجية. الأمر الذى أدى إلى نوع من التنشئة الأيديولوجية ذات الطبيعة العشوائية.

٢- الإنفصال بين قيم النظام السياسى وقيم المجتمع المدنى. وإذا كان النظام السياسى قد غير كثيراً توجهاته القديمة والأيديولوجية فى مواجهة ثبات قيم المجتمع. فقد ظلت الأخيرة قوية ولها سيطرتها على الأفراد وخاصة الشباب فى المجتمع، ولما كان الدين يحتل مكانة جوهرية بالنسبة لقيم المجتمع، فإن الهروب فى معظم لحظات التاريخ كان نحو قيم الدين التى هى قاعدة المجتمع (٤٥). لأنها الأعمق إذا قورنت بقيم النظام السياسى.

٣- بالنسبة للشباب المصرى هناك تحول من الإيجابية التى تتجلى فى العمل على ترقية الواقع الاجتماعى أو النضال ضد القوى السياسية، إلى السلبية حيث الانسحاب من السياسة والاقتصاد والمجتمع. بيد أن هذا الانسحاب لم يكن سوى مقدمة لإيجابية أكثر عنفاً وتمرداً مما ساد فى المرحلة الأولى.

٤- أنه لكى نحافظ على إيجابية الشباب وارتباطهم بالنظام الاجتماعى فلابد

أن يمتلك النظام السياسى إيماناً، وأن يكون هذا الإيمان استمراراً لأفضل عناصر التراث والأصالة قدرة على التجدد الفاعلية، ولأكثر متغيرات التحديث ملاءمة لقيادة تقدم المجتمع ودفعه بعيداً عن التمزق. بيد أنه من الضرورى إذا تشكل هذا التوجه الأيديولوجى أن تؤكد المؤسسات – التى تتولى تدريب الأفراد – على قيم التوجه الأيديولوجى الجديد، التى هى قيم النظام، وهى فى نفس الوقت قيم المجتمع.

٢- فاعلية متغيرات الثقافة والقيم في إطار الشباب:

تتضح الأهمية الجوهرية لقيم الثقافة الأيديولوجيا من تصورنا لطبيعة الأقسام الأساسية لبناء المجتمع. وفى هذا الإطار نجد أن هذا البناء ينقسم إلى نسق الثقافة والقيم والنسق الاجتماعى ونسف الشخصية. وعادة ما تترابط هذه الانساق عضوياً فى اطار السياق الواقعى، ومن ثم فالتغير فى أحداها لابد أن تنعكس آثاره على الانساق الأخرى. غير أن هذه المقولة لا يمكن قبولها على اطلاقها، فهناك فارق بين التغير الذى يحدث منبثقاً عن نسق الثقافة والقيم، وبين التغير الذى يحدث فى أى من الإنساق الثقافية، فى قيم وأيديولوجيا المجتمع تكون له فى العادة أثارة على كل أجزاء بناء المجتمع. وذلك لطبيعة التحكم السوبرنطيقى الذى تمارسه الثقافة بالنسبة لأجزاء البناء الاجتماعى الأخرى ومن ثم فالتغيير فيه لا يمكن تحييد آثاره، بينما من الممكن تحييد التغيرات التى قد تنبثق من أجزاء البناء الأخرى حتى لا تؤدى إلى تغييرات جذرية شاملة(٤٦).

وتنبثق قوة الثقافة والقيم كعنصر فى البناء الاجتماعى من خلال بعدين، الأول أنها تعتبر نتاجاً مباشراً للتفاعل الذى حدث بين عناصر الواقع الاجتماعى، ومن ثم فهى تعتبر إنعماساً مجرداً لهذا الواقع، وهى– أى الثقافة– وإن اكنت نتاجاً له إلا أنها تتحول لكى تتولى ضبط تفاعله وإيقاعه، والثانى أن الثقافة ليست أنعكاساً مباشراً فقط ولكنها تتضمن بداخلها بعد تاريخياً، فهى امتداد من ناحية أخرى لتراث ثقافى سابق، وهو الأمر الذى

يكسبها استقلالاً عن الواقع وإن كانت فى بعض جوانبها مجردة عنه(٤٧).
وتحتوى الثقافة بداخلها على مجموعة القيم التى يمكن أن تؤدى دورها فى المجالات الإدراكية والتقويمية والوجدانية، ثم أنها تشتق منها مجموعة المعايير التى تصبح الوسائل الواقعية والملموسة والقادرة على توجيه السلوك على المستوى الاجتماعى والفردى، سواء بالنسبة للفرد أو الجماعة.

وإذا كانت الثقافة تتكون من القيم التى تشكل توجهاً عاماً للمجتمع يضبط سلوكه فى اتجاه معين ,فإن الإيدولوجيا هى مجموعة القيم والمبادئ والأفكار التى تشكل فى مجموعها اتجاهاً عاماً يتبناه النظام الاجتماعى والسياسى تجاه قضايا ذات أهمية استراتيجية أو تكتيكية بالنسبة للمجتمع (٤٨). ومن ثم تعتبر الإيدولوجية أضيق نطاقاً من الثقافة إذا نظرنا إليها من منظور تاريخى ,فهى عادة تهتم بالتفاعلات المعاصرة توجهها لكى تسلك مسلكاً محدداً فى اطار التاريخ والمستقبل(٤٩).

والحالة المثالية هى الحالة التى يحدث فيها تطابقاً تاماً بين مجموعة المعايير على المستوى الفردى من ناحية ,وبين إيدولوجيا النظام السياسى والاجتماعى من ناحية ثانية ,وبين ثقافة المجتمع وقيمه الناتجه عن التفاعل أو التى تعتبر امتداداً للتراث من ناحية ثالثة. فى هذه الحالة يمتلك المجتمع اتساقاً ثقافياً وقيمياً كاملاً. بينما إذا حدث إنفصال بين المستويات الثلاثة المشار إليها ,أو بين إثنين منها ,فإن ذلك سوف يؤدى إلى قيام ظواهر كثيرة ناتجة عن عدم الاتساق هذا. وهى ظواهر تعانى منها كثيراً المجتمعات الإنتقالية والنامية ,وقد تجاوزتها أبنية المجتمعات المتقدمة.

وفى دراسة موقف الشباب من البنية القيمية والثقافية للمجتمع نجد أن ثورات الشباب بذاتها قد حدثت كجزء من التغيرات الثقافية الشاملة التى إنتابت مجتمعات النظام العالمى ,ويعتبر التغير الذى يتمثل فى انتقال المجتمعات من التأكيد على ابداع القيم الجماعية التى تتجه من خلالها إلى المستقبل وتشارك فيها ,إلى التأكيد على الصياغة النظامية -In

stitutionalizationاستيعاب هذه القيم .من اكثر التغيرات التى واجهتها أعقب مجتمعات النظام العالمى .ويرتبط هذا التغير فى التأكيد بقوة على تغير هام آخر يتمثل فى تغيير نمط الاحتجاج القائم فى المجتمعات الحديثة. وهنا .وكما حدث فى حالات كثيرة .حينما يتم استيعاب الأهداف والتوجهات التى تم إبداعها كارزميا .وتصاغ نظامياً (من خلال الاستقلال السياسى .وتوسيع نطاق المشاركة السياسية .والتغيرات الثورية للنظم أو تأسيس سياسيات دولة الرفاهية .وما أشبه ذلك) .فإن ذلك يؤدى إلى ظهور عمليات جديدة من التغير .إلى سلسلة جديدة من التوترات والمشكلات .وإلى بؤر جديدة للتمرد والاحتجاج .ومن الضرورى أن نؤكد أن ذلك قد حدث لحركات ومناشط الشباب .وذلك حينما تمت الصياغة النظامية للقيم والأهداف التى جاهدت هذه الحركات الشبابية لتحقيقها .حيث تم استيعاب هذه القيم والأهداف من خلال الموافقة عليها كجزء من بناء المجتمعات التى ظهرت فيها هذه الحركات. وقد حدث ذلك فى معظم المجتمعات الحديثة .فمثلاً تم الصياغة النظامية الكاملة لحركات الشباب فى روسيا من خلال تنظيم الكومسمول Komosomol. وقد حدثت الصياغة النظامية لأيديولوجيات وجماعات الشباب فى كثير من الأقطار الأوربية من خلال الارتباط بالأحزاب السياسية. هذا إلى جانب الموافقة عليها كجزء من النظام التعليمى. وفى الولايات المتحدة .تمت الموافقة على تنظيمات كثيرة باعتبارها تمثل جانباً هاماً فى حياة المجتمع المحلى .وإلى حد ما .تعتبر المشاركة فيها رمزاً لتباين المكانة الاجتماعية. وقد أصبحت حركات الشباب المنظمة فى كل من آسيا وإفريقيا مكون أساسياً فى التنظيمات التعليمية الرسمية (٥٠).

وقد أدت عمليات الصياغة النظامية المتعددة هذه .والتى استهدفت استيعاب القيم الكارزمية ذات الطابع الجماعى، إلى تغيير بؤرة الاحتجاج فى المجتمعات الحديثة بصفة عامة واحتجاج الشباب بصفة خاصة .ويضم هذا النمط الجديد من الاحتجاج أو عدم الرضاء بداخله أنمط كثيرة، فبعد أن

تأسست المراكز الاجتماعية الحديثة ,وهى المراكز الأكثر وضوحاً واستمراراً, والتى تتركز حولها ادعاءات ومطالب الجماعات التى مازالت تشعر بأنها محرومة من الامتيازات التى تتمتع بها هذه المراكز ,أو التى تدرك الفوائد النسبية التى تحصل عليها هذه المراكز. وفى هذا الصدد ,هناك بعض الأقليات – كالجماعات القومية والإثنية فى الأقطار الأوربية ,والزنوج فى الولايات المتحدة ,وبصفة عامة الجماعات الفقيرة أو التى تنتمى إلى الشرائح الدنيا والتى تتجاهلها دولة الرفاهية – هى التى تعتبر مسئولة بصفة أساسية عن حركات الاحتجاج والرفض (٥١).

ويمكن القول بأن هذه التغيرات قد ارتبطت بالانهيار الملحوظ للايديولوجيا المعنى التلقيدى الذى ساد القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكذلك التراجع العام للاهتمام الايديولوجى والسياسى التقليدى. ولقد ارتبط هذا الإنهيار بدوره بالشعور المتزايد بالفراغ الثقافى والروحى ,والذى يعنى أن المكاسب الاقتصادية والاجتماعية التى تم الحصول عليها من دولة الرفاهية أو من مجتمع الاستهلاك, خاوية من الناحية الثقافية والروحية. ولقد تعمق هذا الميل بحقيقة أن أجيال الشباب والطلبة الجدد فى الدول الحديثة فى آسيا وإفريقيا أو فى روسيا فيما بعد الثورة ,أو فى دول الرفاهية الأوربية لا يواجهون فقط آباء راجعيين ولكنهم يواجهون أيضاً ثواراً ناجحين أصبحوا جزءاً من المؤسسة الاجتماعية الجديدة ,وقد تمكنوا من خلق واقع اجتماعى جديد على الشباب أن يواجهه ,وهو الواقع الذى يظهر بوضوح كل خصائص المؤسسة البيروقراطية ,ولكنها يقدم نفسه فى ذات الوقت باعتباره يتضمن القيم الروحية والجماعية الثورية. ولقد تدعم هذا الاتجاه أيضاً بواسطة إضعاف البعد الأيديولوجى للحرب الباردة ,ثم افتقاد الرموز والصور السلبية لذلك (٥٢).

ويعتبر موقف النظام الاجتماعى والسياسى فى مواجهة مشاركة الشباب وإمكانياتهم على الإبداع الثقافى أحد مواطن الصدام بين الشباب والمجتمع

على ساحة الثقافة والقيم. ويتضح ذلك إذا نحن استكشفنا طبيعة العلاقة القائمة بين تحديد جماعات العمر المتباينة من ناحية وبين إمكانية الابداع الثقافى والاجتماعى من ناحية أخرى. فقد أصبح معتاداً أن ينظر المجتمع الآن للشباب باعتبارهم مرحلة تحضيرية أو إعدادية تسهم فى النهاية فى المشاركة الخلاقة فى الحياة الاجتماعية للمجتمع (٥٣). وعلى هذا المستوى من التفاعل الثقافى يواجه الشباب إحباطات ناتجة عن الفجوة بين ما تغرسه العائلة والنظام التعليمى من إمكانيات وقدرات على المشاركة فى الإبداع الثقافى من ناحية وبين مسموحات النظام السياسى من ناحية أخرى. حيث يؤدى اتساع الفجوة بين العنصرين إلى تخلق تربة ملائمة لنمو مشاعر الإحباط وعدم الرضا بين جماعة الشباب (٥٤). ومن ناحية فإن الإبداع الثقافى يكون عادة وليد القدرة على الابتكار والفاعلية وهى القدرة التى يمتلكها عادة الشباب فى مرحلة مبكرة من النضج ,تختلف عن السن الذى وافق عليها المجتمع كبداية للإبداع – كسن التخرج من الجامعة مثلاً–. وفى هذا الإطار فإنه كلما تزايدت الفجوة بين النضج الحقيقى على المستوى الفردى ,والنضج الاجتماعى كما يعترف به المجتمع ,فإن الفجوة تتخلق ويسودها الشعور بالإحباط والتوتر وعدم الرضا كذلك.

ويتصل ظهور الشباب فى المجتمعات المتخلفة أو المتقدمة بطبيعة الانهيار أو التماسك الذى أصاب الثقافة التقليدية.'فمثلاً يعزى انتشار حركات الشباب والطلبة فى المجتمعات المتخلفة إلى الإنهيار الواضح للثقافة التقليدية, وهو الرأى يعتبر مؤشراً هاماً يشير إلى تحول مجتمعى هائل يقع داخل المجتمعات.وبعبارة أخرى ,فإن ظهور الصراع الجيلى الحاد والاضطرابات الجماهيرية للشباب الذى يتمتع ببعض الامتيازات ,يعتبر مؤشراً لبداية مرحلة معينة من التطور الاجتماعى. حيث يصل شئ جديد. وحينما تصل المرحلة الجديدة فإنها قد لا تقدم المستقبل الذى يتصوره الشباب. وربما نجد أن الشباب التى دفعت جهوده إلى إحداث التغيرات الاجتماعية النوعية , عاجزاً عن أن يلعب دوراً رئيسياً فى تحديد ناتج العملية.

ذلك يعنى أنه وإن كانت هناك مجموعة من الحركات الشبابية التى برزت كرد فعل لمجموعة من التغيرات الثقافية التى انتابت النظام العالمى وخاصة فى المجتمعات المتقدمة ,وهو الأمر الذى ينعكس على سلوكيات الشباب موقفهم من النظام الاجتماعى والسياسى القائم واستناداً إلى ذلك نجد أن بناء الثقافة والقيم فى المجتمعات النامية يخضع لتأثير مجموعة من العوامل الداخلية ,أو تلك التى ترجع إلى النظام العالمى ,بحيث تثير فيه هذه العوامل مجموعة من التفاعلات التى لها وطأتها وفاعليتها فى مجال الشباب(٥٥).

ويعتبر غياب الاستمرار والاتصال التاريخى أحد العوامل الأساسية لضعف بناء الثقافة والقيم فى المجتمعات النامية. وإذا أخذنا المجتمع المصرى مثالاً على ذلك ,فسوف نجد أنه قد تعرض لمثل هذه العوامل التى أثرت على تماسكه وفعاليته. فقد كان المجتمع المصرى عند قيام ثورة ١٩٥٢ يمتلك جهازاً قيمياً فعالاً قادراً على قيادة التفاعل الواقعى ويمتلك إمكانية توجيه سلوكيات النظام السياسى. وإذا نظرنا على المستوى الاعتقادى سوف نجد محاولة النظام السياسى خلال هذه الفترة إسناد شرعيته من ناحية إلى الدين الإسلامى (٥٦) ومن ناحية أخرى إلى محاولة إصدار بعض القرارات التى تحاول إجراء بعض التعديلات فى بناء الواقع الاجتماعى لخلق بعض القوى الاجتماعية المؤيدة له ,والتى كانت – أى القرارات – تشكل فى ذات الوقت بحثاً حثيثاً عن منطق أيديولوجى يشكل أساساً لشرعية سلوكيات النظام السياسى. وفى هذا الإطار يمكن أن ننظر إلى قدرات وقوانين الاصلاح الزراعى وقرارات تصفية الأحزاب باعتبارها بداية للتحول الاشتراكى واستمرت هذه المرحلة حتى ١٩٥٧ – وهناك من يفضل تسمية هذه المرحلة بالتنمية من خلال التطور الرأسمالى. ومنذ ١٩٥٦ . مروراً بعام ,١٩٦١ عام القرارات الاشتراكية ,نجد أن النظام السياسى قد بدأ تحالفاته الخارجية مع المعسكر الاشتراكى من خلال الارتباط النسبى بالمجتمعات الاشتراكية

وتعميق العلاقات معها. وهى التحالفات التى شكلت المظلة التى أكدت ضرورة تأسيس التنمية من خلال التطور الاشتراكى ,وتأكيداً لذلك صدرت مجموعة التأميمات القوانين والقرارات الاشتراكية* هذا إلى جانب تعميق الارتباط العربى. وفى ١٩٦٧ واجه النظام السياسى ضربة قاسمة من قبل قوى الامبريالية العالمية من خلال هزيمة يونيو ,وهى الضربة التى بدأت تدفع إلى إنتعاش البرجوازية المحلية ,وإلى سفورها بعد ١٩٧١ ، ١٩٧٣ عقب إعلان سياسات الانفتاح الاقتصادى والعودة إلى التنمية مرة أخرى من خلال التطور الرأسمالى (٥٧).

ويتجسد غياب الاتصال التاريخى ,فى أن معظم الأيديولوجيات التى تبناها النظام السياسى الحديث منذ ١٩٢٣ تتميز بمقاطعتها التراث. وهى المعضلة التى تعانى منها معظم المجتمعات النامية – خاصة المجموعة الحضارية داخل نطاق العالم الثالث – فالتاريخ كما ندركه وحدة عضوية يسدل حركة المجتمع داخل الزمان والمكان. ومن ثم فمن الضرورى أن يكون هناك دائماً بعضا من الماضى داخل بناء الحاضر. وأن يكون بحثاً للانتقال بأفضل عناصر الحاضر إلى قلب المستقبل. وفى المجتمعات النامية نجد أن التاريخ قد حدث بدون هذا الاتصال العضوى. فقد تبنت معظم صفواته أيديولوجيات وقيم وثقافات تختلف عن تراثه إن لم تتناقض معه, ومن ثم فهى, لا تتكامل عضوياً معه ,ونتيجة لذلك وجدنا هذه المجتمعات تشهد مصطلحات مثل الثقافة التقليدية والحديثة ,صراع الجديد مع القديم ,وما هو غير ,وهى الظواهر التى لها بالتأكيد تأثيرها على اتجاه الشباب نحو منظومة الثقافة والقيم من ناحية ,أو نحو الأيديولوجيا التى يرفع شعاراتها النظام السياسى من ناحية ثانية (٥٨).

---

* يمكن النظر إلى تحول النظم السياسى بوضوح إلى الارتباط بالقوى الإيديولوجيا الاشتراكية فى جانب منه إلى حدوث الانفصال فى ١٩٥٩ وضعف الحلم الوحدوى، بحيث بدأ عبد الناصر بدلاً من التأكيد على أهمية التجمع القومى، والقومية العربية، بدأ يؤكد على البعد الاشتراكى وتحالف القوى الاشتراكية والتقدمية، كأن نظام يحاول البحث عن خلفية عالمية تدعمه فى مواجهة الصراع مع القوى الأمبريالية العالمية.

ويشكل البحث عن انتماء عام مشكلة أساسية تعانى منها مجتمعات العالم الثالث .بحيث يساعد ذلك على إضعاف أبنيتها الثقافية والأيديولوجية. إذ تعانى مجتمعات العالم من مشكلة الهوية والانتماء. بل أننا نجد أن بعضا من هذه المجتمعات يفتقد امتلاك أى انتماء له جذور أو دلالته التاريخية أو المعاصرة .بينما نجد البعض الأخر يعانى من تعدد الانتماءات على درجة التناقض. فمثلاً بالنسبة للمجتمع المصرى نجد أن هناك مجموعة من الدوائر التى يتعين عليه الانتماء إليها أيديولوجيا. فإلى جانب الدائرة العربية .نجد الدائرة الأفريقية والاسلامية والاشتراكية .والرأسمالية وعدم الإنحياز هذا بخلاف المواطنة ذاتها باعتبارها منطلقاً مبدئياً. ولا شك أن الانتماء إلى هذه الدوائر كان يفرض الارتباط بمنطلقات أيديولوجية معينة. هذا إلى جانب أنه قد يفرض قدراً من التناقض والتوتر فى بعض المراحل التاريخية كالانتماء الاسلامى أو العربى .أو الأفريقى .هكذا .ونتيجة لذلك احتوى السياق الثقافى والأيديولوجى لكم من المفاهيم التى قد تتناقض أحياناً .أو لا تتكامل فى أحيان كثيرة. ومن ثم وجدنا بين ايدينا كما من العناصر الأيديولوجية التى تفتقد أى تماسك عضوى يضمها .حتى تصبح قادرة على ضبط المسيرة من خلال التحديد الواضح لمجموعة الأهداف التى يجب أن تشكل موضع الاهتمام على المستوى الفردى والاجتماعى (٥٩).

ويتمثل المتغير الثالث الذى له تأثيره على البنية الأيديولوجية لمجتمعات العالم الثالث .فى افتقادها الإيمان أو التوجيه المبدئى. ذلك أنه من المنطقى أن يكون لكل ثورة إيمانها .فقد كان للثورة الفرنسية إيمانها .وكان للثورة البلشفية إيمانها أيضاً. وتكمن قيمة الإيمان المتماسك فى أنه يطرح المثال الواجب احتذاؤه. بل أن هذا الإيمان قد يفرض بشكل مبدئى العملية الثورية ذاتها .ومن ثم فإيمان كل ثورة ينبغى أن يكون سابقاً عليها وأحياناً قد تحدث الثورة - كالثورة المصرية - ثم تبحث عن إيمانها من خلال الحوار الصريح بين مختلف الجماعات ذات التوجهات الأيديولوجية أو المحايدة

أيديولوجياً ،ولكى ينبثق الفكر والإيمان حراً قادراً من على أرضنا ،فإن ذلك يمكن أن يحدث لو نوقشت كافة الاتجاهات مناقشة حرة وصريحة بهدف الوصول إلى الإيمان الشامل ،الذى يساعد على تجسيد أمثال المحتذى. غير أن ذلك لم يحدث ،إذ اتجهت الصفوة السياسية دائماً إلى محاولة فرض التوجهات الأيديولوجية من أعلى ،وليس على الجماهير سوى التكيف معها. بل أحياناً كان يفرض التكيف القسوى على بعض الجماعات غير المتكيفة أو الموالية أيديولوجياً.

ويتمثل المتغير الرابع الذى يتسبب – وقد تسبب – فى اهتزاز السياق القيمى للمجتمع- فى التناقض المتعلق بالنماذج الواجب احتذاؤها ،لكى يحقق الشباب طموحه. إذ نجد أن الشباب فى فترة الإعداد والتكوين عادة ما يستوعبون – من خلال وسائل التنشئة – نموذجاً معيناً يسير بناء عليه فى المجال الاجتماعى ،أياً كانت طبيعة هذا النموذج. فى هذا الإطار عايش المجتمع المصرى ما يمكن أن نسميه بظاهرة اختلاط النماذج أو تعددها. فرغم اتجاه المجتمع فى المرحلة الاشتراكية إلى تبنى النموذج الاشتراكى، كانت بعض العناصر التى تشير إلى فاعلية القيم الفردية. ويمكن أن نلاحظ هذا الخلط فى اطار العملية التعليمية مثلاً ًفمن ناحية نجد أن الهدف البارز أمام التلميذ وأسرته يفرض ضرورة التزاحم مع غيره – بكل وسيلة يمتلكها فى حلبة هذا الصراع – حتى يستطيع الحصول على المجموع الأعلى ،ومن ثم حتى يعثر على الفرص الأكثر ملاءمة. هنا يصبح مباحاً لديه استخدام كافة الأساليب لتحقيق هذا الهدف فالفرص محدودة وليس هناك المنطق القيمى والأيديولوجى الذى ينظم توزيعها. وفى هذا الصدد لا يختلف كثيراً من يمتلك المال لممارسة الدروس الخاصة عن الذى يقوم بالغش فى الامتحان ،عن الذى ينبع توجهها الأخلاق طريقاً إلى تحقيق التفوق. ومن ناحية ثانية فإننا نجد أن مضمون التعليم اشتراكياً يركز على النموذج الاشتراكى – خاصة فى المرحلة الاشتراكية- وبرغم ذلك لم تكن أليات

توزيع الفرص التعليمية طبيعة اشتراكية. وذلك يعنى أن الشخصية الشابة تواجه بعديد من النماذج المتناقضة أثناء حركتها فى المجال الاجتماعى, وتدرك أن اياً منها لا يتحقق تحققاً كاملاً. فالنموذج الاشتراكى غير متحقق فى واقع محيط محكوم بندرة الفرص والمنافسة التى اطلق عقالها. ووجود النموذج الفردى خطأ فى مجتمع أعلن المنطلقات الاشتراكية ذات يوم, ومحكوم بضرورة اشباع حاجات الأغلبية ,إلا تحولت الأغلبية إلى اعصار مدمر يجرف كل شئ. وهنا يجد الشباب نفسه أسير الحيرة بين النماذج التى لا يعرف أيهما يستحق أن يحتذى.

وتشكل الخصومة مع التراث والتاريخ المتغير الخامس الذى تأثيره على الفوضي الأيديولوجية والثقافية التى تعيشها مجتمعات العالم الثالث. فقد أدى جمود التطور الحضارى لهذه المجتمعات – خاصة المجموعة الحضارية منها – إلى انهيارها أمام الموجات الاستعمارية التى سلبتها استقلالها. وحينما استقلت هذه المجتمعات خلال عقد الخمسينات واجهت اختياراً حاداً بين التراث الذى مازال جامداً وبين أفكار التحديث الغربية التى تخلب إنجازاتها الإبصار. والمدهش أن هذا الاختيار الصعب قد أسلم غلى نتيجة متوازنة. فقد اختارت الصفوة العلمانية، الليبرالية والاشتراكية، كتوجهات أيديولوجية تحكم مسار التنمية الاجتماعية – الاقتصادية، بينما ظلت الجماهير مرتبطة بتراثها تحت وطأة اختيار لاشعورى. ومن ثم وجدنا أن التنمية والتفاعل يقع داخل الواقع محكوماً بتوجهات متباينة للغاية. ومن الطبيعى أن يكون لهذا التباين تاثيره على الشباب. فإذا تعرب الشباب فهو حتماً – كالشباب الغربى – سوف يصطدم بتعقيدات الحضارة الصناعية، ومن ثم فهو مثله ,وسوف يبحث عن البساطة ,وإذا كانت البساطة مستحيلة أمام الشباب الغربى إلا إذا كانت هروباً من خلال المخدرات والمارجوانا ,فإن بساطة التراث ,والإسلام خاصة, وتصبح لها جاذبية أمام الشباب المسلم الذى خضع لعملية تغريب .وإذا ظل شرقياً مرتبطاً بتراثه ,فسوف يكتشف لحظة أزمة التنمية تحت وطأة التغريب,

ومن ثم فسوف يصبح أسير استعادة الماضى بكل أمجاده . وكلاهما انفصال عن المجتمع القائم وبحث عن البساطة النقاء(٦٠).

بالإضافة إلى ذلك فإن وسائل استيعاب الثقافة أو الصياغة النظامية لها Instiutiionalization قد تصاب هى الأخري بالخلل ,ومن ثم يكون لها تأثيرها يكون الضار على بنية الثقافة والقيم. وسوف نعرض للأسرة ,والتعليم, والإعلام والعمل كمؤسسات أو وسائل عليها أن تلعب دوراً فى هذا الإطار.

وتنتاب الأسرة فى المجتمعات الحديثة والنامية تغيرات أساسية جعلت منها بيئة ثانوية وليست أولية بالنسبة لتنشئة الفرد. فبناء الأسرة أصابة الضمور واقتصر على الزوج والزوجة والأولاد ,وخرج من الأسرة – الأجداد – حاملوا التراث والتقاليد. وهو ما يعنى أننا منذ البداية نواجه بضعف الوظيفة الضبطية للأسرة ,وهى الوظيفة التى كانت تتولى غرس البعد الاجتماعى ,أو لنقل تأسيس الانتماء (٦١). بطبيعة الحال تصاب الأسرة من حيث أداءها بالهزال إذا كانت الأم تعمل ,وليس هناك بديل يؤدى ذات الوظيفة بالنسبة للابناء. وتتحول الروابط الأسرية المستندة إلى وحدة الدم إلى علاقات عابرة تنتهى بعد فترة من الزمن أقصاها وصول الأبناء إلى مستوى النضج الفسيولوجى ,أو النضج الاجتماعى. ومن ثم يخرج جيل كامل لم يستوعب من مجتمعه شيئاً ,ومن ثم فروابطه العضوية ضعيفة مع هذا المجتمع أو على الأقل مع قيمة وثقافته (٦٢). إلى جانب ذلك فإن هناك فجوة قد تتخلق بين الأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية من ناحية ,وبين المجال الاجتماعى كنطاق لتجريب مضمون التنشئة من ناحية ثانية. ومن ثم فقد يستوعب الشباب قيماً ,غير أنه يدرك أن هذه القيم ليست عملة صالحة للتداول فى المجال الاجتماعى. وفى هذه الهوة قد يسقط الشباب ,أثناء محاولته صياغة التطابق بين قيم الأسرة ومعايير المجال الاجتماعى,إذا فشل الشاب فى هذا الصدد ,وقد يحدث الانسحاب من المجتمع تجنباً لمعاناة التناقض ,أو التمرد على أيهما بالنظر إلى قيم الآخر ,أو ابتكار قيم جديدة

قادرة على الأداء والإنجاز على المستوى الفردى بغض النظر عن قيم الأسرة أو المجتمع أو هما معا ,وهنا نجد أن الشباب يفتقد أى التزام اجتماعى (٦٣).

ويعتبر التعليم هو الآلية الثانية التى تتولى التنشئة بالنظر إلى قيم الثقافة, غير أن التعليم يعانى _هو الآخر _من مثالب كثيرة. منها أن التعليم فى المجتمعات النامية ليس عاماً ,فهناك مجتمعات تسودها نسبة أمية تصل إلى ٩٠٪ ,وهو الأمر الذى يعتبر مؤشراً على مدى فاعلية النظام التعليمى. غير انه حتى فى هذه الحدود الضيقة نجد أن التعليم يعانى من ظاهرة الفصام, تختلف ممارسته عن أيديولوجيته. فمثلاً برغم الشعارات الاشتراكية التى أكدت _فى مرحلة معينة من التاريخ المصرى _على مجانية التعليم والالتزام التعليمى ,نجد انتشار الدروس الخصوصية وتحايز ميكانيزمات النجاح والانتقاء. وهو الأمر الذى يخلق تناقضاً داخل النظام التعليمى ذاته يعجزه عن أداء مهمته بالمستوى المطلوب. هل من الممكن أن يصبح مدرس الدروس الخاصة ,مثالاً نقياً من الضرورى تبنيه واحتذاؤه؟ بالإضافة إلى ذلك هناك أحيانا التناقض بين قيم الأسرة وقيم المدرسة كأحد مجالات الواقع الاجتماعى وهو التناقض الذى سوف تكون له آثاره على الشباب (٦٤).

وتعد وسائل الإعلام أحد المتغيرات التى لها فاعليتها المؤثرة على تماسك البناء القيمى والأيديولوجى لمجتمعات العالم الثالث والعالم الإسلامى. فأحياناً لا يتلائم المضمون الإعلامى مع الحاجات الواقعية ,ومتطلباته فمثلاً قد يعمل الإعلام بوسائله المختلفة على نقل تيارات وأفكر وصور من الخارج قد لا تتلاءم ونظائرها فى الثقافة المحلية. ومن ثم يتخلق تناقض أو عدم تكامل فى لغة الثقافة داخل المجتمع. أو قد تعمل أدوات الإعلام بصورة عشوائية غير ملتزمة بأى توجيه أيديولوجى ,ومن ثم غير قادرة على تحديد المضمون الإعلامى الذى ينبغى نشره أو أى وعاء واقعى ينبغى الاتجاه إليه, وبأى هدف يكون النشر أو الاتجاه (٦٥). ونتيجة لذلك قد تحدث ظاهر كثيرة, أولها استيراد قيم استهلاكية تتناقض مع متطلبات عملية التنمية التى يقودها

المجتمع. لا يعني ذلك إدانة الانفتاح الثقافي .ندين بالأساس الاستيراد غير الواعي لأفلام وتمثيليات قد لا تطرح المثال الواجب احتذاؤه بشكل ملائم. فمثلاً هناك اعتقادات أن أفلام العنف الأمريكية كانت وراء أحداث العنف التي انتشرت في أمريكا أو في البلاد التي عرضتها ومنها مصر(٦٦) . أو قد يحدث تناقض إعلامي صارخ وواضح مثال على ذلك ما نشاهده في مصر حينما تعرض أفلام هزلية ومسرحيات هابطة تبث قيماً غريبة على مجتمعنا. وفي قلب كل ذلك يتوقف الإرسال لكي يذيع آذان الصلاة ,وأحاديث الرسول(٦٧) . وتكون النتيجة في طبيعة الحال هي نشر حالة من الحيرة حول السلوك الذي ينبغي أن نتبعه أو المثال الذي يجب أن يحتذى.

وتشكل بيئة العمل أيضاً إحدي آليات التنشئة الاجتماعية والثقافية وتواجهنا هنا أيضاً كثيراً من التناقضات الحادة .فمن ناحية نجد البلاد النامية تعاني من عدم الاتساق بين مخرجات النظام التعليمي ومدخلات النظام المهني ومن ثم تنتشر حالة من التوتر الناتجة عن الإشباع أو الرضاء المهني (٦٨) .فمن غير المنطقي أن يعمل خريج الفلسفة مديراً لجمعية استهلاكية أو أن يعمل خريج معهد التكنولوجيا موظفاً بخرائط المساحة الخاصة بقرية معينة .والأمثلة على ذلك كثيرة. بالإضافة إلى ذلك نلاحظ أن في بعض الأحيان تخلفاً في المعرفة التي يتولى النظام التعليمي تأهيل البشر على أساسها. وحيث نجد عدم تلائم بين المعرفة التي يتطلبها العمل وبين المعرفة التي ينشرها النظام التعليمي ,وهو ما يشكل أحد جوانب أزمة الثقافة الإدراكية أو المهنية في المجتمع.

وإذا كان من المسلم به أن بناء الثقافة والقيم يتعرض لمثالب كثيرة تؤثر في فاعليته ,فإنه من الطبيعي أن نلاحظ تخلق بعض الظواهر التي تؤثر في تماسكه نتيجة لذلك ,الأمر الذي يدفع إلى ظهور بعض الظواهر التي يشكل وجودها مشكلات في بناء الثقافة والقيم ,ويشكل ضعف الثقافة والقيم الظاهرة الأولى في هذا الصدد يحدث ذلك نتيجة لعم وجود بناء ثقافي وقيمي يشكل

إيماناً يتمسك به المجتمع ,ومن ثم يشتق منه نماذجه ,أو نتيجة لضعف هذا البناء الثقافى واحتوائه على كثير من العناصر المتناقضة ذلك يعنى أن هذا البناء يصبح فى النهاية ضعيفاً وعاجزاً عن أن يشكل قدرة ضبطية قادرة على السيطرة على التفاعلات الاجتماعى. هذا بالإضافة إلى أن عدم امتلاكه لحدود واضحة يجعله مفتوحاً يستقبل أى متغيرات قد تؤدى إلى تناقضات جديدة ,ومن ثم إنفصال علاقاته العضوية بالسياق الاجتماعى أو بالشخصية الكائنة (٦٩).

وتتمثل الظاهرة الثانية فى تأسيس ما يسمى صراع الأجيال فى إطار ذلك لا يتأسس الصراع حول رفض قيم وتبنى أخرى ,ولكنه قد يدور حول بحث الشباب على النموذج المثالى ,هذا النموذج قد يجده فى النظرية الليبرالية أو الاشتراكية. أو قد يحاول البحث عنه فى مجموعة القيم الأساسية الكائنة بالمجتمع، تلك التى طورتها الأجيال السابقة، وهو الاتجاه الذى يعرف بالبحث عن النقاء داخل الأصالة والتراث(٧٠) . ذلك أن ما يعد انحرافاً من وجهة نظر الشيوخ أو المؤسسة الاجتماعية المسيطرة قد لا يكون إلا بحثاً حثيثاً عن النقاء.

وتتعلق الظاهرة الثالثة بغياب التجانس الأيديولوجى، أحياناً بسبب عدم وجود التوجه الأيديولوجى المحدد، وأحياناً أخرى بسبب عدم المشاركة فى تخليق هذا التوجيه الأيديولوجى أو الحوار الصريح بشأنه. ونتيجة لذلك لا يحدث ارتباط واضح متفق عليه بهذه الأيديولوجية(٧١) . ومن شأن ذلك أن يدفع إنتماء الشباب إلى الجماعات الأيديولوجية ذات الطبيعة الهروبية يحدث ذلك لاهتزاز البناء الثقافى والقيمى للمجتمع الأمر الذى يجعل روابطه بالأفراد ليست قوية فى مواجهة أيديولوجيات وأنساق قيم عديدة، يمكن أن تجذبه وتشكل أساس إعتقاده بحيث يصبح الارتباط بها هروباً من الاهتزاز الذى أصاب تماسك المجتمع. وفى اطار هذا الاطار قد يكون الارتباط بالجماعات الدينية أو الجماعات ذات التوجه اليسارى، كلاهما يمثل اتجاهاً

نحو المثالية التي قد تدعم اتجاهات الشباب الهارب إليها، قد تحاول أياً من هذه الجماعات تغيير الواقع المحيط، غير أن ذلك يعتمد على امتلاك القوة التي تمكنها من ذلك. ومن الواضح أن هذا الهروب ليس إلا بحثاً عن منطلقات أيديولوجية من خلال مراجعها النقية. فهو هروب الذرات من المركز الفارغ والممزق إلى مواضع في المحيط الممتلئ. ومن ثم فقد تصبح محاولات الشباب في هذا الاطار بحثاً عن نسق أيديولوجي متماسك يقود التنمية ويربط الشباب بالمجتمع.

ويشكل إنتشار حالة الأنومي الظاهرة الرابعة في هذا الاطار، ونقصد بحالة الأنومي أن ثمة واقعاً اجتماعياً لا يسير التفاعل فيه حسب قاعدة، واستناداً إلى ذلك تصبح الأنانية الفردية هي المعيار الذي يحكم السلوك الفردي في المجال الاجتماعي وذلك لانهيار الجانب الاجتماعي في الإنسان، بسبب ضغط القيم والمعايير المؤسسة لهذا الجانب الاجتماعي(٧٢). ومن ثم تعلو المصلحة الاجتماعية، وتصبح الغاية مبررة للوسيلة(٧٣)، فالغش أفضل الأساليب لاجتياز الامتحان، ويصبح الفساد الأخلاقي اطار يحصل البشر من خلاله على المال والفرص، ومن ثم ترتفع نسبة الإنحراف والجريمة بين الشباب. هذا بالإضافة إلى انتشار مجموعة من الأنماط الإجرامية، كالعنف والاعتداء على السيدات وارتكاب الجرائم الجنسية. إلى جانب انتشار مجموعة من الاتجاهات السلبية التي لا تبالي بالتفاعل الاجتماعي الكائن في السياق الاجتماعي، وذلك لضعف ارتباط الشخصية به(٧٤).

ويشكل ظهور ثقافة الاستهلاك وانتشارها بين الشباب أحد الظواهر الهامة في هذا الصدد. حيث نلاحظ تأكيداً من قبل الشباب على الاستهلاك(٧٥). غير أن تأكيد الشباب على الاستهلاك في المجتمعات المتقدمة يختلف كثيراً عن تأكيد الشباب على الاستهلاك في امجتمعات النامية، وهي المجتمعات التي يعيش معظمها عند حد اشباع حاجات الحاضر دون التطرق إلى المستقبل. إذ يؤدي افتقاد الأمل مشرق إلى الميل نحو افناء

كل شئ فى الحاضر. ومثلما يغيب الإنسان فى عالم دينى صوفى بعيداً عن هذا العالم، فإنه يشبه ذلك أن يغيب الإنسان أيضاً فى عالم المخدرات والجنس المحرر من القيود بعيداً عن تعقيدات المجتمع، ولا يختلف عن ذلك كثيراً أن يفنى الإنسان فى عالم الاستهلاك. وإذا كان خلق الإنسان ذو البعد الواحد، هو خلق الإنسان عاجز عن النقد، فإن ايداع الإنسان المستهلك يعنى إنسان يعيش يومه لاشباع حاجاته فى مستواها الحيوانى.

فإذا كانت هذه هى ظواهر السياق الثقافى وملامحه، وإذا كانت هذه مشكلات معه، فما هو الحل؟ كيف الخروج من هذا الموقف المعضل؟ الاجابة الوحيدة لذلك تؤكد على ضرورة تأسيس نسق ثقافى فعال وقادر على قيادة التنمية، وتوجيه الأفراد أثناء ذلك بما يحميهم من احتمالات التمزق والإنحراف، بيد أن ذلك لابد أن يتم فى ظل مجموعة من الاعتبارات الأساسية.

ويؤكد الاعتبار الأولى على ضرورة وجود ثقافة تعد امتداداً للتراث المحلى، تلعب فيها عناصر الدين والتراث دوراً محورياً، وعلى وسائل الاعلام وأجهزة التنشئة أن تعمل جادة لاستيعابها فى بناء الشخصية. ونؤكد على عنصر الدين، باعتباره يلعب دوراً أساسياً فى مجتمعاتنا، ومن ثم فمن الضرورى تطوير هذا الدور واستثماره، غير أنه على السياق الاجتماعى – الذى يلعب الدين فى اطاره دوراً بارزاً – أن يكون قادرا على التفاعل مع قضايا عالمنا المعاصر ويمتلك إمكانية استيعاب أفضل عناصره فاعلية. ومن تفاعل الحديث مع القيم سوف تتمكن من تأسيس موقف صلب فى مواجهة الاتجاهات الفكرية الوافدة، نتفاعل معها على أرضية من الثقة، تسمح لنا بتبادل الأخذ والعطاء. على سبيل المثال لا يجب أن تتحدد التفسيرات الدينية بمسائل تتعلق بالإيمان فى مستوياته الفردية، وإنما يجب أن تتطور هذه التفسيرات لتبرز الموقف الدينى فى مواجهة قضايا ومشكلات معاصرة ذات صيغة اجتماعية وإنسانية عامة، ويواجهها كل إنسان فى تفاعلاته اليومية.

ويتعلق الاعتبار الثانى بضرورة توفر من الاتفاق حول حد أدنى من المضمون الثقافى والقيمى. لا نقصد من ذلك ضرورة تأسيس التزام كامل وتام بمنظومة الثقافة والقيم. ولكن ما نقصده حداً أدنى من الاتفاق حول القيم الأساسية بما يشير إلى أن هناك مجتمعاً إنسانياً مستقراً ومتماسكاً ومتطوراً أيضاً، كالاتفاق حول القيم المتعلقة بالوطن، كذلك مجموعة القيم الروحية، وتلك الخاصة بالقضايا المصيرية والهامة. هذا الاتفاق القيمى الذى نبغيه، لابد وأن يصبح نتاج حوار وصراع بين الأفكار، التى تنطلق من مختلف التجمعات الشبابية، والتى تعبر عن كافة الاتجاهات، وذلك لتصاعد من خلال التفاعل بها إلى أعلى، حيث يتوفر الإتفاق النسبى عليها والالتزام بها. فى هذه الحالة سوف تصبح قيماً اجتماعياً، ذات صلة بالمجتمع ككل، لأنها تتعلق بالاتفاق حول طبيعة المجتمع وأساسياته، ونجاح ذلك يتحقق إذا توفر تسييسا للشباب. لا نعنى التسييس المبتذل، ولكن التسييس الحقيقى الذى يجعل الشباب على ورعى واضح بالوسائل والغايات والحركة الرشيدة بينهما. التسييس الذى يكون نتاجاً لحوار وإبداع على مستوى القاعدة. وليس نتيجة لاتجاهات تفرضها السلطة من أعلى، أو نتيجة أيديولوجية من الخارج غير ملائمة، ومن ثم غير مستوعبة.

إذا تحقق ذلك سوف يصبح مؤكداً أن المجتمع يمتلك سياقاً ثقافياً وأيديولوجياً متسقاً، ومتماسكاً وفعالاً وقادراً على تطوير مواقف فكرية فى مواجهة الاتجاهات الأيديولوجية الأخرى، ومن ثم التصدى لها. وسوف يكون فى استطاعة المجتمع تأسيس المثل والنماذج الواجب احتذاؤها، سوف يكون المجتمع أيضاً قادراً على تأسيس بناء معيارى له جوانب الثواب والعقاب،، التى تفرض احتذاء المثال على المستوى الاجتماعى، وفى النهاية سوف تصبح الشخصية مجهزة بجهاز قيمى أيديولوجى تتسق مكوناته مع ما هو كائن فى المجتمع المحيط، ومن ثم يتخلق واقع لا تهرب منه الشخصية، ولا ترفضه أو تعنف ضده وبالتالى لا تثور عليه.

سادساً - الشباب بين المتغيرات العالمية والمحلية. خاتمة:

يشير استكشاف مجموعة المتغيرات ذات الفاعلية إلى حالة من التداخل بين المتغيرات ذات الطبيعة العالمية ونظيرتها ذات الطبيعة الحلية، وأن هذا التداخل ليس متشابهاً فى كل المجتمعات، ولكنه يختلف من مجتمع إلى آخر. ولتوضيح ذلك فإذا افترضنا إمكانية ترتيب مجتمعات الألم بالنظر إلى مستوى تقدمها أو تخلفها فإنها سوف تشكل متصلاً يمكن ترتيب مجتمعات العالم عليه. بحيث تختلف فاعلية المتغيرات العالمية أو المحلية وفقاً لموقع أى من المجتمعات النامية على هذا المتصل.

ويمكن القول بأن هذه الفاعلية محكومة باعتبارين : **الأول** : موقع المجتمع المحلى، فكلما كان المجتمع المحلى أقرب إلى الحالة الأولية أو االبدائية كما كان تأثير المتغيرات المحلية أقوى وأعمق وبالتالى تضعف فاعلية المتغيرات العالمية. وفى المقابل كلما كان المجتمع النامى أقرب إلى المجتمعات المتقدمة كلما كانت فاعلية المتغيرات العالمية أعمق وأشد ويتمثل الاعتبار الثانى فى مكانة المجتمع فى بناء النظام العالمى، فكلما كان المجتمع يحتل مكانة بارزة فى التفاعلات العالمية، وتشغل القضايا العالمية المثارة أهمية خاصة بالنسبة له. كلما كان شبابه أقرب إلى التأثر بفاعلية المتغيرات العالمية إلى حد كبير.

وارتباطاً بذلك يلعب المتغير الطبقى دوراً فى هذا الإطار. فأبناء الطبقات البرجوازية همالأكثرعرضة للتأثر بالمتغيرات العالمية لأنهم الأقدر امتلاكاً لوسائل الاتصال بها. على خلاف ذلك نجد شباب الطبقات الدنيا أو الفقيرة أكثر التصاقاً بمحليتهم، تسيطر عليهم ثقافتهم التقليدية، يدعم فاعليتها الظروف الاجتماعية التى تعيش فى ظلها هذه الشرائح الاجتماعية.

فإذا حاولنا تأمل المتغيرات العالمية الفاعلة فى نطاق شرائح الشباب فإننا سوف نجدها تتبلور حول المتغيرات الثلاث التالية:

وتلعب وسائل الاتصال والمواصلات دوراً أساسياً فى التأثير على الشريحة الشبابية، فهى من ناحية تنقل أحداثاً وصوراً عن المجتمعات الأخرى، ومن ثم تتعرف عليها وتتابعها المجتمعات الشبابية المختلفة. وعلى هذا النحو تلعب وسائل الاعلام دورها فى خلق ثقافة عالمية واحدة، واهتماماً شاملاً بقضايا المجتمعات الأخرى أو النظام العالمى. إضافة إلى ذلك تتيح وسائل الاعلام الفرصة لتأسيس المقارنات بين ما هو محلى، وبين ما هو متاح وقائم فى المجتمعات الأخرى. قد تسلم المقارنة إلى مزيد من التكيف مع الواقع المحلى، غير أنها من ناحية أخرى قد تطلق عقال التمرد والرفض.

وللثورة التكنولوجية دورها البارز أيضاً، حيث تعتبر التكنولوجيا عنصر التطور الذى استخدمته المجتمعات المتقدمة فى الاندفاع إلى الأمام، وهو فى ذات الوقت العنصر الذى ينساب – متعثراً – إلى مجتمعات العالم الثالث، على أمل أن ينتشلها من هوة التخلف. ومن الطبيعى أن تلعب التكنولوجيا دورها فى نظامنا العالمى. فهى من ناحية تدعم وحدته وتماسكه وهى من الناحية الأخرى تثير قدراً عائلاً من التغيرات فى مجتمعات العالم الثالث التى استطاعت الحصول عليها أو تطويرها. ومن الطبيعى أن تكون لهذه التغيرات وطأتها على الشباب، فهم على حساسية بالنسبة لايقاع التغير السريع والمتسارع.

وتعتبر القضايا ذات الطبيعة العالمية من المتغيرات الفعالة فى إثارة الجماعات الشبابية فى مختلف المجتمعات، لأنه من ناحية الأقدر على المتابعة والساعين إليها دائماً، ثم هم الذين يميلون دائماً إلى السعى خارج الذات والمصالح المرتبطة بها قد يتخذ هذا الميل شكل الشوق إلى مجتمع العدل والحرية فى المستقبل أو قد يتجه هذا الميل على متابعة ما يجرى على الخريطة العالمية. استناداً إلى ذلك فإذا تظاهرت جماعة شبابية واحدة فى مجتمع معين، فإن ذلك يؤدى إلى إثارة نظائر شبابية لها فى مجتمعات

أخرى، يؤكد ذلك انتشار ظواهر الإحياء الدينى بين الشباب داخل عالمنا الإسلامى خاصة والعالم بصورة عامة. وانتشار مظاهرات الشباب فى أوروبا الاشتراكية أخيراً، وليس بعيدة عنا تلك الصيغة العالمية للحركة الشبابية التى وقعت فى ١٩٦٨ فى مجتمعات عديدة من العالم.

فى مقابل ذلك هناك المتغيرات المحلية التى تجلت فاعليتها الواضحة فى اطار شريحة الشباب، وتعتبر التنمية الاجتماعية التى تحاولها مجتمعات العالم الثالث من العمليات التى لها وطأتها على الشباب. فهى من ناحية تعيد توزيع الموارد بما يؤدى فى بعض الأحيان إلى حرمان الشباب من إشباع احتياجاتهم الأساسية أو على الأقل اشباعها فى حدودها الدنيا. واستناداً إلى ذلك سوف يتحدد موقف الشباب من المجتمع. وإذا كان ثمة حديث عن التنمية، فإنه من الضرورى أن تلقى قدراً من الضوء على مساحة المشاركة الشبابية فى عملية التنمية، فقدر المشاركة المسموح به سوف يعنى قدر مسئولية تحمل الأعباء وهناك مشكلات كثيرة فى هذا الإطار.

وتعتبر الأيديولوجيا من المتغيرات التى ترتبط بفاعلية المحلية وتأثيرها على الشباب، وبرغم أن المصادر الأيديولوجية لمجتمعات العالم لثالث فى غالبها من خارجه، إلا أننا نجد ساحة هذا العالم تمتلئ بالصراعات الأيديولوجية. وإذا كان الشباب هم دائماً الباحثون عن إيمان أيديولوجى، فإن صراع الإيمان أو الصراع الأيديولوجى يشكل فى العادة ظاهرة لصيقة بمجتمعات العالم الثالث إضافة إلى ذلك هناك الصراع بين الأيديولوجيات الوافدة من ناحية وبين قيم التراث من ناحية أخرى ارتباطاً بهذا التفاعل قد يتشرذم الشباب وتتفرق جماعاته التى تناضل من أجل المعتقدات والمبادئ، بينما الواقع ينهار الواقع يبحث عن سواعد تثمر من أجل البناء.

وتعتبر ثقافة الاستهلاك – على نحو ما أوضحنا – من العناصر التى بدأت تنتشر فى مجتمعات العالم الثالث، وهى الثقافة التى أخذت تنساب من

مصادرها فى المجتمعات المتقدمة، يدعم هذا الإنسياب برجوازيات العالم الثالث. وإذا كانت ثقافة الاستهلاك تنساب من مجتمع بذل قدراً من الجهد وحقق حالة من الوفرة، ودخل مرحلة الاستمتاع بما حقق، فإن فعلها يختلف فى اطار المجتمع المتخلف أو النامى، فهى فى مجتمع لا يمتلك الموارد لاشباع الحاجات الأساسية فما بالنا بترف الاستهلاك وتحت تأثير البرجوازية التى تفتح باب الاستهلاك واسعاً، لتشبع حاجاتها، أو لتحول الاستهلاك إلى مشروع استثمارى ومصدراً للأرباح المفروضة على الجماهير المعانية. فى هذا الإطار يؤدى الاستهلاك إلى أحد نتيجتين، الأولى أنه قد يؤدى إلى تراخى الجهد الإنتاجى للتنمية، وإلى دفع المجتمع للاستدانة لتغطية تيار الاستهلاك، ومن ثم ضياع الاستقلال الوطنى قطعة، وفى الثانية يلعب الاستهلاك دوره فى إثارة حرمان الجماهير، وزيادة مخزون التوتر، ومن ثم الرفض والتمرد، وفى الطليعة يكون الشباب دائماً.

* * * * *

المراجـــع

1- Nilson F. : Yoyth in changing Society.Routledge and Kegan poul, Kondon, 1978, p. 12.

2- Eisenstadt, S. N, : From Generation to Generation, Age Groups and Social Strcuture, The Free Press, New York, 1956.

3- Ibid, P. XXii.

4- F. Nilson : Op, Cit. p. 98.

5- Ibid, P.77.

6- Flaks, R, : Youth and Social Change, Markham Publishing Company, Chicago. 1971. p.32.

7- Ibid, P. 37.

8- Ibid, P. 38.

9- Parons, T: Age and Sex in the Social Structure of The United State (in) Peter K. Manning & Marcello Truzzi : Youth and Soxioaogy (ed.) Pentic - Hall. New Gersey. 1972.p.149.

10- Ibid, P. 154.

11- Moller, H. : Youth as a Force in the Modern world (in) peter Manning & Marcello Truzzi. Op, Cit. p.217.

12- Ibid, P. 63.

13- Ibid, P. 63.

14- F. Nilson : Op, Cit. p. 68.

15- Herber Moller : Op, Cit, p,211.

16- Elliot Liebow : Friends and Networds : (in) Peter K. M. & M. Truzzi : Op. Cit. p. 86.

17- Ibid, P. 85.

18- T. Parson : Age and sex in The Social Structure of United States: Op. Cir. F. p. 144.

19- Ibid, P. 146.

٢٠- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين. منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٨٠، ص ٣٥ .

٢١- المرجع السابق ص ٣٦ .

٢٢- المرجع السابق ص ٣٧.

٢٣- المرجع السابق ص ٣٨.

٢٤- المرجع السابق ص ٤٠.

٢٥- المرجع السابق ص ١٥.

٢٦- المرجع السابق ص ١٢٢.

27- Herbert Moller : Op. Cit. p. 33.

28- Elliot Liebow : Op. Cit. p ,87.

29- Ibid, p. 90.

٣٠- على ليلة : الشباب والمجتمع، ملامح الإنفصال والاتصال، المؤتمر الدولى الثانى للاحصاء الحسابات العلمية : ١٢ - ١٤ إبريل ١٩٧٧ ص ١٦٧ - ١٩٢ .

٣١- المرجع السابق ص ١٩٠.

٣٢- المرجع السابق ص ١٧٩ .

33- Eisenstadt S.N. : Op, Cit. p. 113.

34- Ibid, p, 116.

٣٥- المرجع السابق، ص ٤٥ .

٣٦- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياه، وجهة نظر المثقفين المصريين ص ٤٣ .

٣٧- المرجع السابق ص ٤٦ .

38- Elliot Lebow Op, Cit. p. 93.

39- F. Nilson : Op, Cit. p. 89.

40- Ibid, p. 97.

41- Ibid, P. 97.

42- T. Parson : Op, Cit. p. 148.

43- Ibid, P. 149.

44- Eisenstadit S.N. : Op, Cit. p. 63.

٤٥- على ليلة : الشباب والمجتمع، ملامح الإنفصال والاتصال ، مرجع سابق ص ١٨١ .

46-Parson T. : The Social System, Glencoe, Kegan Paua. New York 1951. pp. 71-72.

47- Durkhemm E. : The Divosion of Labor in Society. The Free Press of Gleoce. London. 1964. p. 112.

48- Talcoot Parson : Op, Cit. p. 73.

49- Orum A. M. : Introduction to Political Sociology, The Social

Anatomy of the Body Politic Prentice - Hall INC. Englewood, New Jersh. 1982, p. 94.

50- S. N. Eisenstadt : Op, Cit. p. XV.

51- Richard Flaks : Op, Cit. p. 28.

52- S. N. Eisenstadt : Op, Cit. p. XXVI - XXII.

53- Ibid, P. XXVIII.

54- Richard Flaks : Op, Cit. p. 35.

55- Ibid, P. 14.

56- Creceaius D. (The Cours of Secularization in Modern Rgypts (in) John L. Esposito (ed.) Islam and Development Religion and Socio-Political Change. Syracus University Press 1980. pp. 49-70.

٥٧- أحمد خليفة، المحاضرة الافتتاحية لندوة (نحو نظرة علمية جديدة للشباب فى مصر) يونيو ١٩٧٥ منشورة فى «الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين» (منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٠) ص ص ٢ : ٥ .

٥٨- نفس المرجع ص ٣ .

٥٩- نفس المرجع ص ٥ .

60- Jansen G.H. : Militant Islam (Harper & Row, Bubishers. New York. 1979) p. 128.

61- S.N. Eisenstadt : Op, Cit., p. 250.

٦٢- أحمد خليفة، مرجع سابق ص٢ .

63- Robert K. Merron : Social Theory and Social Structure.

٦٤- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين مرجع سابق ص ٧٣ .

65- Erikson, E. Identity and the Life Cycle. (New York, International University Press 1959). p. 32.

٦٦- على ليلة : مرجع سابق ص ٧٦ .

٦٧ - محمد حسنين هيكل : خريف الغضب. قصة بداية ونهاية عصر السادات ص ١٩ .

٦٨- على ليلة ، المرجع السابق، ص ٧٥ .

٦٩- نفس المرجع ص ٧٧ .

70- Eisenstadt : Op, Cit. p. 32.

71- Orum A.M. : Op, Cit. 361.

72- Emile Durkeim : Op, Cit. 361.

73- Ibid, p. 382.

٧٤- على ليلة : مرجع سابق ص ٧٨ .

75- Eisenstadt : Op, Cit. p. XXXIV.

الفصل الثاني
الشباب وبناء المجتمع
أبعاد الإنفصال والإتصال

المحتويات

أولاً : مقدمة عن الشدباب وبناء المجتمع.

ثانيــاً : تنشئة الشباب، طبيعتها وديناميتها.

ثالثــاً : الشباب والأسرة، أبعاد التباين الجيلى.

رابعــاً : النظام التعليمى وبعث الحركة الشبابية.

خامساً : الشباب والنظام السياسى، أبعاد التمرد والمعارضة.

سادساً : الشباب وقضاء وقت الفراغ.

سابعـاً : الشباب ونظم المجتمع، خاتمة ونظرة عامة.

[إن ثورتنا ليست ثورة اقتصادية بروليتارية وليست
ثورة سيكولوجية فردية ولكنها بالأساس ثورة
ثقافية تبحث عن أفق جديد]

شباب
جامعة نانتير
١٩٦٨

أولاً : مقدمة عن الشباب والمجتمع:

يعتبر السياق الاجتماعى هو المجال الذى يتفاعل فى اطاره الشباب مع العناصر الاجتماعية الأخرى من ناحية، ثم هو النطاق الذى يتفاعل فيه الشباب – كالعنصر فى بناء المجتمع – مع المجتمع ذاته. إضافة إلى ذلك فعلى ساحة السياق الاجتماعى تتفاعل متغيرات عديدة بعضها ينطلق من مصادر عالمية تغزو المجتمع وتفرض عليه ضرورة التفاعل، بينما ينطلق البعض الآخر عن عناصر محلية، بعضها متغيرات ترتبط بالتراث، وبعضها قد تخلق نتيجة للتفاعلات المعاصرة والمعايشة.

يتلقى الشباب هذه التفاعلات الكثيفة التى تؤسسها متغيرات متنوعة بالأساس ومتناقضة أحياناً، يحدث ذلك والمجتمع يمر بحالة انتقال، وتعنى حالة انتقال الحركة من وضع إلى آخر. من الطبيعى أن تتضمن هذه الحركة ثلاثة ممارسات، رفض متغيرات لم تعد ملائمة والاختيار بين بدائل متساوية الكفاءة والملائمة، واستيعاب أخرى نحتاجها لأنها القادرة على دفع المجتمع على طريق التحديث والتقدم. تحدث هذه الممارسات فى المجتمعات النامية التى تتميز بعدة خصائص تجعلها تختلف من حيث تفاعلاتها عن المجتمعات المتقدمة التى استقرت تفاعلاتها إلى حد كبير.

فإذا نظرنا إلى طبيعة السياق الاجتماعى فى المجتمعات المتقدمة فإننا نجد أنها تتميز بعدة خصائص أساسية. أول هذه الخصائص، أن هذه المجتمعات قد حققت درجة عالية من الاستقرار، وهو الاستقرار الذى يرجع

بالأساس إلى معدلات النمو الاقتصادى العالية، تلك شكلت قنطرة عبورها إلى مجتمعات الوفرة والرفاهية (١) . بهذه القدرة الاقتصادية تمكنت هذه المجتمعات من التغلب على الصراعات المحتملة داخل بنياتها الاقتصادية(٢)، هذا برغم المتاعب المؤقتة التى قد تواجهها هذه المجتمعات. وتتمثل الخاصية الثانية فى درجة الصياغة النظامية أو التكيف Instiutionalization التى خضعت لها الشخصية فى هذه المجتمعات، حيث يمكن القول بأنها لم تخلق الإنسان الأحادى البعد فقط، ولكنها نجحت أيضاً فى خلق الإنسان أسير المجتمع. بحيث زادت درجة اعتماد الفرد على المجتمع، ومن ثم تضاءلت إمكانيات الإنحراف عن المسار الأساسى للمجتمع، وهو الأمر الذى إنعكس على وحدة المجتمع وتماسكه، ومن ثم تحقق درجة الاستقرار العالية التى تسوده. ويشكل بناء الضبط القوى والصارم الذى يمتلكه المجتمع، والذى يعى الأفراد قوته وبطشه الخاصية الثالثة التى تلعب دوراً أساسياً فى إستقرار هذه المجتمعات(٣)، وهو الاستقرار الذى يشكل الصيغة الأساسية المميزة لها، حقيقة أن هناك بعض الحركات التى تحدث فى بناء المجتمعات المتقدمة، إلا أنها تكون من قبيل الحركات التى تساعد على تصريف بعض التوترات دون أن تؤثر على الصبغة العامة لاستقرارها.

على خلاف ذلك نجد المجتمعات النامية التى تنتفى فيها تقريباً تلك الخصائص توفرت للمجتمعات المتقدمة فساعدت على صياغة استقرارها. فلا هى تمتلك وفرة اقتصادية تتيح اشباع الحالات الأساسية للبشر فى اطارها، ثم هى لا تمتلك بناءاً ضبطياً قوياً، وتتم التنشئة الاجتماعية فى اطارها فى ظل مؤسسات تنشئة ضعيفة يسودها التناقض. بالإضافة إلى ذلك نجد أن أبنية المجتمعات النامية تعانى من ثلاثة اعتبارات أساسية الأول، يتعلق بتعرض السياق الاجتماعى، أثناء عملية التنمية، للآثار التى تنعكس عليه نتيجة للتناقضات والتمزقات التى قد تتواجد فى السياق الثقافى والقيمى، بحيث ينعكس ذلك فى شكل تواجد مجموعة من المعايير المتناقضة

والضعيفة والعاجزة من حيث إمكانياتها الضبطية عن أن تسير التفاعل الاجتماعى وتسيطر عليه. ويتعلق الإعتبار الثانى بالحالة التى تكون عليها عناصر البناء الاجتماعى أثناء عملية التنمية الاجتماعية الاقتصادية . إذ تخض هذه العناصر عادة لعملية إعادة تشكيل أو ترتيب لمكوناتها الأساسية، ومن ثم للمكانات والأدوار التى تشكل جوهر بناءها، ومن المنطقى يقلل ذلك من كفاءتها، خاصة إذا أضيف ذلك إلى التمزق الوارد فى الاعتبار الأول. بينما يتصل الاعتبار الثالث بموقع المجتمعات النامية من النظام العالمى، حيث نجد أنها تحتل مكانة مجتمعات الهوامش أو المحيطات – حسبما تذهب أدبيات التبعية – ومن ثم فهى لا تشارك بإيجابية فى صياغة التفاعلات المؤثرة فى النظام العالمى. بل نجدها تتلقى تأثيرات حادة واردة إليها من المراكز العالمية المؤثرة أياً كانت طبيعة هذه التأثيرات، اقتصادية كموجات التضخم وارتفاع الأسعار، أو اجتماعية ككل الحركات التى أقلقت المجتمعات والمؤسسات المستقرة كثورات الشباب، والتمردات العالية، وحركة المرأة، أو ثقافية ذات تأثيرات متنوعة، تبدأ من موسيقى الجاز وأغانى الهيبز وتنتهى بالسلع الاستهلاكية التى تجسد الجانب المادى للثقافة.

ولتوضيح الطبيعة المعضلة التى تعيشها المجتمعات النامية سوف نعرض لأهم جوانب البناء الاجتماعى، ذات الصلة المباشرة بالشباب. فى محاولة لتصوير طبيعة التفاعل الكائن بين الطرفين، واستناداً إلى ذلك سوف نعرض لمجموعة القضايا التالية:

ثانياً : تنشئة الشباب، طبيعتها وديناميتها :

من المؤكد أن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى تستهدف تأهيل الفرد اجتماعياً عن طريق غرس البعد الاجتماعى فى بنائه. وذلك من خلال تزويده بمجموعة القيم التى تقود سلوكه وتوجه حركته فى المجال الاجتماعى. حقيقة أن التنشئة الاجتماعية تبدأ من الصفر، إلا أنها تمتد حتى نهاية مرحلة الشباب، وتكتسب عملية التنشئة فى مرحلة الشباب أهمية

وطبيعة خاصة من حيث عدد المؤسسات التى تشارك فيها، إذ أنه كلما اتجه الفرد إلى النضج كلما زاد عدد المؤسسات التى تشارك فى تأهيله. هذا إلى جانب أنها تتميز خلال هذه المرحلة بكونها أكثر فاعلية، بالإضافة إلى أن الشباب يعنى المرحلة التى تتم فيها الممارسة الواعية للحياة وفقاً لمعايير التنشئة فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية. ومن ثم نجد أن الشباب يعايش مرحلة تجريب المعايير التى اكتسبها، يكشف عن نواقصها التى قد تتبدى له من خلال تجسداتها الواقعية. وهو الأمر الذى يخلق لدى الشباب حساسية متزايدة نحو مضمون التنشئة الاجتماعية(٤). يؤكد ذلك الحديث الشريف «أوصيكم بالشباب خيراً، فهم أرق أفئدة ...». حيث تنشأ حساسيتهم المتزايدة فى جزء منها بسبب أنهم ليسوا على ارتباط قوى بهذه المعايير، وهو الأمر الذى يبرر بعض مظاهر عنفهم، إذا هم قد إكتشفوا أن بعض تجسداتها ذات طبيعة منحرفة. ولتوضيح تنشئة الشباب من حيث ديناميــاتها ومتضمناتها نرى ضرورة التعرض لثلاثة أبعاد أساسية: الأول يتعلق بمؤسسات التنشئة، والثانى بمضمون التنشئة الاجتماعية، ويتعلق الثالث بالشروط الرئيسية للتنشئة الاجتماعية الملائمة.

وفيا يتعلق بمؤسسات التنشئة الاجتماعية، نرى أن أكثر مؤسسات التنشئة فعالية فى المجتمعات النامية هى الأسرة والمدرسة،والجيش والمؤسسة المهنية، حيث تتولى كل منها غرس مجموعة محددة من المعايير فى بناء الشخصية.

وإذا كانت الأسرة تعتبر إحدى المؤسسات الهامة للتنشئة الاجتماعية، فإننا نعتقد أن لها وضعيتها الخاصة فى المجتمعات النامية. وإذا كان الانهيار قد أصاب الأسرة من حيث بنائها ووظائفها فى المجتمعات المتقدمة، بحيث أدى هذا الإنهيار إلى إنكماش الوظيفة الضبطية للأسرة لصالح اتساع مساحة الحرية الفردية، فإننا نجد أن الأسرة فى مجتمعاتنا – خاصة القطاع الريفى – مازالت قوية ومتماسكة بدرجة واضحة، بل وتمتلك الخلفية التقليدية التى

تتيح لها السيطرة من ناحية، وممارسة الوظيفة الضبطية من ناحية أخرى. ومن هذه الناحية نجد أن الأسرة فى المجتمعات النامية، والشرقية بصفة خاصة، تشكل عائقاً أمام التعبير الحر الصريح. ومن ثم فهى تمهد لقيام صراع الأجيال من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها تعوق بناء الشخصية القادرة على المشاركة الإيجابية والفعالة. هذا إلى جانب أن الأبوين باعتبارهما الزعامة الأسرية قد عجزوا – بسبب ظروف بنائية خاصة بالمجتمعات النامية – عن أن يشكلا المثال الذى ينبغى أن يحتذيه الأبناء فى سلوكياتهم خارج مجال الأسرة(٥).

وحتى تصبح الأسرة فعالة فيما يتعلق بتنشئة الشباب فإن عليها أن تعمل عى تدريبهم على أنماط السلوك الجديدة عليهم، فمثلاً عليها أن تطور وتقاليد تتعلق بمسألة الاختلاط بين الفتى والفتاة فى مختلف المراحل التعليمية حتى توفر المناخ النقى والسليم لمثل هذه القضية. بالإضافة إلى ذلكفإنعلى الأسرة أن تعمل على تبصير الشباب باحتمالات التجسد الواقعى المنحرف للنماذج والمثل، ومن ثم بأنماط السلوك فى مواجهة هذا الانحراف، وذلك حتى لا يفاجأ بها الشباب، لكى يتخذوا موقفاً متصلباً فى مواجهة مختلف التناقضات والإنحرافات. بيد أنه من الضرورى فى اطار ذلك أن تتكامل الأسرة فيما يتعلق بمضمون التنشئة مع مؤسسات التنشئة الأخرى، حتى لا يحدث أى تناقض بين وظائف هذه المؤسسات(٦).

وتعتبر مؤسسات النظام التعليمى – المدارس والجامعة – هى المجموعة الثانية – بعد الأسرة – التى تتولى تحمل أعباء التنشئة الاجتماعية. وإلى جانب أن المدرسة تشكل استمراراً للأسرة فيما يتعلق بغرس مجموعة من القيم والمبادئ والمعايير الأساسية، فإنها تتولى تزويده ببعض المعارف الجديدة التى توسع مساحة العقلانية فى تفكيره. هذا إلى جانب أختلاف طبيعة التنشئة التى تؤديها المدرسة عن تلك التى تؤديها الأسرة، فى أن الأولى تؤدى دورها بالنسبة للنشئ بصورة حيادية بعيداً عن العواطف التى

تغلف الأداء الأسرى للتنشئة(٧). واستناداً إلى ذلك فإن على المؤسسات التعليمية أن تعمل على تلقين ما هو سوى من أنماط السلوك. وعليها أيضاً أن تتأكد من أن التلقين لم يأخذ شكل التعليمات المخفوظة، بل وتؤكد على ضرورة استيعاب القيم والأفكار، التى تؤدى دورها – من داخل دافعية الفرد – فى توجيه السلوكيات الاجتماعية الفردية. ومن الضرورى أن تركز المدرسة – على الأقل فى مجتمعاتنا – على تعميق كل ما يتعلق بالتعليم الدينى. بحيث لا يصبح الدين مادة دراسية على الطالب النجاح أو الرسوب فى مواجهتها. وإنما علينا أن نركز على ضرورة استيعاب المضمون الدينى كعناصر تراثية قارة على التفاعل مع أكثر القضايا عصرية وحيوية. على المدرسة أيضاً أن تعمل على تأسيس القدوة فى أكثر مستوياتها مثالية، فالمدرس الذى يهمل تعليم تلاميذه ويوفر جهده لإعطاء الدروس الخاصة، ومن ثم يساعد روادها من التلاميذ على النجاح، يطرح عادة المثال الأنانى الذى لا يرى أى منطق يبرر المصلحة العامة، ومن ثم يساعد على انتشار ظواهر كثيرة كالغش والخداع والانتهازية وعدم الولاء. وعلى المدرسة أن تعمل على ضرورة تأسيس الاتساق بين مضمون التنشئة التى تؤديها ومتطلبات البناء الاجتماعى المحيط، حتى تترابط معه عضوياً من خلال مكانتها ودورها الفعال فى نطاقه.

ويعتبر الجيش فى المجتمعات النامية من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، يتأكد ذلك بالنظر إلى كونه يعتبر من أكثر وحدات البناء الاجتماعى بروزاً وفعالية فى حياتها. فنحن ندرك أنه نظراً لأن المجتمعات النامية تعمل جاهدة لنيل استقلالها والمحافظة عليه، فإنها عادة ما تطور جيوشها لكى تلعب دورها فى الدفاع عنها. ونظراً لكون الجيوش الحديثة تعتبر مؤسسات تتميز بالتنظيم والحداثة، فإنها عادة ما تكون متقدمة عن سياقها المتخلف، أو الذى يجتاز عملية التنمية. من هنا أن نجد الجيوش تلعب دوراً أساسياً فى تطوير هذه المجتمعات. إذ تلتحق بالجيش مجموعات متباينة

البشر من حيث أعمارها أو السياقات الجغرافية والحضارية والثقافية العديدة التى تنتمى إليها. ومن ثم يصبح على الجيش أن يخلق تجانساً أساسياً بين هذه المجموعات المتباينة، من خلال فرض استيعابهم لثقافة واحدة، بحيث تؤدى هذه العملية إلى الإرتقاء بما هو أدنى لكى يصبح فى مستوى ما هو أعلى(٨) . هذا إلى جانب أن الجيش يلعب دوراً أساسياً بالنسبة للشباب الريفى بصفة خاصة، فهو الذى يكسر محليتهم وإنغلافهم عن طريق تعريضهم لتعلم وإدراك أنماط جديدة للحياة اليومية، أكثر إنضباطاً ونظامية من حياتهم فى السياقات الريفية التى تتميز بالعشوائية. ثم أن الجيش هو الذى يعلمهم أيضاً أن هناك وطناً أشمل من محليتهم الضيقة، وإن هذا الوطن الأشمل كيان يستحق بذلك التضحية من أجله. ويؤدى الجيش دوره التطويرى أيضاً من خلال تعريف هذه التجمعات الشبابية بثقافة جديدة، ومعارف جديدة قد تكون ذات طبيعة فنية عسكرية، إلا أنها تلعب دوراً هاماً فى هز المعارف التقليدية والقديمة. واستناداً إلى ذلك نستطيع التأكيد على أن الجيش – كمؤسسة – يقوم بدور هام فى عملية التغير الاجتماعى فى البلاد النامية، ومن ثم تنشئة الشباب على متطلبات هذه العملية كخطوة تمهيدية لإنجازها. وفى هذا الصدد ندرك فاعلية الدور الاجتماعى والثقافى الذى قام به الجيش المصرى، وسائر جيوش المجتمعات العربية، وبخاصة فى أعقاب عام ١٩٦٧ بعد تجنيد الشباب المثقف بشكل مكثف، وهى العملية التى سوف يصبح لها تأثيرها البعيد فى الحاضر والمستقبل.

ويؤدى العمل بالمؤسسات المهنية المتعددة دوراً هاماً فى عملية التنشئة الاجتماعية، وإلى جانب أن العمل يؤكد على مجموعة القيم والمعايير التى اكتسبتها الشخصية من خلال الأسرة. فإن العمل يعتبر هو المجال الذى ينجز السلوك فى اطاره بالنظر إلى مجموعة المعارف التى تلقاها الفرد من خلال التنشئة التعليمية. بالإضافة إلى ذلك فإن مجال العمل هو الذى يتولى بدوره تزويد الفرد ببعض المعارف ذات الطابع التطبيقى والتى تساعد على الإنجاز

الأمثل للدور. هذا إلى جانب أنه يعمل على غرس بعض القيم والسلوكيات الجديدة، وطبيعة العلاقة بالرؤساء والمرؤسين، أو بمن هم فى نفس المكانة الوظيفية. ذلك يعنى أن بروز دور العمل كأحد مؤسسات التنشئة، يرجع إلى أنه يشكل المؤسسة الأخيرة، التى تستغرق الوقت الأكبر من عمر الفرد، ومن ثم فتأثيرها عليه له وطأته.

واستناداً إلى ذلك ينبغى أن تؤدى المؤسسة المهنية دورها فى التنشئة من خلال ربط العاملين بالظروف الاجتماعية المحيطة، وذلك عن طريق مجموعة الخدمات الاجتماعية التى توفرها بعض المؤسسات للعمال كالنوادى، الرحلات والممارسات الثقافية والاجتماعية بالعمل. إذ أن ذلك سوف يفيد كثيراً فى رفع إنتاجية الشباب لكونه يعمل على تفريغهم من بعض التوترات التى قد تنتابهم. وأيضاً لكونه يربطهم عن وعى بأهداف المؤسسة المهنية والمجتمع على السواء(٩). بيد أنه من الضرورى أن تعمل هذه المؤسسات على إنبثاق القيادات من قلب قواعدها العمالية، بحيث لا تتاح الفرصة لتأسيس القيادات المعروضة والمضللة، حتى لا تصبح هذه القيادات عبئاً على الشباب العمالى، وعائقاً أمام التعبير الحر الموضوعى ودافعاً إلى الإنحراف عنه.

غير أنه قد يحدث عدم اتساق فى الآراء بين مختلف المؤسسات المسئولة عن التنشئة أو المذهبة الثقافية. حيث نجد أن المدارس ووسائل الإعلام ودور العبادة قد تعمل أحياناً على غرس مجموعة من القيم المتناقضة، كإنكار الذات فى مقابل مجموعة من القيم المؤكدة على الذات، والإنضباط فى مقابل التساهل والإغماس فى الشهوات فى مقابل التفرغ لنضال، بحيث يشير كل ذلك إلى تناقضات صارخة فى منظومة القيم التى يستوعبها الفرد، ومثال على ذلك نجد أن التليفزيون والإعلام المقروءه يعملان على نشر القيم المتعلقة بالمتعةHedonism والاستهلاك التى تدعم أن يعيش الإنسان لملذاته. بينما نجد أن المدرسة ودور العبادة تستمر من ناحية أخرى فى غرس

مجموعة القيم الدينية المتعلقة بالعمل لصالح الغير، والإخلاص والتفانى والتقشف والإدخار، فى حين نجد أن النظام الاقتصادى يسعى إلى تعميق قيم النظام والإنضباط وترشيد الانفاق على متع المعيشة كأسلوب فى الحياة. وفى حين نجد أن القادة السياسيون يعملون على اعتناق الفضائل القديمة نجد أن ثقافة الهيبز تعمل على الإحاطة بها(١٠). ومن الطبيعى أن يؤدى تناقض القيم – التى تعمل بحسبها مختلف المؤسسات خلال عملية التنشئة – إلى أضعاف مضمون التنشئة، ومن ثم عدم استيعابه بصورة كاملة، أو رفضها والخروج عليه للبحث عن مضامين قيمية متماسكة تحكم السلوك الاجتماعى. قد يجدها الفرد من خلال الخضوع لجماعات مضادة للنظام القائم، وقد يتغلب الفرد على هذه المعضلة عن طريق اعتناق بعض القيم التى تؤكد على المصلحة الخاصة، بغض النظر عن طبيعة علاقتها بالمصلحة العامة، وهو المدخل إلى كثير من السلوكيات الإنتهازية.

وإذا كان مضمون التنشئة الاجتماعية يشكل البعد الثانى فى عملية التنشئة أو جانبها الدينامى، فإننا نعنى بمضمون التنشئة بداءة مجموعة القيم والمعايير التى تعمل مؤسسات مجموعة القيم والمعايير التى تشكل مضمون التنشئة إلى ثلاثة عناصر، مجموعة القيم والمعايير الوجدانية، وهى التى تساعد الإنسان على التعبير عن نفسه عاطفياً تجاه الآخر والارتباط به بأى صورة من الصور، هذا إلى جانب اتصالها بالجوانب العاطفية والمشاعرية فى حياة الإنسان، وتشكل القيم التفضيلية المكون الثانى لمضمون التنشئة، ويتعلق هذا العنصر أساساً بتوجيه الفرد نحو الاختيار بين البدائل المتاحة لإنجاز السلوك، أو الفعل، فبالنظر إلى معايير هذا العنصر يستطيع الإنسان المفاضلة والموازنة بين مختلف البدائل لاختيار أكثرها كفاءة لاشباع حاجاته الأساسية. ويعتبر العنصر الإدراكى هو العنصر الثالث والأخير بالنسبة لمضمون التنشئة الاجتماعية، وتزود قيم ومعايير هذا العنصر الفرد بمجموعة من المعارف التى تتيح له اصدار حكم موضوعى دقيق فى اطار مختلف

لمواقف التى يتعرض لها[١١]، وبطبيعة الحال فإن هذه العناصر المختلفة تضم القيم والمعايير التى لها فاعليتها فى توجيه السلوك على المستويات الفردية الاجتماعية. غير أن هناك بعض المحاذير التى ينبغى مراعاتها فيما يتعلق بمضمون التنشئة الاجتماعية حتى يمكن أن تؤدى فاعليتها على الوجه الأكمل.

فمحذور أن تكون التنشئة الاجتماعية متخلفة أو سلبية أو منحرفة، ومعنى ألا تكون متخلفة أن تتعامل مع مفاهيم عصرية تؤهل الشاب أن يكون عقلانياً حتى لا يستسلم للخرافات، ويفتقد إمكانية الحكم الموضوعى الدقيق. نقصد بألا تكون التنشئة سلبية أن تغرس فى قلب النشئ إمكانات المغامرة والمخاطرة المحسوبة، ففى المجتمعات الغربية ينشأ الطفل على ضرورة التغلب بمفرده على مشاكله، فيتعلم أن عليه أن يحارب ويكافح ويعمل وينتصر بأسلوب عقلانى، وإن عليه أن لا ينتظر حتى يتأتى غيره ليحل له مشاكله. وذلك عكس ما تبثه بعض العناصر المتخلفة فى ثقافتنا من الميول التواكلية، وأن الزمان قادر على حل مشاكلنا، دون تدخل إيجابى منا. أما ما نقصده بألا تكون التنشئة منحرفة فيعنى أن تعمل مؤسسات التنشئة على غرس عايير الصواب والخطأ بشكل واضح ومحدد. وعليها أن لا تغرس فى النشئ أن الشطارة تكمن فى النجاح فى مسافلة الآخرين ، وأن نصل إلى أغراضنا باللف والدوران حولها، وأن نخفى أهدافنا ووسائلنا عن الآخرين، بحيث تشكل هذه الجزيئات خلفية ملائمة لتأسيس ظواهر إنحرافية كالغش فى الامتحانات، وتتفشى الخداع والكذب والانتهازية وعدم القدرة على مواجهة الآخرين بالحقائق.

من الضرورى أيضاً ألا يتعرض مضمون التنشئة لأية تناقضات أو عوامل معوقة. فمثلاً يجب أن تتناقض الأسرة مع المدرسة من حيث المضمون الذى يتم غرسه. فالأسرة التقليدية قد تسودها بعض التفاعلات التى تؤثر على النمو الطبيعى للطفل. مثال ذلك أنه ممنوع عليه أن يجلس

ويتحدث مع والده إلا وفقاً لقاعدة معينة، ومحرم عليه أن يواجه مشاكله بمفرده، وعليه أن يسمع ما يقال وينفذه بدون اعتراض أو مناقشة ذلك قد يتناقض مع ما تتطلبه الحياة المدرسية من المشاركة الإيجابية أو مبدئية التعبير الحر. إذ تؤدى التربية الأسرية هذه إلى خضوع الطفل فى الحياة المدرسية، يحفظ ما هو كائن فى الكتب بدون مناقشة، ومن ثم فهو استمراراً لذلك لا يستطيع مناقشة أساتذته فى الجامعة. ونتيجة لذلك نجد لدينا خريجين ليسوا سوى نسخ متطابقة، شباباً يدركون أنهم عاجزون تماماً عن المشاركة الإيجابية لحل مشاكل واقعه المحيط، وعن مواجهة التناقض الذى قد يتخلق بين ما تؤسسه أجهزة التنشئة كالأسرة والمدرسة والإذاعة والتليفزيون، وبين ما هو كائن فى الواقع المحيط. بمعنى أن مضمون التنشئة قد يحدث الشباب كثيراً عن الأمانة، بينما هو يرى الواقع متخماً بالغش فى كل مكان. تحدثه القيم عن الفضيلة بينما الفساد والرذيلة ملء حياته. مثل هذه التناقضات تخلق لدى الشباب ما يمكن أن يسمى بالهوة الكائنة بين القول والفعل. ومن شأن ذلك أن يؤثر على ارتباطاته بسياقه الاجتماعى، فيضعها ويصيبها بالوهن. ويتحول الشباب أثناءها إلى كائن أنانى، رافض عنيف، يضرب فى كل اتجاه بتوجيه أو بدون توجيه، مادام الفساد منتشراً ضارباً فى السياق المحيط به.

بالإضافة إلى ذلك فإنه لا ينبغى أن تخطئ أدوات التنشئة سياقها الأيكولوجى والاجتماعى. فمرفوض أن تؤدى دورها من خلال ثقافة ومضامين مجتمعات أخرى. عليها أن تبتعد عن الانفتاح الثقافى غير الرشيد أو غير الواعى. فمثلاً تخطئ وسائل الإعلام حينما لا توفر للشباب القيم الصحيحة والملائمة، أو حينما لا تعطيه قيما لا تتفق مع واقعهم. ليس معنى ذلك أننا ضد الانفتاح الثقافى، ولكننا ضد نقل تجارب وقضايا المجتمعات الأخرى بلا وعى ولا ملائمة، مثال على ذلك، أن هناك بعض المسرحيات والأفلام التى تعرض بعض الأساليب غير الملائمة لمواجهة

لمشاكلهم، فهناك اعتقاد بأن افلام العنف الأمريكى بوجه خاص تلعب دوراً كـبـيـراً فى إشـاعـة بعض مظاهر العنف فى المجـتـمع الأمـريكى، أو فى المجتمعات التى تعرض هذه الأفلام ومنها مصر وعالمنا العربى.

ذلك ينتقل بنا إلى ذكر مجموعة من الشروط التى يحقق توفرها تخلق تنشئة اجتماعية قادرة على أداء دورها بفاعلية خلال مرحلة التنمية. وأيضاً ذات فاعلية فى ربط الشباب بمجـتمعه خلال هذه المرحلة، بعلاقات ذات طبيعة إيجابية سوية. ومن ثم تسهم فى اجتياز المجـتمع له بسهولة وبلا تمزقات أو إنهيارات، وسوف نذكر فيما يلى بعضا من هذه الشروط.

ويتعلق الشرط الأول بضرورة إنطلاق مختلف عمليات التنشئة من خلفية أساسية. بمعنى أن تتأسس الأيديولوجيا التى يمكن أن تتم مختلف عمليات التنشئة فى ظلها، أى أن يكون هناك خط تربوى يعد القاسم المشترك الذى تتجمع حوله بواتق التنشئة المختلفة، بحيث تصبح المعايير المشتقة من هذه الأيديولوجيات ذات طبيعة ضبطية ملزمة لكل تفاعلات مختلف مؤسسات التنشئة. يلتزم بها الآباء فى الأسرة، والمعلمون فى المدرسة والجامعة، والمجتمع بكافة مجالاته، وذلك حتى نتمكن من تأسيس الشباب بالشكل الذى نبتغيه، والذى يتلائم بواسطته مع المجتمع. سوف يفيد التوجيه الأيديولجى للتنشئة فى انتفاء التناقضات التى قد تتخلق بين فعالية مختلف المؤسسات، أو بينها جميعاً وبين التجسدات الواقعية لمثلها(١٢).

ويتصل الشرط الثانى بضرورة تميز التنشئة الاجتماعية بالشمولية والتكامل، وتتحقق الشمولية إذا تمكنت التنشئة من تغطية كافة مجالات وفئات الشريحة الشبابية. نقصد من ذلك أن لا تهتم التنشئة فى أى مجال من المجالات بطلبة المدارس أو الجامعة فقط، وإنما يجب أن يحدث تعامل مع كافة فئات الشباب، مع العمال والفلاحين والحرفيين، لأن هذه الفئات الشبابية الأخيرة هى التى تمثل الوعاء الشبابى الحقيقى. أما فيما يتعلق بضرورة تميز التنشئة بخاصية الكامل فنقصد بها ضرورة أن تتكامل

مضامين مؤسسات التنشئة، بحيث تغطى كافة المراحل العمرية في كافة المجالات الاجتماعية الاقتصادية والثقافية والصحية التى يتعرض لها الشباب العربى، بحيث نصل بالشباب من خلال ذلك إلى النمط المثالى الذى نريده - ذلك يتحقق بشكل ميسر إذا توفر المنطق الأيديولوجى العام الذى تنطلق من التنشئة الاجتماعية بناء وديناميه(١٣).

ويتمثل الشرط الثالث في ضرورة أن تكون التنشئة متدرجة، بمعنى أن تسير فى خط عكسى مع نمو الطفل أو الشاب. فى إطار ذلك يمكننا أن نتمثل النص السنى الذى يؤكد (لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، ثم أترك له الحبل على غاربه). ذلك يعنى أن يتضاءل نسبياً قدر تدخلنا فى حياته بقدر نضجه وتطوره. ويفرض ذلك أن تتخصص مؤسسات التنشئة فى أداء دورها بالنظر إلى طبيعة المرحلة التى يمر بها الشاب، حتى لا يحدث ما يؤدى إلى التداخل والخلط، وفى المرحلة العمرية الأخيرة يجب أن يتأسس آتجاه نعمل فى اطاره على الغاء الوصاية المفروضة من الخارج على الشباب ومن ثم نترك له حرية صياغة حياته وفقاً لإرادته. بل أن لفظ رعاية الشباب يجب أن يختفى من اطار تعاملنا مع الشباب ففى مجتمعنا قد يتعلم الشباب ويتخرج وقد يصبح أكثر أداء من الناحية المادية الأدبية من أبيه، ومع ذلك يظل الآباء يتصرفن بمنطق الوصاية عليهم. وإذا ترك الآباء بعض الحرية لأبنائهم فإن ذلك يكون تحت ضغط الظروف، أو مراعاة لمصالح أسرية وعائلية. يعنى ذلك أنه ليس هناك رضاء كافياً من جانب الشيوخ لكى يمارس الشباب حريتهم وإمكاناتهم إثباتاً لقدراتهم فى تأكيد هويتهم وصياغة حاضرهم وفقاً للمثال المحتذى(١٤).

ويؤكد الشرط الرابع على ضرورة التزام مؤسسات التنشئة بالمثال أو النموذج الذى تفرض الأيديولوجيا العامة ضرورة احتذاءه. إذا تحقق ذلك، فإننا سوف نلغى إمكانية تعدد النماذج الواجب احتذاؤها أو احتمالية تناقضها. ذلك أنه إذا تعددت أو تناقضت المثل الواجب إحتذاؤها، فإن ذلك سوف يهدد

بنشر حالة من الفوضى التى يسير فى اطارها الأفراد فى أى اتجاه، بصورة عشوائية لا نظام فيها. وفى ذلك تهديد بفشل عملية التنمية ذاتها، أو عدم قدرة المجتمع على تأسيس شباب يرتبط إيجابياً بوطنه ويلتزم بقضاياه(١٥).

ويتعلق الشرط الخامس بضرورة التأكيد على عصرية مضمون التنشئة الأيديولوجية، التى ينبغى أن تكون مشتقة من نسق ثقافة ذو طبيعة عصرية. أى أن تكون قادرة على تجهيز الشخصية الشابة بمضمون قيمى أو أيديولوجى يرشد حركتها فى المجال الاجتماعى. بحيث يجعلها قادرة على مواجهة ما قد تطرحه التفاعلات المعاصرة من مشكلات وقضايا. بيد أنه من الضرورى أن يتواكب ذلك مع الاتصال بالتراث، من خلال انتقاء عناصره الأكثر قابلية للأحياء والتجديد، والأكثر قدرة على استيعاب أكثر التفاعلات معاصرة، بما يدعم فى النهاية الهوية الذاتية المحلية. بحيث يتحول تراث الماضى – من خلال هذه العملية – إلى قدرة متجددة تساعد المجتمع والفرد على التقدم.

ثالثاً - الشباب والأسرة، أبعاد التباين الجيلي:

يعتبر النظام الأسرى أحد نظم السياق الاجتماعى الذى لعب دوراً أساسياً فى ظهور المسألة الشبابية كإحدى المسائل التى يتمحور حولها قدر كبير من التفاعل القائم فى عالمنا المعاصر. ذلك لأن النظام الأسرى قد خضع لمجموعة من التغيرات التى تأسست بفاعلية عوامل عددية مصدرها السياق الاجتماعى ذاته على المستوى العالمى أو المحلى، بحيث شكل هؤلاء الأبناء جيلاً محدد المعالم له رؤيته الخاصة لطبيعة السياق الاجتماعى وتوجهاته الأساسية ولديهم بعض الحلول للمشكلات التى يعانى منها السياق الاجتماعى المحيط.

ولا نستطيع القول بأن هذه التغيرات كانت مقصورة على الأسرة فى المجتمعات المتقدمة، ذلك لأن تغير البناء الأسرى أصبح صيغة عالمية شاملة، إذ تشهد أنظمة الأسرة فى نظامنا العالمى المعاصر تحركاً من

التكوينات العائلية الكبيرة والشاملة كالبدنة والعائلة الممتدة العائلة المركبة، إلى التكوينات العائلية البسيطة كالأسرة النووية(*). بحيث تعكس هذه الحركة قانوناً تطورياً عاماً يحكم تغير واستقرار النظام الأسرى(١٧). ولكننا نجد أن الأبنية الأسرية فى المجتمعات النامية ذات الطبيعة الانتقالية تخضع هى الأخرى لتغيرات بنائية وظيفية شاملة. بحيث يمكن إرجاع هذه التغيرات إلى عوامل ذات تأثير فى البناء الأسرى مصدرها السياق الاجتماعى للمجتمعات النامية أو إلى ذات العوامل التى أثرت فى بناء الأسرة ووظائفها فى المجتمعات المتقدمة.

وفى محاولة تحديد التغير الذى أصاب بناء الأسرة ووظائفها، ثم تأثير ذلك وعلاقته بحركات الشباب، فإننا نرى ضرورة أن يتم التحليل من خلال التعرض للأبعاد التالية :

(أ) عوامل التغير فى بناء الأسرة ككل.

(ب) عوامل التغير فى دور الأم كأحد عناصر بناء الأسرة.

(جـ) عوامل التغير فى دور الأب داخل بناء الأسرة.

(د) آثار التغيرات الأسرية على أجيال الشباب.

وسوف نعرض بإيجاز فيما يلى لكل من هذه الأبعاد الأساسية:

(أ) ففيما يتعلق بعوامل التغير فى بناء الأسرة ككل، فإننا نقصد بها مجموعة العوامل التى أثرت على مكانة الأسرة داخل بناء المجتمع، أو أثرت على أدائها الوظيفى من حيث الاتساع أو الإنكماش، بحيث أدت هذه التغيرات إلى إنتاج آثار كثيرة طبعت نفسها بناء الشريحة الشبابية والتفاعل

(*) هناك بعض الدراسات التى تؤكد عودة ظهور نمط العائلات الكبيرة كالعائلة الممتدة، كتلك التى بدأت تظهر فى بعض أحياء القاهرة الشعبية وبعض العواصم العربية التى بدأت تعانى من وطأة أزمةالإسكان. إلا أننا نرفض ذلك باعتباره نتاجاً لظرف استثنائى بحت ومؤقت، ولا يعكس تجسيداً لقانون عام يحكم بناء وحركة وتفاعل الأشكال المتباينة، فعالمنا المعاصر يتجه إلى التجزيئ فى نظم المجتمعات وجوانبها المختلفة.

الذى يتم فى إطارها. وفى إطار ذلك نذكر مجموعة العوامل التالية:

- وتتمثل أول مجموعة العوامل هذه فى التطورات البنائية والاجتماعية التى وقعت فى السياق الاجتماعى لمجتمع القرن التاسع عشر، منها تأسيس الدولة القومية، وإنتشار فاعلية الثورة الصناعية، ثم تيارات الهجرة الهائلة داخل القارة الأوربية وداخل النظام العالمى ككل حيث أسهمت هذه التطورات فى تقليص بناء الأسرة الحديثة والتقليل من أهمية دورها، بل إننا أصبحنا نلاحظ وقوع مجموعة من التغيرات فى اطار البناء الأسرى عند كل مرحلة جديدة من مراحل التحديث، وهى التغيرات التى تؤدى إلى تخلق فجوة متزايدة بين حياة الأطفال داخل العائلة أو المدرسة التقليدية من ناحية وبين العالم الخارجى بمنظوراته الجديدة من ناحية ثانية(١٨) . وعلى الرغم من ذلك فإننا نلاحظ فى الغالب نوعاً من المبالغة فى القول الذى يذهب إلى التأكيد على تضاؤل أهمية الأسرة فى المجتمعات الحديثة. حيث نجد أن هناك بعض السياقات الاجتماعية كالحى وبعض الطبقات الاجتماعية، والمجتمعات المحلية، والسياقات الريفية التى مازالت العائلة القرابية لها تأثيرها الكبير والفعال فى اطارها، غير أن نطاق تأثير العلاقات العائلية أصبح محدوداً للغاية فى المجتمعات الحديثة إذا قورنت بالمجتمعات الأقل من حيث مستوى التحديث(١٩) .

- ويعتبر ظهور تقسيم العمل الاجتماعى المختلف عن تقسيم العمل العائلى أحد المصادر الرئيسية فى بناء النظام الأسرى. حيث صاحب عملية التحديث، وظهور المجتمعات الصناعية الحديثة، وظهور تطور جديد تمثل فى الإنبثاق المتكامل لأسلوب جديد لتقسيم العمل فى المجتمع، وهو التطور الذى ارتبط باستناد العضوية الكاملة فى المجتمعات الحديثة إلى معيار المواطنة، وهو معيار شامل لا يرتبط بصورة ما بالشروط المتعلقة بالجماعات القرابية أو الأقليمية. وبذلك أصبحت الأسرة فى

المجتمعات الحديثة لا تشكل الوحدة الرئيسية لتقسيم العمل الاجتماعى ليس فقط فى عمليات الإنتاج والتوزيع ولكن فى عملية الاستهلاك أيضاً. هذا إلى جانب أن الممارسة المهنية لم تعد تنتقل من جيل إلى الجيل الذى يليه، من خلال ميكانيزم الوراثة. بالإضافة إلى أن الأسرة أو الجماعة القرابية لم تعد تشكل الوحدة الأساسية فى أداء المناشط الدينية والسياسية. هذا إلى جانب التضاؤل الواضح لمساحة المناشط العائلية، وذلك لأن هناك كثيراً من المؤسسات المتخصصة التى ظهرت وبدأت تؤدى ذات الوظائف الأسرية فى مجال التعليم والترفيه(٢٠).

- ويعتبر تآكل أو إنخفاض كثافة الروابط القرابية التى تربط الأسرة النووية بسياقها القرابى المحيد أحد التغيرات الهامة التى انتابت بناء الأسرة فى الطبقة المتوسطة. وإذا كان تفكك بناء العائلة الممتدة من التغيرات ذات الأداء الوظيفى الميسر بالنسبة لبناء المجتمع الذى يستند أساساً إلى التطور التكنولوجى، لأن هذا البناء من طبيعته أن يطلب من البشر أن يكونوا متحررين نسبياً من الروابط العاطفية والاقتصادية التى تربطهم بأقاربهم ومعيشتهم حيث يساعدهم ذلك على الحركة الحرة استجابة لمتطلبات التغير المهنى، لاقتناص فرص الترقى المهنى والاجتماعى حيثما كان ذلك متيسراً. وفى هذا الاطار فإنه طالما أنه من المتوقع أن تؤسس العائلة النووية معيشة قائمة بذاتها، فإنها سوف تشكل ميكانيزما يمتلك درجة عالية من الكفاءة لاستيعاب قدر هائل من سلع الاستهلاك، حيث لابد أن تمتلك فى العادة كل وحدة أسرية نووية منزلاً، وسيارة وأثاثاً ملائماً، وذلك على خلاف السلوك الاستهلاكى للعائلة الممتدة التى قد يشترك أعضاؤها جماعياً فى استهلاك نفس هذه السلع، وبذلك يمكن القول بأن الأسرية النووية التى تنتمى إلى الطبقة الوسطى قد تداخلت بصورة قوية مع المتطلبات الأساسية لقوة العمل المتحركة، والجمهور النشط من الناحية الاستهلاكية(٢١). حيث أصبحت الأسرة المعاصرة تعتمد على

إشباع حاجاتها الأساسية على السوق الخارجية، بعد أن كانت فى الأبنية التقليدية الماضية مكتفية ذاتياً فى إشباعها لحاجاتها الأساسية.

- ويتصل العامل الرابع والمؤثر على تغير البناء الأسرى ببناء الأسرة ذاتها. حيث نجد فى العادة ارتباكاً وحيرة بين الأبوين حول طبيعة القيم الواجب اتباعها فى تربية الأبناء، وفى هذا الصدد نجد أن الآباء يواجهون درجة عالية من التوتر حينما يسمحون بقدر كبير من الحرية للأبناء، أو حينما يشجعونهم على درجة عالية من الاستقلال. ويعتبر الاختلاف فى النطاق الذى ربى فيه كل من الآباء والأبناء أحد المصادر الأساسية للتوتر، بالإضافة إلى ذلك نجد أن كثيراً من الآباء الذين ينتمون إلى الطبقة الوسطى لديهم التزامهم العاطفى الأخلاقى بالقضايا التقليدية التى يؤكد عليها الوعاء الأخلاقى لهذه الطبقة. كالنظافة، والطاعة والسيطرة على المشاعر، وغير ذلك من الفضائل. ونتيجة لذلك نجد أن الآباء يتسقون تماماً فى ممارستهم بالنظر إلى الاطار الأخلاقى الذى ينطلقون منه ويطلبونه، ومن ثم فهم قد يعاقبوا الأبناء بسبب أى إنحراف عن القواعد التى وضعوها، غير أنهم بسبب بعض النزاعات التحديثية أو التحررية قد لا يعاقبونهم على وقوع هذه الانحرافات. فى بعض الأحيان نجدهم يصرون على اتباع القواعد والعادات الصحيحة بينما نجدهم أكثر تسامحاً فى أحيان أخرى فيما يتعلق بالإنحراف عن ذات القواعد. ونتيجة لذلك فقد يؤدى هذا انوع من عدم الاتساق إلى ما يمكن أن يسمى بانهاك absorption شخصية الابن. وبدلاً من أن يساعد الآباء أبناءهم على امتلاك بناء شخصية ذات طبيعة مرنة، ومناضلة، مكتفية بذاتها ومستقلة، نجد أن بناء الشخصية الناتج لدينا يخاف من الفشل والنجاح أيضاً. يعانى من القلق العميق حول مدى قبول الآخرين له. حيث نجد شخصية من الصعب عليها أن تكون مستقلة بذاتها، تنجذب دائماً إلى التوافق وتحقيق حالة الأمن أكثر من إنجذابها نحو الاستقلال والإنجاز

على المستوى الشخصى وحسبما تذهب كثير من الانتقادات فإن هذا النمط من التنشئة المتأرجحة قد أسهم فى تزايد نمط الشخصية الموجهة نحو الخارج والمرتبطة بالآخر، ومن ثم بدأ نمط الشخصية الموجهة إلى الداخل فى التلاشى. وسواء جانب ذلك الصواب أم أصاب كبد الحقيقة فإن من الواضح الآن أن الفوضى الأبوية حول طبيعة قيم التربوية ونظامها المتبع، قد أصبحت شائعة وتلعب دورها فى التقليل من قيمة الأهداف الثقافية التى لها جذورها فى الدافع إلى الإنجاز(٢٢).

ويرتبط بذلك عدم قدرة الأبوين على التنسيق بين رعاية الأبناء من ناحية متطلبات الحياة الاجتماعية من ناحية أخرى، وفى هذا الصدد نجد التزاماً لدى كثير من الآباء بتوفير فرص الاستقلال والتعبير الحر لأبنائهم. ومن ثم فهم يساعدونهم من خلال توفير الحياة الناعمة التى يسودها الثراء وحداً أدنى من إنكار الذات. بالإضافة إلى ذلك فإننا نجد أنه قد أصبح على آباء العائلة النووية الصغيرة – حيث تعتبر الأم هى المتخصص الرئيسى فى رعاية الأبناء – أن ينفقوا وقتاً كبيراً لرعاية الأبناء – خاصة إذا كانوا يسمحون لهم بقدر من الإباحة والحرية – وذلك لمتابعتهم. فهم من ناحية يريدون لأبنائهم أن يطرقوا المجالات المختلفة من أجل التجربة والمحاولة والخطأ، غير أن ذلك من شأنه أنه يتطلب متابعة دقيقة لهم ويقظة دائمة حفاظاً على أمانهم الفيزيقى. هذا إلى جانب أنهم قد يستغرقوا فى مناشط أبنائهم فى محاولة مساعدتهم على الفاعلية العقلية والمشاعرية، غير أنهم إذا رغبوا فى هذه المتابعة الدقيقة فإن عليهم أن يحدوا من نشاطهم. ومن شأن ذلك أن يكون فى حد ذاته مصدراً للتوتر بالنسبة للآباء الذين لديهم التزاماً بالقيم الليبرالية، وخاصة وهم الذين يؤكدون على الحرية والاستقلال والقدرة على الإنجاز. ومن الطبيعى أن يشكل هذا الصراع بين متطلبات تربية الأبناء من ناحية، والاحتياجات الشخصية للآباء من ناحية أخرى أحد المصادر الهامة لعدم اتساق سلوك الآباء، وهو الأمر الذى يقلل من كفاءة الطابع المثالى للأسرة الحديثة المنتمية إلى الطبقة الوسطى(٢٣). وأيضاً من قدرتها على التنشئة الاجتماعية السليمة.

- ويعتبر الاختلاف بين مناخ التربية الذى أتيح للآباء من ناحية والمناخ الذى ينشأ من خلاله الأبناء من ناحية أحد المصادر الأساسية للتوتر وذلك يعنى أن العالم الذى يصبح فى اطاره الأطفال بالغين سوف يختلف عن العالم الذى كان فيه الآباء أطفالاً من حيث مكوناته الثقافية. ويؤكد ذلك أن الآباء قد يدركوا بقدر كبير من الوضوح أنهم لم يعودوا نماذج كافية يمكن أن يحتذيها أطفالهم، وذلك لأن هذه النماذج قد إستنفذت فعلاً. واستناداً إلى ذلك فإن نصائح الآباء سوف لا يعتقد فيها، وإن سماع توجيهاتهم سوف يصبح نوعاً من البله، ومن ثم ستضعف سلطة الآباء بسبب عدم ثقة الأبناء فيهم. ولا تعتبر حالة الإنهيار الثقافى هذه نتيجة للبناء المتغير للعائلة النووية، بقدر ما يعتبر نتاجاً للتغير والتطور التكنولوجى الذى حدث فى المجتمعات الحديثة التى تعرضت لفاعليته.

- ويشكل تساهل الآباء نحو الأبناء خلال عملية التربية أحد العوامل الناتجة عن تغير البناء الأسرى والمتصلة بصورة ما ببناء الحركات الشبابية المعاصرة. إذ يؤدى تساهل الآباء إلى عجز الأبناء عن العمل والإنجاز. وفى هذا الصدد يعتبر الصراع بين التساهل من ناحية والتأكيد على ضرورة بذل الجهد والإنجاز من ناحية أخرى أحد مصادر التوتر فى بناء الأسرة الحديثة. فمثلاً نجد أن الآباء النمطين فى الأسرة النووية المنتمية إلى الطبقة المتوسطة يتوقعون أن يناضل أبناؤهم لكى ينجزوا ويدركوا الحاجة إلى الاعتماد على الذات وبذل الجهد من أجل تحقيق الأهداف، غير أننا على الرغم من ذلك، نجد أن هذه الأسرة لديها فى الغالب دخولاً فائضة، ومن ثم فهى تحاول بها توفير نوع من الحياة المريحة بالنسبة لأبنائها واستناداً إلى ذلك نجد أن كثيراً من آباء هذه الأسر يتساهلون مع أبنائهم، وذلك لإظهار حبهم ورعايتهم لهم، بينما ذلك قد يكون محاولة لتهدئة الشعور بالذنب الذى يشعر به الآباء بسبب غيابهم

عن المنزل عن طريق إغراق أبنائهم بالهدايا، بينما يحاول نمط آخر من الآباء تبرير هذه التضحيات بتأكيدهم أنه يقبلون إنجاز أى شئ من شأنه أن يحرر أبنائهم من المعاناة. ومن الطبيعى أن يكون هذا التساهل الأبوى (له أداء وظيفى بالنسبة لقطاع سلع الاستهلاك فى الاقتصاد). إذ يعلن هذا التساهل على إضعاف شعور الأبناء بالحاجة إلى التنظيم الذاتى والتضحية والكدح، بل إننا نجد أن كثيراً من الأبناء الذين يعيشون هذه الفترة العادية يشعرون بأنهم ورثه آبائهم المادية. ومن ثم نجد لديهم ميلاً دائماً إلى محاولة إمتلاك نوع من الأمان الاقتصادى الدائم. ونتيجة لذلك لا نجد لديهم طاقة دافعية تدفعهم إلى الإنجاز وبذل الجهد بل أن هذه المفاهيم تفقد دلالتها الأخلاقية بالنسبة لهم. ذلك يحدث عادة خاصة إذا أكد الآباء لأبنائهم – وهو الأمر الذى يحدث غالباً – أن باستطاعتهم أن يوفروا لهم الحياة السهلة والكريمة بالمستوى الذى لم تستطعه الأجيال السابقة(٢٤).

(ب) ويشكل التغير الذى حدث فيما يتعلق بمكانة ودور الأم فى بناء الأسرة الحديثة من أهم الآثار التى نتجت عن التغيرات الهامة التى انتابت المجتمعات المتقدمة والنامية فى ذات الوقت. حيث أدت هذه التغيرات إلى تخلق عنصرين متناقضين فى بناء دور الأم. أما العنصر الأول فيتمثل فى خروج المرأة إلى العمل، من ثم تضاؤل مساحة طاقتها المبذولة لشئون الأسرة ورعاية أبنائها، ومن ثم فقد اعتبرت الأمومة ذاتها مجرد أحد جوانب دور الأم بعد أن كانت دورها الأساسى والكلى. بينما يتصل العنصر الثانى فى أن الأم فى الأسرة الحديثة أصبحت العنصر الرئيسى الذى يقع على عاتقه عملية التربية والتنشئة بالنسبة للأبناء، حيث مساحة دور الأب وطاقته الموجه إلى الخارج أوسع كثيراً. وبالنظر إلى ذلك نجد أن دور الأم فى بناء الأسرة الحديثة قد أصابته بعض التغيرات التى سوف تؤثر بدورها على شخصية الأبناء من خلال التنشئة التى تقوم بها الأم.

– من هذه التغيرات مثلاً حالة الحيرة والإحساس بعدم الرضا الذى تشعر به كثير من الأمهات حينما يشرعن فى أداء أدوارهن الجديدة المحددة لهن من قبل بناء الأسرة الحديثة وأيديولوجية التنشئة الاجتماعية والثقافية وتتحور أسباب عد الرضاء هذه حول حقيقة أنه من المتوقع أن تصبح المرأة طيلة الوقت – الذى تكون فيه خارج العمل إذا كانت تعمل خارج المنزل – أما وزوجة، وهو الدور أو الموقف الذى تشعر فى إطاره المرأة أنها أصبحت معزولة عن العلاقات الاجتماعية لعالم البالغين. وإن هذه الوظائف التى تقوم بها لا معنى لها وذات طبيعة عبودية. بل أن المجتمع والآخرون يتوقعون منها أن توافق على أداء هذا الدور حتى ولو كان تعليمها قبل الزواج والأمومة قبل الزواج والأمومة يؤهلها لأداء أدوار أخرى، وذلك بغض النظر عن طموحاتها فى الاستقلال الذاتى، أو تحقيق الذات. وفى اطار ذلك نجد أنه من الصعب أن تحاول هذه المرأة تضييق نطاق طموحاتها أو اهتماماتها وتقصرها فى اطار عالم ابنها الصغير الذى له من العمر ثلاث سنوات، والأكثر صعوبة أنها قد تشعر بالذنب لكونها غير راضية، ومادية بصورة كاملة لابنها وزوجها من جراء ذلك(٢٥).

وتتنوع الأساليب التى تتكيف بها المرأة مع مثل هذه المواقف، هذا برغم أن معظم الدراسات التى أجريت فى هذا الصدد قد أكدت أن معظم أنماط التكيف التى حدثت ذات أداء وظيفى معوق من الناحية الثقافية، هذا إلى جانب أنها مدمرة للطفل من الناحية الفسيولوجية فعلى سبيل المثال هناك الأم التى تبالغ فى حماية طفلها (حيث يقال أن هذه المبالغة فى حماية الطفل ليست إلا غلالة لاخفاء عدائيتها اللاشعورية نحو الطفل). هناك الأم التى تساعد على الغواية Seductive (وهى الأم التى تلتصق بابنها بصورة متطرفة كبديل لإحباطاتها الجنسية والشخصية العامة). وهناك الأم الماكرة التى تعمل لا شعورياً على تشويه سمعة زوجها أمام أبنائه كتعبير عن حقدها وحسدها وإهماله لها. والأم التى تحاول أن تعيش متحملة لكل الأعباء عن

أبنائها (تحت أمل أنهم سوف يحققون الأهداف التى أعاقتها الظروف عن تحقيقها)، والأم العاملة (التى تعمل - حسب نصائح بعض خبراء تربية الأطفال - على تعميق مخاوف الطفل من العزلة والهجر). وطبيعة الحال فإننا ننظر إلى كل هذه السلوكيات التعويضية للأم باعتبارها مدمرة لقدرة الطفل على تجاوز تبعيته للأم، التى تعمل بدورها على توسيع نطاق التبعية أو إجباره على التوحد معها (بدلاً من التوحد مع الأب)، ومن ثم تضعف قدر الطفل الذكر على الموافقة على التحديدات الثقافية المتفق عليها فيما يتعلق بهوية الذكر. وقد تعمل كل هذه الأنماط السلوكية على إضعاف حافزية الإنجاز لدى الطفل، بل إنها قد تعمل على تدمير قدرته على الاعتماد على الذات[٢٦].

وبرغم تشخيص كثير من المحللين النفسيين لسلوك الأم على هذا النحو باعتباره سلوكاً عصابياً Neurotic، فإننا نجد أن المنظور السوسيولوجى يؤكد على حقيقة أن مثل هذا السلوك محتم اجتماعياً، إلى جانب أنه متضمن بنائياً فى دور الأم كما هو الآن، وبخاصة إذا أخذنا فى الاعتبار أسلوب التنشئة الاجتماعية للأمهات الصغيرات، وبتعبير آخر فإن عدم الرضاء الذى يسود بين أمهات الطبقة الوسطى يعتبر من ناحية نتيجة حتمية لحقيقة أنهم مجبرون على أداء أدوار لا تتلائم وطموحاتهن وتصوراتهن عن ذاتهن، وهى الطموحات والتصورات التى تعلمن أنها من حقهن، ومن ناحية أخرى فإنه يمكن اعتبار هذا التناقض فى أدوار المرأة اللازمة التى تعانيها الثقافة العامة السائدة فى المجتمع[٢٧].

(جـ) وإذا كانت الأم المنتمية إلى الطبقة الوسطى لها سلوكياتها ذات التأثير على الشباب الذى ينتمى إلى هذه الطبقة، فإننا نجد أن دور الأب أيضاً فى هذا النمط من الأسرة تكتنف بعض الصعوبات التى لها تأثيرها على سلوكيات الأبناء من الشباب. وذلك لأن الدور الأبوى هو الآخر تناقضاته الداخلية. ويحدث ذلك بالنظر إلى العقلانية والقدرة على الإنجاز التى تعتبر

من الخصائص الأساسية لنماذج البالغين المنتمين إلى هذه الطبقة والتى لها تأثيرها، ذلك أن الأب المنتمى إلى هذه الطبقة عادة ما نجده يسعى إلى النجاح أو هو ناجح فعلاً. ونتيجة لذلك فإنه من المعتاد أن يكون لديه قدر من المسئوليات والالتزامات خارج المنزل، ومن ثم نجد أنه من الصعب أن يكون الأب الذى يحتل مكانة مرموقة فى الخارج متيسراً حضوره بالنسبة لأبنائه، أولاً بسبب الحاح الضرورات والمسئوليات الخارجية، وثانياً لأن هؤلاء الآباء يشعرون عادة أن حياة الأسرة ذات طبيعة متدنية إذا قورنت بالحياة خارج المنزل، حيث السلطة والمسئولية التى لها درجة عالية من الإثارة.

وعلى نقيض ذلك نجد شريحة أخرى من آباء هذه الطبقة أو آباء الطبقة الدنيا يعانون عادة من مشاعر الأسى وعدم الرضا فيما يتعلق بعملهم، إما لأنهم يحتلوا مراكز وظيفية لا تحقق طموحاتهم، أو لأن عملهم لا يحقق ذواتهم، أو لأن هذا العمل موضع شك وإدانة أخلاقية. ذلك يعنى أن عملهم يعتبر مصدراً دائماً للمعاناة، وهذه المعاناة تنتقل عادة إلى أبنائهم بصورة تلقائية. هذا إلى جانب أن هناك شريحة من الآباء الذين يعتبرون أنفسهم فاشلين، وأنهم من الدرجة الثانية من حيث تقديرهم الوظيفى، فى هذا الإطار تصبح العائلة بالنسبة لهم مجالاً لممارسة العدوانية والسلطة، وتأكيد الأهمية الذاتية، وهى السلوكيات التى لا يتاح لهم التعبير عنها فى أى مكان آخر.

وتعتبر هذه الحيرة الأبوية – مثل التناقضات الكامنة فى دور الأم – مشتقة أساساً من التناقضات الأساسية على مستوى الثقافة العامة. حيث تتمحور هذه التناقضات حول بعض المتطلبات المتناقضة أيضاً، إذ يطلب مثلاً من الرجال أن يكونوا موظفين ناجحين، فى نفس الوقت آباء جيدين. وفى هذا الاطار ينقسم عالم الإنسان إلى عالمين، عالم يتطلب الدفء والعواطف الشخصية، بينما يستلزم الآخر القدرة على الإنجاز، خاصة أن القيمة الثقافية للبالغ لذكر من الطبقة الوسطى (وبالمثل قدرته على الافتخار الذاتى، تعتمد إلى حد كبير على نجاحه المهنى، وهو النجاح الذى لا حدود

له من ناحية، ولا يستطيعه كثير من الرجال من ناحية أخرى) . فإذا وافق الإنسان البالغ على هذا المعيار، فإنه فى حالة عدم الكفاءة سوف يصل وإحباطاته هذه إلى أبنائه. أما إذا رفض هذا المعيار الثقافى كأساس للنجاح، فإنه سوف ينقل قدراً من الشك فى الإطار الثقافى العام لأبنائه كذلك(٢٨). ونتيجة لذلك فإننا نجد أن الطفل المنتمى لهذه الأنماط من الأسرة يعانى عادة من قدر كبير من الفوضى، حيث نجد أنه كلما استوعب الأب هذه التناقضات كلما فقد تأثيره كنموذج ينبغى أن يحتذى، ولما كانت العائلة النووية – خاصة الحضرية – صغيرة ومنعزلة، فإننا نجد أنه لا يكون أمام الابن الذكر سوى نماذج قليلة تلعب دورها كنماذج لها تأثيرها الفعال بالنسبة له.

(د) وتتعلق القضية الرابعة بنتائج هذه التغيرات أو التوترات على الشباب، وبإيجاز نستطيع القول بأنه من المحتمل أن يؤدى هذا التأرجح الأسرى إلى تأسيس قدر واضح من الفوضى المتعلقة بالأهداف والقيم الطموحات الخاصة بالشباب الذى يتعرض لهذه التأثيرات. وبتحديد أكثر، فإننا نستطيع القول بأنه من المحتمل أن تعمل العائلة الحديثة على غرس مجموعة من الاستعدادات والميول الشخصية فى أبنائها. وهى الخصائص والإمكانيات التى تجعل من المحتمل أن يصبح هؤلاء الشباب فى المستقبل قلقين وشاكين ومغتربين عن بعض الجوانب الأساسية للثقافة السائدة. وبالتالى لديهم استعداد للمشاركة فى أية جهود ترمى إلى تغيير الأوضاع الثقافية والاجتماعية المحيطة.

وإلى جانب أن الأسرة قد تصبح إطاراً يتولى تنشئة الشباب القلق والمغترب، فإن الأسرة ذاتها قد تصبح فى حد ذاتها إطاراً مشكلا لأبنائها من الشباب، وذلك أما بسبب مشكلات عدم التكيف بين العناصر الأساسية المكونة للأسرة، أو بسبب عجزها عن إشباع الحاجات الأساسية لأبنائها من الشباب، وربما عجزها عن إدراك هذه الحاجات أصلاً، ويؤكد هذا الوضع

المشكلة إحدى الدراسات التى أجريت عن الشباب العربى حيث تذهب نتائجها إلى معاناة الشباب من مشكلات أسرية. فقد أكدت عينة ممثلة من الشباب العربى (الذين أجريت عليه الدراسة) بنسبة ٤١٪ بأنهم يعانون من مشكلات أسرية، الأمر الذى يعنى أنه فى المرحلة الإنتقالية التى يعيشها مجتمعنا العربى، تصبح الأسرة إحدى المجالات التى يواجه الشباب على ساحتها كثيراً من المشكلات(٢٩).

تشير الدراسة السابقة إذاً إلى معاناة الشباب العربى من وضع مشكل فيما يتعلق بالسياق الأسرى، وهو السياق الذى يعوق على هذا النحو إشباع الحاجات الأساسية للشباب فى مجال الأسرة. هذا إلى جانب إظهار عجز الأسرة عن تأسيس البناء السيكولوجى والاجتماعى للشخصية الشابة.

وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد أن شباب هذه الأنماط الأسرية يعانى عادة من القلق وعدم الوضوح فيما يتعلق بالتحديدات الثقافية الشائعة للنجاح. وقد تنتج هذه المشاعر عن نماذج الحيرة الأبوية التى عرضنا لها، أو نتيجة للبعد السيكولوجى بين عمل الأب ودوره من ناحية وبين أدواره بالنسبة لأبنائه من ناحية أخرى، أو نتيجة للفوضى القيمية التى يعانى منها الآباء والتى أشرنا لها، أو بسبب نمط السيطرة الذى تمارسه الأم. وحتى بالنسبة للشباب الذين لديهم دوافع الإنجاز، والذى قد يجسدوا هذه الدوافع فى الممارسة الواقعية، فإننا قد نجد لديهم بعض الشكوك فيما يتعلق بالنجاح المادى والنضال من أجل المكانة العالية أو البحث عن الوظيفة المرموقة. وفى إطار هذا التناقض القائم بين الاستعداد للإنجاز والقدرة عليه وبين الشك فى النجاح المادى، تظهر مساحة عريضة من عدم الوضوح والتحدد فيما يتعلق بالعمل الذى ينبغى القيام به، والذى يسميه أريك أريكسون (غموض أو فوضى الدور). هذا إلى جانب نمو حالة من الشوق الغامض من أجل الشهرة والحصول على الاعتراف الاجتماعى، إلى جانب البحث الذى لا يتوقف عن سوى أو أساليب بديلة للحياة(٣٠).

- إلى جانب ذلك تنمو لدى الشباب مشاعر القلق الناتج عن عدم القدرة على ضبط النفس. وتنتج هذه الظاهرة عن بعض ملامح الأسرة ذات الأبوين المتساهلين أو المتسامحين. وتتصل أيضاً بمشاعر عدم الرضاء المتعلقة بالتحديدات الثقافية والاجتماعية الشائعة والخاصة بالإنجاز والسلوك المعنى. وقد تتجلى هذه المشاعر لدى الشباب فى مظاهر عدم الرضاء بالزى المدرسى، أو عدم الموافقة على التعليم الذى يتطلب الاستظهار، أو الميل إلى الشعور بالقلق أو الإنزعاج حينما يكون التركيز مطلوباً، هذا إلى جانب تجنب الموضوعات المدرسية التى تتطلب النظام والانتباه للتفاصيل، والمقاومة العامة للمهام التى يبدو أنه لا عائد شخصى وراءها، أو أنها لا تتصل بالأهداف التى تسعى الذات إلى تحقيقها، وتصاحب هذه المشاعر عادة رغبة عميقة فى الاستمتاع الحالى والمباشر والمتحرر وكذلك الخبرات المباشرة التى تؤدى معايشتها عادة إلى تأسيس شعور عميق بالذنب.

- ظهور مشاعر القلق والخوف لدى بعض شرائح الشباب من السلطة ذات الطبيعة القهرية أو التعسفية. وتنتج هذه المشاعر عادة بسبب التوقعات التى تطورت من خلال الأسرة تجاه بناءات السلطة التى تتميز بالنزعة إلى التسلطية وهى التوقعات الناتجة عن الدعم الأبوى للمشاركة والتأكيد عليها. إضافة التأكيد عن الاستقلال والاعتماد على الذات، وأيضاً لرفض الآباء استخدام القهر أو العقاب الفيزيقى. ويمكن أن نتوقع أن يكون الأبناء الذين تتم تنشئتهم حسب هذا الأسلوب مبالين إلى توقع أن تكون السلطة خارج الأسرة سريعة الاستجابة، ديمقراطية، متسامحة ولا تؤمن بالعقاب. ونتيجة لهذه الاستعدادات والتوقعات المتعلقة بالسلطة نجد لدى شباب هذه الأسر ميلاً غير عادياً للثقة في المدرسين والبالغين الآخرين. ومن ثم نجد أنهم قد يصابوا بالإنزعاج والغضب، وقد يتمردوا بصورة متطرفة وصاخبة، حينما لا يشبع أى من ممثلى السلطة التوقعات المتعلقة

بالديمقراطية أو النزوع إلى المساواة. هذا إلى جانب توقعنا أن يكون لدى هؤلاء الأبناء قدرة على مقاومة السلطة والعمل على تغييرها بصورة أكثر فاعلية حينما تبدو تعسفية. بل إنهم قد يصبحوا بصورة عامة أكثر شكاً فى ادعاءاتها وأكثر ميلاً لاختبار حدود سماحتها بصورة منتظمة(٣١).

- يعانى هؤلاء الشباب أيضاً – نتيجة لأنماط التربية الأسرية هذه – من القلق والإنزعاج فيما يتعلق بالتحديدات الثقافية الشائعة لمفهوم الجنس ودوره. إذ يميل أبناء الآباء غير المستقرين عادة إلى التوحد مع أمهاتهم – ذلك فى مقابل أن الآباء أنفسهم يوافقون عادة على تصرفاتهم ولا يعاقبون عليها – ومن ثم نجد أنهم يحددون الذكورة بأساليب غير تقليدية تماماً. هذا إلى جانب أنه من المحتمل أن يكونوا أقل ميلاً إلى التسلط، أو أقل عدوانية وخشونة من الناحية الفيزيقية، وأكثر تعبيراً من الناحية العاطفية. وهناك توقع أن يكون الإناث اللائى تمت تنشئتهن فى هذا الاطار أقل خضوعاً وأكثر تأكيداً لذواتهن، وأكثر استقلالاً. فإذا استمر الآباء فى توقع إنجاز الدور الشائع للجنس منهم، وكلما كان هذا الإنجاز متوقعاً من قبل الرقابة فى المدرسة، فإن لنا أن نتوقع درجة عالية من فوضى المشاعر والقلق الذى ينتج عن ذلك(٣٢).

وفى هذا الإطار فإن بإمكاننا الاستطراد فى سرد الآثار والتوقعات والمشاعر الناتجة من أنماط معينة من البناءات الأسرية وممارساتها المحددة لتربية الأطفال، حسبما أشرنا إلى ذلك. بيد أنه ينبغى أن يظل واضحاً التأكيد الذى يذهب إلى أن تغيرات معينة وأساسية تقع فى البناء الاجتماعى والاقتصادى يكون لها تأثيرها المباشر على بناء العائلة، وبخاصة العائلة التى تنتمى إلى الطبقة الوسطى، ومن شأن هذه التأثيرات أن يكون لها وطأتها على قيم وممارسات الآباء، بحيث ينتج عن ذلك متناقضة للغاية. فمن ناحية قد تبدو العائلة الحديثة باعتبارها ملائمة أساساً كوسيلة لتنشئة نماذج صحيحة من البشر القادرين على الحياة فى المجتمع التكنولوجى، ومن ناحية أخرى

فإن هناك مجموعة من الميول الكائنة فى السياق الموقفى لهذه العائلة، وهى الميول التى تعمل على توليد قدر هائل من الشعور بالإحباط وعدم الرضاء نحو النظم والأدوار والقيم الثابتة. وعلى هذا النحو نجد أن الأسرة الصغيرة المنتمية إلى الطبقة المتوسطة الحضرية هى التى تعكس عادة أزمة الثقافة السائدة. وفى نفس الوقت فهى التى تسهم فى تأسيس هذه الأزمة أو تعقيدها، عن طريق تأسيس مجموعة من الطموحات والتوقعات والدوافع التى لا تتوافق مع المعايير القائمة، أو الأنماط الثقافية التى تصاغ نظامياً فى الجيل الثانى، فهى تؤسس الاطارات العقلية والسيكولوجية لهويات جديدة فى مجتمع لا يقدم نماذج أو أدوار أو أساليب حياة يمكن أن تتبلور حولها هده الهويات الجديدة(٣٣).

وبالإضافة إلى ما تعانيه السرة فى المجتمعات النامية من ذات المخاطر التى تعانيها الأسرة فى المجتمعات المتقدمة، وهى المخاطر التى لها تأثيرها على الشريحة الشبابية، فإننا نجد أنها إلى جانب ذلك تعانى من عدة مشكلات أساسية. من هذه المشكلات مشكلة عدم الاتساق البنائى، فالأسرة الريفية أو البدوية التى تتخذ عادة نموذج العائلة الممتدة، نجدها تعانى من مشكلة الآباء التقليديين والأبناء المتعلمين. حيث يتواجد هذين العنصرين المتناقضين داخل بناء العائلة خاصة بعد موجات الإندفاع إلى تعليم الأبناء فى كثير من المجتمعات النامية ومنها مجتمعات العالم العربى على سبيل المثال. وإذا كان الوضع التقليدى يجعل من الآباء نموذجاً يحتذيه الأبناء فإن الوضع الجديد يدرك فى اطاره الأبناء أن هذه النماذج التقليدية أصبحت مهجورة وغير صالحة للاقتداء، وهى القناعة التى يرفضها الآباء. ومن ثم فنحن لا نستطيع القول بأن هذه الأسرة تعانى الصراع الجيلى، لأن الصراع سوف ينتهى بفرض أحد الأطراف لرؤيته على الآخر، بل أننا فى مثل ها الوضع نواجه بوضع من التناقض البنائى بين عناصر متناقضة حيث احتمالات التكيف منعدمة بينها.

وتتمثل المشكلة البنائية الثانية فى عجز الأسرة داخل المجتمعات النامية عن أن تشمل إطاراً يستطيع احتواء ابنائها لعجزها عن إشباع الحاجات الأساسية للأفراد. فلم تعد الأسرة الآن فى معظم عالمنا العربى هى القادرة على إشباع حاجة الأبناء إلى المسكن، والزواج والمستوى المعيشى الملائم. ومن ثم فإذا كان الشباب فى معظم المجتمعات النامية يعانى من إحساس عدم الانتماء، فإن المرجع الرئيسى هذا الإحساس يتمثل فى عدم إشباع حاجاته الأساسية، وكلما كان السياق المباشر أكثر إقتراباً بالشباب، وكلما كان أكثر عجزاً عن إشباع حاجاتهم الأساسية، كلما كان إحساس عدم الانتماء إليه أكثر عمقاً، وهى قضايا تستحق كل تأمل وتفكير.

رابعاً : النظام التعليمي كإطار لبعث الحركة الشبابية :

لا شك أن النظام التعليمى قد لعب دوراً محورياً فى بناء الحركة الشبابية المعاصرة التى هزت استقرار عالمنا المعاصر، وترجع أهمية النظام التعليمى بالنظر إلى كونه النظام الذى أصبح يترك طابعه على الشباب – خاصة فى المجتمعات المتقدمة – لأنه هو الذى يتولى تأهيلها للحياة العامة مهنياً واجتماعياً وثقافياً. ومن ثم فمن المنطقى حتى تنجح عملية التأهيل هذه أن تسود هذا النظام درجة عالية من الحرية، وهى الحرية التى تتيح إمكانية التفاعل والتعبير الحر خاصة فيما يتعلق بنظام التعليم لجامعى. بالإضافة إلى ذلك فإن هذا النظام هو الذى يتولى تأسيس الوعى الشبابى فى مختلف جوانبه، كالوعى بوجود الشريحة الشبابية فى حد ذاتها كشريحة تختلف عن الشرائح الأخرى فى المجتمع. ومن الطبيعى أن تكون لهذه الشريحة سلبياتها كما أن لها إيجابياتها أيضاً. ويعنى امتلاك الوعى إدراك طبيعة الواقع المحيط، ومن ثم التدخل أحياناً لإعادة توجيه مساره فى اتجاهات محددة. وقد يقال أن النظام التعليمى تقتصر فاعليته على قلة هى التى اتيح لها حظ الحصول على فرصته، بيد أن الرد على ذلك يؤكد أنه إذا كان النظام التعليمى لا يتولى مباشرة صياغة الشريحة الشبابية، فإنه على الأقل يكون

قادراً على توفير القيادات الشبابية الواعية القادرة على قيادة شريحة الشباب. هذا إلى جانب أننا نجد أن النظام التعليمي يعتبر في المجتمعات الحديثة المدخل الرئيسي للتدريب على المشاركة الاجتماعية والسياسية والثقافية. وأيضاً للتأهيل من أجل الحصول على فرص العمل المشاركة الاقتصادية في بناء النظام القائم، وبالتالي المشاركة الاجتماعية المترتبة على ذلك وهو الأمر الذي يؤكد على المكانة المحورية لهذا النظام داخل بناء المجتمع.

ويكشف البحث في تاريخ النظام التعليمي وعلاقته بالبناء الاجتماعي أن عملية التعليم في المجتمعات القديمة كانت تنقسم عادة إلى مجموعة من العمليات الفرعية المنفصلة وهو الأمر الذي يستحق أن نشير إليه في هذا الإطار، فقد كانت هناك النظم التعليمية المركزية والأساسية التي اتجهت فاعليتها بالأساس نحو تدريب أو تعليم الصفوة وأبناء الطبقة العليا، وأيضاً في المساعدة على تطوير التراث الثقافي لمجتمع بتجلياته المتنوعة. وقد اتجهت النظم التعليمية المحلية التي كانت واهية الارتباط بالنظم المركزية أساساً نحو الحفاظ على استيعاب مختلف الشرائح الاجتماعية للرموز الأساسية للمجتمع وتأكيد تمسكهم بها، وبرغم ذلك فإن هذا التماثل لا يسمح للنظم التعليمية المحلية بالمشاركة بدرجة أكبر في المناشط الثقافية والسياسية الخاصة بالمجتمع ككل. وبين النمطين التعليمين توجد عديد من النظم التعليمية التي تساعد، إما باعتبارها قنوات للحراك في المجالات السياسية للمجتمع أو لكونها تقوم بنوع من التأهل المهني المحدود(٣٤).

وعلى أي حال فقد عملت النظم التعليمية في هذه المجتمعات على الحفاظ على استمرار ما هو قائم بدون أي تغيير، وفي هذا الاطار لا يلعب النظام التعليمي دوره هنا باعتباره قناة للحراك الاجتماعي والمهني الشامل، أو باعتباره وسيلة لتزويد الشرائح المختلفة بالقدرة على المشاركة الفعالة والشاملة في النظام السياسي والثقافي. ويتحدد نمط التعليم الذي يمكن توفيره بالنسبة للطبقات المختلفة إلى حد كبير – وإن لم يكن بصورة نهائية –

بواسطة مكانتها الاجتماعية الاقتصادية. ومع ذلك فقد بدأ هذا الموقف يتغير بوقوع التحديث، وبخاصة فى أعقاب الثورة الفرنسية من ناحية والثورة الصناعية من ناحية أخرى، حيث بدأ التعليم يتناول المشكلات المتعلقة بالمجتمعات القومية الجديدة، ورموزها المشتركة. هذا إلى جانب أن التعليم قد أصبح أكثر انتشاراً بالنسبة لمختلف الشرائح. وفى نفس الوقت، فقد بدأ التعليم يؤدى دوره بصورة متزايدة كقناة للانتقاء المهنى. وفضلاً عن ذلك يميل نسق التعليم إلى أن يصبح أكثر مركزية وتكاملاً من الناحية البنائية، ومن ثم يؤكد على تغلغله فى مختلف شرائح المجتمع(٣٥).

ذلك يعنى أن النظام التعليمى فى المجتمع الحديث أصبح يتميز بعدة خصائص أساسية أولها انتشاره، حتى أنه يشمل كل أفراد المجتمع ممن هم فى سن التعليم، بحيث اقترب من المستوى الذى أصبح فيه حقاً من حقوق المواطنة. وثانياً أنه بدأ يلعب دوراً عملياً على مستوى الحياة الفردية منذ اعتباره وسيلة للحراك الاجتماعى من ناحية، وأساساً للتأهيل المهنى لتوفير احتياجات المجتمع من ناحية أخرى. ذلك يدفع إلى القول بأن النظام التعليمى أصبح يمثل مكانة محورية فى بناء المجتمعات المعاصرة لطبيعة الدور الذى بدأ يؤديه. فإذا حاولنا تحديد الوظائف التى يؤديها النظام التعليمى بالنسبة للحراكات الشبابية والطلابية، فإننا سوف نجد أنه يقوم بالوظائف الأساسية التالية:

(أ) فمن ناحية نجد أن النظام التعليمى قد ساعد على خلق المجتمع الشبابى من خلال تركيزهم وعزلهم عن الفئات الاجتماعية الأخرى، وفى هذا الصدد نستطيع القول بأن التوسع السريع فى التسهيلات التعليمية تشكل المحدد الأساسى الذى ساعد على تركيز الشباب وعزلها فى ظل نظام محدد عن بقية أعضاء المجتمع. إذ يعتبر وجود النظم التعليمية المتقدم هو السبب الرئيسى لوجود الشباب كمرحلة من مراحل الحياة، وأيضاً كشريحة عمرية لها ملامح اجتماعية محددة. وإذا كان التاريخ قد شهد - حسبما أشرنا - أن

النظام التعليمى كان وقفاً على عدد محدود من شباب الصفوة، فإنه خلال العقود القليلة السابقة أصبحت المدرسة متاحة لجماهير واسعة من الشباب، بل أننا نجد أن عملية إدخال الشباب فيما بعد مرحلة المراهقة داخل النظام التعليمى قد تزايدت فى الحقبة الأخيرة، إذ تزايدت المدارس والكليات الجامعية حتى أصبحت تؤدى خدماتها فى كل نطاق(*)(٣٦).

ذلك يعنى أن ظهور التعليم العالى وتوفره بشكل جماهيرى يعتبر من أهم التغيرات داخل نظامنا العالمى المعاصر. وبغض النظر عن أى شئ آخر، فقد ساعد هذا المستوى التعليمى على خلق الشبابى عن طريق تجميع واسع المدى لكل من هم بين سنى ١٧-٢١ سنة، وعزلهم عن الجامعات الأخرى، بل والإبقاء عليهم بعيداً عن المشاركة فى سوق العمل. بالإضافة إلى ذلك فقد أدى النظام التعليمى إلى تخليق مجموعة من الآثار الأساسية التى يمكن حصرها، وذلك بالنظر إلى مجوعة الوظائف الاجتماعية التى يؤديها فى بناء المجتمعات المعاصرة، وهى الوظائف التى نتعرض فيما يلى لبعض جوانبها.

- فقد تطلب البيروقراطية العامة والمؤسسية توفر أعداد متزايدة من موظفى الإدارة من المستوى العالى والمتوسط، بالإضافة إلى عدد هائل من الأشخاص ذوى المهارات الفنية والمهنية المتقدمة، لأغراض البحث والتطوير والتخطيط والتآزر بين مختلف القطاعات والخدمات الاجتماعية وما إلى ذلك.

- أدى الالتزام بالتنمية التكنولوجية المستمرة إلى الحاجة إلى أعداد هائلة من المهندسين والعلماء والفنيين الآخرين لكى ينجزوا عمليات البحث

(*) مما يذكر أنه قد حدثت تطورات هامة فى التعليم الجامعى فى مصر والعالم العربى وهى التطورات التى كان من نتيجتها إنشاء عدد كبير من الكليات والجامعات حتى أصبح لكل محافظة - كما فى مصر مثلاً - جامعتها تقريباً. غير أن مما يعيب هذا الانتشار إن هذه الجامعات لم تختلف حسب اختلاف بيئاتها الأيكولوجية والاجتماعية، وإنما بقيت عند كونها نسخاً مشوهة من النموذج الأم. هذا إلى جانب النقص الفادح فى هيئات تدريسها، مما يجعلها كيانات هزيلة تضر بالتعليم الجامعى أكثر ما تساعد على نشره وتطويره.

والتطوير الضرورى لدفع التغير التكنولوجى ودعمه. وفى الفترة التالية للحرب، تركز هذا التغير بصورة متزايدة فى القطاع العسكرى، غير أنه امتد بالطبع إلى مجالات أخرى بنفس القدر. وعلى سبيل المثال نجد أنه قد لوحظ فى السنوات الأخيرة نمو سريع فى كل الخدمات المرتبطة بالرعاية الطبية والصحية، وارتفاعاً ملازماً له فى الطلب على الأشخاص الفنيين المهنيين والمتخصصين فى أداء الخدمات، وهو الجهد الذى ينبغى على النظام التعليمى أداؤه لتوفير هؤلاء المتخصصين بأعدادهم المطلوبة.

أدى نمو المؤسسة التعليمية ذاتها إلى الحاجة إلى أشخاص جدد على كل المستويات. وفى الحقيقة أصبحت صناعة التعليم واحدة بين أكبر القطاعات الاقتصادية اتساعاً، وبذلك بسبب التغير التكنولوجى - وأيضاً لاعتبار المستوى التعليمى الذى يستطيع الفرد تحصيله هو المعيار الوحيد للتقدم على المستوى الشخصى. ومن ثم أصبحت الحاجة الأساسية إلى الأفراد المؤهلين أحد الدوافع الرئيسية للتوسع فى هذه الصناعة. وعلى هذا النحو تطورت المدارس من حيث الحجم والكيف، لكى تدرى بشراً أكثر قدرة على شغل الوظائف التى خلقها النظام التعليمى المتنامى.

- بالإضافة إلى ذلك فقد أدى تزايد مساحة وقت الفراغ ؛ وتزايد مستويات الدخول غير المرتبطة به إلى خلق أنواع جديدة من الترفيه فى مجال الخدمات والتسلية، ومن ثم فإن العمال الذين ينجزون هذه الخدمات يحتاجون إلى مستوى عال من التعليم والتأهيل لأدائها.
- انتقلت مهمة التدريب لأداء الأعمال والوظائف بصورة ملحوظة من الصناعة ذاتها إلى النظام التعليمى. حيث نجد أن كافة أشكال التدريب المهنى التى كانت من مهام المؤسسات المختلفة، قد أصبحت تؤديها المدارس العليا والكليات التى لها ميزانيات مرصودة لهذا الغرض.

(ب) أنه إلى جانب الأداء الوظيفى الذى يؤديه النظام التعليمى على

مستوى بناء المجتمع ككل، فإن له أداؤه الوظيفى بالنسبة للنظام الاقتصادى فى المجتمع. إذ يتمثل القصد من التوسع فى الاستثمار فى التعليم العالى ونشره ليحتوى بداخله على معظم البشر من الشباب فى توفير الاحتياجات الأساسية للنظام الاقتصادى الذى تنامى كثيراً خلال العقود الخمسة الأخيرة. حيث أصبحت الحاجة ماسة إلى تأهيل وتدريب قوة العمل بالمستوى الذى يؤهلها للاستجابة لاحتياجات التكنولوجيا المتقدمة والتنظيمات البيروقراطية المتوسعة. ولم تعد مهمة النظام التعليمى تأهيل الطبقة الحاكمة فى المستقبل لكنه أصبح الآن يركز على توفير جماهير البشر القادرين على أداء العمل المتطور الخاص بالتطور التكنولوجى والإدارة الاجتماعية.

ومن وجهة نظر صانعى السياسية الاجتماعية الذين يتولون تخطيط نظام التعليم العالى ودعمه، فإن الهدف ليس ببساطة تدريب مجموعة من المتعلمين تعليماً عالياً، ولكن تأسيس ميكانيزم للانتقاء الفعال بالنسبة للمستويات المهنية العليا. وعلى هذا النحو، فإنه كان على النظام التعليمى أن يصبح هو السبيل الأساسى من أجل الحراك إلى أعلى، وهو الطريق الذى ييسر لملايين البشر الحصول على دخول مريحة ومكانة عالية نسبياً حتى ولو كانت عائلاتهم لا تمتلك ثروات حقيقية.

ومن الواضح أن التعليم أصبح هو الطريق المتاح بالنسبة لمعظم الشباب الذين ترجع أصولهم للطبقة العاملة، والذين يعيشون فى مستوى منخفض من الدخل، وقد كان من الممكن أن يصبحوا خارج نظام التعليم الجامعى الحديث. ومما لا شك فى أنه يمكن القضاء على التفاوتات الاجتماعية من خلال النظام الدقيق للانتقاء والاختيار، وهو النظام الذى يستند إلى أساس مكافأة الفرد على أساس من مؤهلاته الشخصية. وعلى هذا النحو فإننا نجد أن من الوظائف الرئيسية للنظام التعليمى – خاصة فى المجتمعات الرأسمالية – أنه يعمل على خلق وهم أن المجتمع يعمل على زيادة المساواة فى الفرص بالنسبة للشباب بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية(٣٧).

(جـ) أنه بغض النظر عن الوظائف الظاهرة التى يؤديهـا النظام التعليمى، فإن هناك بعض الوظائف الكامنة غير المقصودة، وهى التى تتمثل تطوير الوعى النقدى لدى أعضاء المجتمع الشبابى. وهى الوظيفة التى ساعدت على خلق حالة من عدم الاستقرار الاجتماعى ويتضح ذلك من أنه برغم ادعاء أصحاب النزعة الإنسانية أن التعليم الليبرالى يتجه نحو الإنهيار، فإننا نجد أن نسبة كبيرة من الطلبة الشباب لا يمكن تنشئتهم بدون التعرض لقدر كاف من التراث الثقافى – وبخاصة للأفكار والعواطف التى تحتل مكانة محورية بالنسبة للحضارة المعاصرة – وأيضاً لمجموعة الأفكار والوظائف التى تطرح البدائل الاجتماعية والثقافية لما هو قائم، أو أنها تعمل على تزويدهم بالأدوات اللازمة لإنجاز التحليل النقدى للنظام الاجتماعى. وفى الحقيقة فإنه من الصعب أن تؤدى الجامعات وظائفها الظاهرة المتعلقة بتدريب المديرين والعلماء والمثقفين بدون تدريبهم على النقد العقلانى للأوضاع الراهنة. وليس من المدهش أن بعض الشباب يعتقدون بجدية فى هذه الأفكار، ويستخدمونها فى فهم وتفسير تفاعلات العالم المحيط بهم. وعلى سبيل المثال نجد الشباب يتساءل بشأن عدم المساواة العنصرية، النزعة المادية، الوسائل السلطوية للضبط الاجتماعى، استخدام العلم لأهداف التدمير، اللغو السياسى، الدعاية المتحيزة، والدين الذى يستخدمه النظام الاجتماعى، وعديد من الخصائص الأخرى للحياة المعاصرة. بحيث تشكل هذه القضايا دافعاً يقود إلى التمحيص والنقد مزودين بالكتب التى يقرأونها، والدروس والمحاضرات التى تلقى عليهم. ذلك يعنى أن التعليم والجامعة يؤهلان الفرد عادة بالقدرة على نقد النظام الاجتماعى المحيط. وفضلاً عن ذلك، فإننا نجد أن هناك شريحة لها وزنها من شباب الطلبة أصبحت تشكل جماعات من المثقفين ذوى الفعالية، وهى الجماعات التى اختارات أن تبذل حياتها فى نقد وتفسير الثقافة وتجديدها(٣٨).

ومن النتائج الهامة لتعليم الشباب تزويدهم بالقدرة على التحليل النقدى،

حيث يتجه الطلبة إلى نقد تجربة الجامعة، وليس نقد النظام السياسى فقط باعتبار طبيعتها الأساسية هذه. فطالما أن سلطات الجامعة تؤدى دورها استناداً إلى افتراض أن الطلبة ليسوا كباراً بالغين، ومن ثم ليست لهم حقوق البالغين فيما يتعلق بحق التعبير السياسى أو التصرف فى الشئون الخاصة، بإعتبار أن ذلك يشكل جانباً هاماً فى التنظيم الجامعى، فليس من المدهش إذا فى ظل هذه الظروف أن تصبح القيود التقليدية التى تفرضها الجامعة على الحياة الاجتماعية للشباب وإشرافها الدقيق على سكناهم، وميلها لمراقبة صحائف الحائط الجامعية وكذلك اجتماعاتهم وخطبهم وتنظيماتهم غير القانونية، موضع اهتمام جماعى من قبل الطلبة.

وفى هذا الإطار فإن ممارسة الجامعة لهذا النمط من الرقابة الأبوية يعتبر رمزاً ساذجاً نسبياً لتناقض أكثر خطورة فى خبرة الجامعة ذاتها. حيث يعيش الشباب موقفاً محيراً فهم يدركون كونهم بالغين وأطفالاً فى ذات الوقت. ومطلوب منهم أن يكونوا مستقلين وتابعين فى ذات الوقت أيضاً، متحررين من الرعاية الأبوية، ومستقلين ومتكيفين كذلك. بحيث ينعكس ذلك فى مجموعة المعايير، الممارسات المستقرة والمسلم بها من قبل الجامعة والتعليم العالى(٣٩).

(د) بالإضافة إلى ذلك نستطيع القول بأن الجامعة كنظام فرعى من النظام العام هى التى خلقت المجتمع الشبابى ذاته. فإلى جانب أنها جمعت هذا العدد الهائل من البشر فى مكان واحد نجد أنها من ناحية أخرى قد وفرت قدراً من الحرية غير المتيسرة فى أى مكان آخر بالمجتمع، فالوقت حر ولا رقابة عليه. وفى هذا الاطار نجد أن شباب الجامعة يكونوا عادة أحراراً من رقابة وإشراف الآباء ومحررين فى ذات الوقت من وقت العمل فالشباب يمتلك وقته وهو لا يحتاج إلى أن يعطى تقريراً عنه لأبويه أو لصاحب العمل.

إلى جانب ذلك فإنه من المتوقع أن يستخدم شباب الجامعة بعض وقته لتجريب أفكاره وأسلوب حياته والتعبير عن ذاته. إذ ينظر الشباب إلى سنوات

الجامعة باعتبارها فرصة مشروعة لتطوير إبداعيته وفرديته. فمن المشروع له أن يسهر الليل بكامله فى مناقشات فلسفية مع زملائه. بإمكانه أن يجرب الجنس ويؤسس علاقات صحيحة مع أعضاء من الجنس الآخر. أن يكون منفتحاً فى مواجهة الأفكار والممارسات غير التقليدية، وذلك بدلاً من تنظيم الوقت حسب وقت محدد بهدف الإنتاج. وعلى هذا النحو، أصبح من الواضح أن أحد الأسباب الرئيسية لإمكانية تعبئة الشباب الجامعى فى كل أنحاء العالم من أجل الفعل السياسى يتمثل فى أن لديهم الوقت الكافى والطاقة الفائضة أكثر من أعضاء المجتمع الاخرين. وفضلاً عن ذلك، فإنه مسموح للشباب ومتوقع منهم أن يتفاعلوا مع العناصر الجديدة فى بناء الثقافة.

إلى جانب ذلك نجد أن مكانة الطالب ودوره من العناصر التى يسودها التناقض داخل مجتمع الجامعة، فمن ناحية نجد أن الطالب يتمتع بقدر من الحرية الناتجة عن تحرره من الرقابة الأبوية ومن رقابة العمل، غير أنه فى ذات الوقت عليه أن يكون منضبطاً فى حضور المحاضرات التى تتولى توسيع نظرته ومداركه للحياة. بحيث نجد أن الشباب متكيف فى جانب ورافض فى جانب آخر، غير أن هذا التوازن بين التكيف والتمرد داخل الجامعة قد ينهار إذا واجه المجتمع أو على الأقل مجتمع الجامعة حالة من الإنهيار الثقافى أو المعاناة الناتجة عن أزمة الهوية. وحينئذ قد يبدأ الطلبة فى مناقشة المناهج طالما أنهم مطالبون بالتنظيم الذاتى، وذلك لأن هذه المناهج تفترض حيوية الثقافة التى أصبحت مهجورة من وجهة نظرهم، ويبدأ الشباب فى الشعور بأنهم يدربون من أجل مهن لا وجود لها، وإن وجدت فهى غير ملائمة لطموحاتهم. ونتيجة لذلك فهم يرغبوا فى استمرار حياة التلمذة بلا نهاية، ويتساءلون لماذا لا تمارس الحياة من أجل تطوير الذات وتنميتها؟ لماذا نقصر تنمية خيال الشباب وإبداعه، وقيمه وأساليب حياته فى اطار عدد محدود من سنوات حياته بواسطة سلطة خارجية مرفوضة؟. وفضلاً عن ذلك، أليس من المرفوض أخلاقياً أن تكون هذه الحرية متيسرة

فقط لعدد محدود من الشباب، وهو الشباب الذى تيسر له حظاً من التعليم الجامعى، من الذى أعطانا الحق فى هذه الحرية المترفه، بينما بقية العالم مشدود بسبب الحاجة الاقتصادية الطاحنة إلى العمل الشاق، أو المنظم والمسئولية الثقيلة؟

وعلى أى حال فإن ما أريد أن أوضحه هو أن الجامعة قد قدمت أنواعاً محدودة من الحرية لشبابها – حرية كافية حتى أن بعضهم أصبح قادراً على التعبير السهل عن سخطه وشعوره بعدم الرضاء، وقد أدى تذوق الحرية على هذا النحو إلى الشوق إلى توسيع نطاقها واستمرارها. وفى هذا الاطار تخيل كثير من الشباب الطلبة أن الحياة لابد وأن تكون مستندة إلى الحرية، بينما ناقش آخرون مشروعية تمتعهم هذه الامتيازات. فى هذا الاطار مارس كثير من الشباب الجامعى الحياة الجامعية بجدية كاملة، حيث افترضوا أن عليهم أن يدركوا أسلوبهم الحر فى التفكير، وعشوائية التعبير فى اطارها، وأيضاً بعض خصائص المشاعية التى تسودها كتجربة لابد من تذوقها ثم نهملها بعد ذلك. هذا إلى جانب ادراكهم أن حق المشاركة فى هذه الحياة كبالغين هو حق مقصور على عدد محدود من الشباب الذين وافقوا على الزام أنفسهم بتحمل أعباء التلمذة وقيودها المفروضة على الذات(٤٠).

وإذا كانت الحياة الجامعية قد أثارت فى الشباب الجامعى الأسس العاطفية والعقلية للنقد الاجتماعى والمعارضة الثقافية كما أشرنا، فإنها إلى جانب ذلك هى التى تتولى توحيد جماهير الطلاب من الشباب الذين لديهم نفس العواطف المشتركة، بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ البشرى. حيث يتجمع هذا العدد الهائل من المنشقين أو الذين لديهم إمكانية التمرد فى تجمعات كبيرة، وتحت ظروف تيسر تبادل التأثير.

فى هذا الإطار نجد أن ماركس قد أشار إلى أن تجميع البروليتاريا الصناعية فى المصنع يعتبر أحد العناصر الأساسية التى تمكن الطبقة العاملة من تطوير الوعى الطبقى، وذلك لاتحادهم فى موقف العمل الواحد، هذا إلى

جانب أنهم يكونوا قادرين على توصيل سخطهم لبعضهم البعض، ومن ثم تطوير رؤية مشتركة. فإنه إستناداً إلى ذلك نستطيع القول بأن ماركس نفسه لم يكن يستطيع تصور إمكانية تخلق نظم، تستطيع تجميع عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو أربعين ألفاً يعملون إلى جانب بعضهم البعض، ويعيشون مع بعضهم فى مجتمعات محلية مشتركة خاضعين لظروف تهيئ لهم الوقت الكافى من أجل التواصل العميق.

وفى هذا الصدد فإنه من السهل علينا أن نتصور إمكانية ظهور الوعى الجماعى بين شباب الطلبة، أو ما يمكن أن نسميه بثقافة الشباب، وفضلاً عن ذلك فهناك القول الذى يذهب إلى التأكيد بأن عدداً كبيراً من الطلبة قد دخلوا بيئة الجامعة ولديهم استعداداً محدداً للاغتراب. ومن ثم فقد وجدوا أن هذا الاغتراب يتنامى بواسطة المناهج المقررة أو المناهج الإضافية وهو الأمر الذى من شأنه أن يساعد على احتمالية تبلور الوعى الشبابى. وأن هذا الوعى لا يتميز فقط عن الثقافة العامة، ولكنه قد يتناقض أو يتخاصم معها أيضاً(٤١).

(هـ) ونظراً للأهمية المتزايدة لفاعلية النظام التعليمى فى المجتمعات النامية، وللمكانة المحورية التى بدأ فى بناء هذه المجتمعات. وأيضاً بالنظر إلى الأعداد الهائلة من الشباب الذين بدأوا يتعرضون لتأثيره فإننا نرى من الضرورى مراعاة مجموعة من الإعتبارات حتى يخرج النتاج الشبابى المرجو، ونذكر فيما يلى بعضاً من هذه الاعتبارات.

ويتحدد الاعتبار الأول فى ضرورة أن تسير العملية التعليمية مستندة إلى منطقة أيديولوجى واضح، تستلهم مثله، وتحيلها إلى برامج تساعد على تشكيل الشباب وفقاً لهذه المثل، بحيث يصبح المنطق الأيديولوجى متغلغلاً فى جزئيات العملية التعليمية بناء وديناميةً. وذلك يتطلب أن يعمل النظام التعليمى على غرس النموذج الواجب احتذاؤه. فإذا كانت الايديولوجيا اشتراكية فإنه من الضرورى أن تكون النماذج اشتراكية، وكذا وسائل تحقيق النماذج وأهدافها. والعكس صحيح إذا كانت الليبرالية هى الأيديولوجيا

المتبعة. وذلك حتى لا يزدحم الواقع – فى حالة الاستناد إلى أيديولوجيا محددة – بعديد من النماذج التى تفرض الحيرة والتوتر والقلق على الشباب، الذى يتحمل عبء التفاعل الواقعى. ويجب أن يستوعب الشباب هذا المنطلق الأيديولوجى بحيث يفرض عليه ذلك أن يسلك منطقاً سوياً فى أدائه للعملية التعليمية، الأمر الذى يبعده عن أية إنحرافات قد تفرض عليه كالدروس الخصوصية والمساعدة على تصعيد روادها بلا استحقاق. ويجب أن ينعكس التوجب الأيديولوجى أيضاً على علاقة المؤسسة التعليمية بالبيئة المحيطة. إذا توفر هذا الاستناد الأيديولوجى، فسوف يتمكن النظام التعليمى من صياغة الشباب وفقاً للمثل المبتغاه(٤٢).

ويتمثل الاعتبار الثانى فى أنه على النظام التعليمى أن يعمل على غرس وتعليم مشاركة الشباب فى عملية صياغة القرار وإصداره، وبذلك يؤهلهم بالقدرة على التعبير الحر الصريح الذى يساعدهم على الحوار الديموقراطى السليم. ومن ثم يدرك الشباب أن العملية التعليمية هى خلق اجتماعى، لأنهم قد شاركوا فى صياغتها منذ البداية، ومن ثم فإن ذلك من شأنه يبعدهم عن أية مشاعر أنانية قد تنتابهم وتدفعهم إلى الإنحراف.

وعلى النظام التعليمى كذلك أن يعمل على مراجعة أساسية لأسلوب التعليم الدينى فى الحياة المدرسية، فالدين ليس دروساً يتعلمها الطالب وإنما هو جهاز قيمى وأخلاقى على الطالب أن يستوعبه، كى يستند إليه فى تقويم وممارسة بعض المسائل الاجتماعية والموازنة بينها. ذلك يتحقق إذا تخلق المدرس المتفتح والقادر على إعطاء التلاميذ النموذج الواجب اتباعه عن طريق المنطق والإقناع. وذلك يتحقق أيضاً إذا حدث تطوير للتربية الدينية، بحيث يتعلم الأفراد ما يساعدهم على مواجهةمشاكل وقضايا واقعهم المعاصر حتى لا تصبح التربية الدينية متعلقة بالمسائل الفردية فقط، وإنما هى ذات ارتباط واضح بالبعد الاجتماعى والمسائل أو القضايا التى قد تبرز فى اطاره(٤٣). بغير ذلك سوف نواجه بنظام تعليمى فاقد لالتزامه الأيديولوجى يودى إلى وظيفته بصورة عشوائية قد تسلم شبابه إلى الفساد والإنحراف أو معاناة أزمة الهوية.

خامساً : الشباب والنظام السياسي: أبعاد التمرد والمعارضة :

يكتشف البحث الدقيق فى الحركة الشبابية المعاصرة، أنها حركة سياسية بالأساس فهى وإن قامت بها فئة ذات ملامح محددة، إلا أنها تتخذ عادة شكل مواجهة النظام السياسى بحثاً عن تحقيق مطالب محددة، قد تكون متصلة باحتياجات الفئة الشبابية أساساً، إلا أنها قد تتصاعد لتتناول قضايا تتصل بالبناء السياسى ذاته. ومن ثم فعادة ما يتجه التفاعل الساخن – أحياناً – بين النظام السياسى والشباب إلى الحركة من القضايا المتصلة عضوياً ببنائهم، إلى قضايا تتصل بالنظام السياسى والاجتماعى القائم، أو باحتياجات الجماهير الخاضعة لهذا النظام، ونستطيع القول بأن هناك مجموعة من الشروط التى ترى ضرورة توفرها لكى تتحول المطالب الشبابية من مطالب مقصورة على الفئة الشبابية، ومرتبطة بها، إلى مطالب ذات طبيعة سياسية وإجتماعية عامة. ونذكر فيما يلى بعضاً من هذه الشروط.

(أ) محورية المطالب الشبابية، ومعقوليتها بالنظر إلى الشباب أنفسهم وأيضاً بالنظر إلى الجماهير الخاضعة لهذا النظام السياسى. وقد يحدث فى إطار تحرك الشباب لاقناع الجماهير بهذه المطالب استهدافاً لضمها إليهم.

(ب) استخدام النظام السياسى لأساليب القهر الفيزيقى والمعنوى، وما يمكن أن يسمى فى الأدب السياسى بالقمع الحضرى، وذلك لفرض استمرار عدم الاستجابة للمطالب الشبابية هذا إلى جنب استمرار عجز النظام عن إشباع الحاجات التى تدور حولها المطالب، بالإضافة إلى عجزه عن استيعاب الحركة الشبابية ذاتها.

(جـ) اتساع رقعة المؤيدين لهذه المطالب، ومن ثم تحولها من كونها مطالب شبابية فى البداية، إلى كونها مطالب اجتماعية لها مؤيدوها الآخرون من غير الشباب، وذلك توسيعاً لرقعة الخلاف من النظام السياسى. وفى إطار هذا التحول تنضم الجماهير – التى تلمس مصالحها هذه المطالب – إلى الحركة الشبابية، واعتبار أن الشباب هم القوى القادرة التى ينبغى دعمها

بحثاً عن تحقيق هذه المطالب الاجتماعية. وهنا يكون الشباب قد نجحوا في إخراج الجماهير بعيداً عن إنسحابها وعزلتها، ودفعها داخل التيار الرئيسى للتمرد أو الثورة. وتعرض تفصيلاً فيما يلى مجموعة من المتغيرات التى تتحدد ديناميات التفاعل بين الشباب من ناحية والنظام السياسى من ناحية أخرى.

- ويتعلق الظرف الأول بطبيعة الحالة الإنتقالية التى تمر بها مجتمعات النظام العالمى سواء كان هذا الانتقال من المجتمع القبلى إلى المجتمع غير القبلى أو إلى الأمة الحديثة، أو من سياق اقتصادى أو سياسى وتكنولوجى حديث إلى آخر. وفى إطار مواقف الانتقال هذه تظهر أهمية بعض العناصر الأساسية فمثلاً بسبب هذا الإنتقال وإرتباطاً به إتسع نطاق التعليم خاصة فى كثير من المجتمعات الأوروبية، وذلك من خلال تأسيس التعليم العام ونشره والإلزام به. بينما يتعلق العنصر الآخر بطبيعة العمالة التى نتجت عن هذه التغيرات، حيث نجد تأسيس سياسيات التشغيل العام التى تأثرت فيما بعد ببداية ظهور الأوتومية. ويتعلق العنصر الثالث المواقف التالية للثورات التى حدثت فى مجتمعات العالم فمع استقرار الثورات فى روسيا أولاً، وأخيراً فى كثير من الدول الحديثة التى ظهرت فى آسيا وإفريقيا، نشأت فى هذه الأمم أجيالاً سياسياة جديدة، تطور وعيها بالحياة السياسية نتيجة لهذه التغيرات المتتابعة والتفاعلات التى وقعت فى إطارها، وهى الظاهرة التى جذبت انتباه كثير من الدراسين(٤٤).

- أما الظرف الثانى فيتعلق التناقض الذى يحكم علاقة الشباب بأجيال الشيوخ. فمن الواضح أن المجتمعات المتقدمة قد تمكنت من تأسيس أبنية ونظم اجتماعية وسياسية مستقرة. هو الأمر الذى يشهد بأن القائمين على المجتمع قد أنجزوا أدوارهم فيما هو متجسد الآن غير أن عملية البناء هذه تكون محكومة عادة برؤية الشيوخ. ورؤية الشيوخ قد لا تتوافق مع رؤية

الشباب، وهو الأمر الذى يدفع إلى ظهور التناقض الجيلى، أو على الأقل وقوف الشباب موقفاً رافضاً لما هو قائم. ولعل هذا التناقض أو الرفض ينبثق أساساً من بناء النظام القائم، فقد أدى التوسع فى التعليم، وتأسيس النظم التعليمية المستقلة التى أصبحت منتشرة فى مختلف أرجاء المجتمع إلى التأكيد على المشكلات أو القضايا الاجتماعية الخاصة بالشباب ومن ثم دعمت الحيرة التى تحكم علاقة الشباب بعالم البالغين والكبار. هذه الحيرة التى تتضح من ناحية فى نضال الشباب وسعيهم من أجل الاتصال بعالم البالغين وذلك بهدف الحصول على اعترافهم بهم، بينما هم من ناحية أخرى لديهم الاستعدادات التأكيد على الاختلافات التى بينهم وبين الكبار، بل أنهم يعملون عادة على إبراز هذه الاختلافات. وقد يتطرف الأمر حتى يتخذ شكل معارضة الأدوار العديدة التى تنتظرهم فى المجتمع، وبالتالى رفض النماذج العديدة التى يقدمها عالم الكبار. وبرغم أن الهدف الأصيل للشباب يتمثل فى المشاركة فى عالم الكبار، أو على الأقل ببعض أدواره، ونماذجه وافتراضاته المحددة، فإنهم يرفضون المشاركة من منطق الكبار أو وفقاً لمعاييرهم. بل أننا نستطيع أن نرى الحيرة بصورة أكثر وضوحاً فى الأيديولوجيات الحديثة لجماعات انشباب، وهى الجماعات التى يميل عظمها إلى تأسيس أيديولوجياً تؤكد على وجود إنفصال بين الشباب والبالغين، وأيضاً على تفرد الشباب، وإن كانت تشير فى نفس الوقت إلى فترة الشباب باعتبارها الفترة التى تشكل أنقى تجسيد للقيم الاجتماعية والثقافية التى يسلم بها الكبار ويتمسكون بها.

بل إننا نجد أن الشباب يقدم عادة نفسه بأساليب عديدة. الأمر الذى يؤدى إلى قبوله فى عالم الكبار باعتباره يمثل التجسيد النقى للرموز والتوجهات الكارزمية الأساسية التى تشير إلى إنبثاق نظام اجتماعى وثقافى جديد، غير أن هذا الموقف – برغم الاتساق الذى يسوده – نجده يتضمن

حيرة الشباب كما ذكرنا تجاه النماذج التى يقدمها البالغون لهم إذ لا يرفض الشباب نمط النظام الاجتماعى الذى يقدمه البالغين كلية، وإنما هم أحياناً يقبلوا المشاركة فيه فى محاولة للاستفادة من الفرص التى يتيحها (وبخاصة الفرص المهنية والاقتصادية)، أو لمحاولة إعادة تشكيل كثير من أبعاده وتفاصيله الواقعية حتى تصبح المشاركة الواسعة فيه مفتوحة ومتاحة لهم. ذلك يعنى أنهم لا يرفضون نمط النظام الذى يقدمه البالغون وكذلك لا يرفضون التوجهات الكارزمية لهذا المجتمع وطموحاته.

ومن هذه الحقيقة الهامة يمكن أن نصل إلى استنتاج أن معظم أنماط ثقافات الشباب واحتياجاتهم – تلك التى تميز المراحل الأولى لظهور المجتمعات الحديثة – تميل إلى تطوير كثير من الافتراضات الهامة والتى يمكن بلورتها فى إطار افتراضين أساسين. الأول أن هناك ارتباطاً أو التقاءاً قوياً بين الحلول التى تطرح لحل المشكلات التى قد تظهر فى مواضع التوتر التى أشرنا إليها. أما الثانى فيذهب إلى أن التقاء هذه الحلول يؤدى إلى إمكانية حل مشكلات الهوية الثقافية والاجتماعية من خلال مشاركة مختلف جماعات الشباب هذه باتجاهاتها المتباينة فى النظام الاجتماعى والثقافى القائم(٤٥).

- بالإضافة إلى ذلك شهدت فترة الستينات مجموعة من التفاعلات داخل النظام العالمى أسهمت بدورها فى بروز الشباب كقوة على المسرح السياسى، بحيث تغيرت العلاقة بين الشباب والمجتمع بصورة أساسية. ولعل المسئول عن ذلك مجموعة من العوامل الأساسية، من هذه العوامل ظهور الثقافة العالمية للشباب، وهى الثقافة التى استطاعت جذب اهتمام الشباب من مختلف الشرائح الاجتماعية، والمناطق الجغرافية، ومن ثم مشاركتهم فى هذه الثقافة ككيان واحد لأول مرة فى التاريخ. ففى الماضى كانت الثقافة التى تفصل المراهقين والشباب عن أدوار البالغين منقسمة فى ذاتها إلى عديد من الأنماط والثقافات الفرعية العديدة، غير

أنه خلال العقد الأخير استطاع الشباب الذى له انتماءاته المتنوعة الوصول إلى المشاركة فى مجموعة من الاتجاهات والرموز المشتركة والمنتشرة بينهم. حقيقة أن هناك بعض الاختلافات التى تميز الشباب الذى ينتمى إلى مختلف السلالات أو السياقات الاجتماعية المتباينة. غير أن هذه الاختلافات والثقافات الفرعية تشارك فى العادة فى قدر من الرموز المشتركة، بل وتسعى دائماً إلى التحالف بين بعضها البعض(٤٦). وهو الأمر الذى يجزم أن ثمة مجتمعاً شبابياً واحداً، يقف وحدة واحدة فى مواجهة أجيال الشيوخ، أو كقوة معارضة فى مواجهة النظام السياسى إذا تخلقت الظروف التى تقود إلى ذلك.

- إلى جانب ذلك يوجد اختلاف عن التعبيرات الثقافية التى سادت العشرينات، الثلاثينات، الأربعينات، الخمسينات من هذا القرن، إذ نجد أن الثقافة القومية الحديثة تحتوى على عناصر قوية لمعارضة ثقافية البالغين السائدة، بل أننا نجد أن كثيراً من المتحدثين باسم الشباب ينظرون إلى ثقافة الشباب ليس باعتبارها خبرة انتقالية، ولكن باعتبارها ثقافة مضادة، بمعنى أنها تشكل تحدياً للقيم والمعايير المستقرة والمعلنة اجتماعياً فى المجتمع الأكبر.

تأكيد ذلك مشاركة الشباب خلال عقد الستينات فى السياسات الثورية والراديكالية المعارضة بصورة لم يسبق لها مثيل فى المجتمعات الغربية. وقد فعلوا ذلك باعتبارهم شباباً بغض النظر عن قيادة البالغين لهم أو سيطرتهم على هذه الحركة الشبابية إذ يوجد فى ثقافة الشباب مكون يبغض سياسات البالغين أياً كانت طبيعتها.

وإذا كان علماء الاجتماع - وليس رجل الشارع فقط - قد نظروا إلى المجتمع الأمريكى مثلاً باعتباره مجتمعاً يمتلك درجة عالية من الاستقرار. مجتمعاً استطاع استيعاب القيم والنظم والمستلزمات التكنولوجية التى وافق عليها، وبذلك بدأوا ينظرون إلى هذا المجتمع باعتباره المجتمع المفتوح،

المجتمع الذى يمتلك من ناحية استجابة سريعة لمتطلبات وطموحات البشر، ويمتلك من ناحيـة أخـرى قـدراً من المرونـة الملائمـة لمتطلبـات التـغيـر الاجتماعى. غير أن هذا المجتمع – ككل المجتمعات الغربية والنامية – نجده يعانى الآن من نوع من عدم الاستقرار الاجتماعى الذى يسود المجتمعات التى تتميز بعدم التجانس الثقافى الكامل، وأيضاً تلك التى تسودها درجة عالية من الصرامة الكاملة. فى مثل هذا السياق تظهر الثقافات المضادة للشباب، وحركات الطلبة، والتعبيرات الأخرى للتمرد الجيلى، وهى الحالة التى يمكن تشخيصها باعتبارها حالة من الإنهيار الثقافى. وحينما تعانى المجتمعات من عمليات الإنهيار الثقافى، أو الأزمة الثقافية، فإن القيم والمعانى والمعايير التقليدية تصبح مهجورة ومضادة للتقدم، وغير متماسكة فى عيوب عدد متزايد من أعضاء المجتمع، وهى التفاعلات التى تصبح مؤشراً لحقيقة أن التغير التكنولوجى قد أحال الممارسات والنظم التقليدية وجعلها غير ملائمة. هذا إلى جانب أن هذا التغيير قد أسس مجموعة من الآمال والتوقعات والمطالب الجديدة، وهى المطالب التى قد لا توافق عليها النظم القائمة وترفضها السلطة الموجودة، بل إننا نجد أن الذين يمثلون مراكز السلطة، ولهم فعالية السيطرة على المجتمع عادة ما يتولون مقاومة هذه الطموحات وقهرها(٤٧).

- إلى جانب ذلك هناك مجموعة من الظروف السياسية المؤثرة على علاقة الشباب بالنظام السياسى، أولئك التى لعبت دوراً فى بناء وتأسيس الحركة الشبابية وهى الظروف التى تتصل بطبيعة النظام السياسى ذاته أو بمجموعة المشكلات التى يعانى منها فى مواجهة الشباب. إذ يتمثل الوضع الافتراضى فى وجود نظام سياسى يتولى تأهيل الشباب للمشاركة ثم فتح قنوات المشاركة صريحة على مصراعيها من خلال إتاحة الشروط الديمقراطية الملائمة لذلك(٤٨). وفى هذا الإطار نستطيع القول بأن هناك مجموعة من العوامل ذات الطبيعة الكلاسيكية التى أدت

إلى ظهور حركة الشباب الجماعية والمضادة للنظام القائم، ولعل العامل الرئيسى الذى لعب دوراً فى هذا الصدد يتمثل فى إدخال نظام الجامعات المتقدمة داخل بناءات المجتمعات. وبدأ حكام هذه المجتمعات ينظرون إلى النظام الجامعى باعتباره وسيلة يتم من خلالها تأهيل أعضاء المجتمع بصورة رفيعة فى مختلف المجالات العلمية والفنية والعقلية، بنفس المستويات السائدة فى المجتمعات المتقدمة، وذلك لخلق صفوات المستقبل التى تكون - بصورة ما - استمرار للصفوات القائمة، بحيث يتم الانتقال إليها بدون هز الاطار الثقافى. وبناء الامتيازات والنظام السياسى القائم(٤٩).

ولتحقيق ذلك سعت الصفوات القائمة إلى تطوير تعليمى رفيع يتولى صياغة شبابا هذه المجتمعات، غير أن نشأة ونمو التعليم العالى للشباب كانت له فى الغالب نتائجه الدرامية غير المقصودة بالنسبة للصفوات التى دعمت هذا التوجيه التعليمى للشباب، بل إننا نجد الشباب المتعلم قد طور كثيراً من قنوات الاتصال بين فئاته المتنوعة فى كثير من أجزاء العالم ليشكلوا حركة معارضة لتلك الصفوات، وأيضاً للنظام القائم الذى كان من المفترض أن يدعمونه ويعملون على تقويته بعد أن فتح القنوات لتعليمهم(٥٠).

غير أنه برغم محاولة النظام السياسى صياغة الشباب من خلال النظام التعليمى حسب النماذج التى يتصورها، فإن الأمر لم يسر حسب رغبات هذه الصفوات التقليدية أو تلك التى تحكم فى المجتمعات المتخلفة، حيث أصبحت مقاومة النظام القائم والإلحاح حول مطالب الإصلاح دافعاً أساسياً لتشكيل حركات المعارضة الشبابية، وبطبيعة الحال فإننا نجد أن النظم النمطية التقليدية تكون عاجزة فى العادة عن الاستجابة لهذه المطالب، ومن ثم نجدها تتبنى الأساليب القهرية تجاه هذه المطالب ذات القوة الضاغطة. ففى مقابل مطالبة الشباب بالإصلاح، نجد أن النظام السياسى يفرض الرقابة على حركتهم، هذا إلى جانب تعميق ونشر الرقابة والإشراف والملاحقة البوليسية

لهم . أما بالنسبة للمنشقين والمتمردين فنجد أن العقاب الصارم هو الذى ينتظرهم. ومن ثم نجد أن شريحة عريضة من الشباب الذين لم يتعرضا مباشرة لهذه الأساليب على وعى بالهوة الواسعة بين المثل التى استوعبوها من ناحية وبين الظروف الاجتماعية والسياسية القائمة فى مجتمعاتهم من ناحية أخرى. وما يطور هذا الوعى السلوكيات غير الأخلاقية التى تنشرها الصفوات العاجزة عن الحياة وفق معايير أخلاقية معترف بها(٥١).

غير أننا قد نتساءل إذا كانت الصفوات السياسية هى التى أسست النظم التعليمية أو توسعت فيها، وهى التى حاولت استخدام هذه النظم بهدف توفير الصياغة النظامية لشبابها، إذ ما هى العوامل أو المشكلات المسئولة عن القطيعة بين النظام السياسى من ناحية والشباب من ناحية أخرى، للإجابة على هذه التساؤل نجد أن هناك مجموعة من المشكلات التى يرى الشباب أنها بطريقة أو بأخرى من صنع النظام السياسى.

- ويعتبر التضخم البيروقراطى أو السلطوى من أكثر المظاهر إثارة الشباب فيما يتعلق بالنظام السياسى. وفى هذا الصدد نجد أن معظم الاحتجاج الشبابى تتجه بالأساس نحو البقرطة Bureaucrartization والترشيد الوظيفى المرتبط بنمو التكنولوجيا وتطورها. وارتباطا بذلك اتجه جانب من هذه الاحتياجات نحو المكانة المفترضة للعلم والنزعة العلمية التى أصبحت تشكل أيديولوجيا يستند إليها النظام الاجتماعى والثقافى القائم(٥٢)، وفى هذا الصدد يعتبر الهجوم الطلابى على الجامعة – كمؤسسة علمية بيروقراطية – ذا أهمية خاصة. حيث نجد أن كثيراً من إنفجارات الشباب تتجه بالأساس إلى البناء البيروقراطى السلطوى للجامعة، وذلك بسبب كثافة بنائها البيروقراطى، وما يترتب على ذلك من اتساع الفجوة بين الطلبة من ناحية، والكلية وإدارتها من ناحية أخرى(٥٣). بل إننا نجد أن هذه البقرطة لم تتوقف عند مستوى المؤسسات التعليمية، بل تجاوزت ذلك ليشمل معظم الأنماط الاقتصادية،

حيث نجد أن البيروقراطية والتخصص والنزعة المهنية فى البناء المهنى من أكثر التطورات أهمية فى المجال الاقتصادى، وهو التطور الذى ساعد على زيادة التداخل القوى بين مستوى التحصيل التعليمى من ناحية والمكانة المهنية من ناحية أخرى. بحث مكن القول بأن هذه التطورات قد أدت إلى ظهور مجموعة من المشكلات والتناقضات فى بعض المجالات مثل مجالاً الحراك الاجتماعى، والانتفاء التعليمى، وانتشار أنماط الاستهلاك(٥٤)، ومما لا شك فيه أن التضخم البيروقراطى يتناقض تماماً ونزعة الشباب إلى الحرية والإبداع والتجديد، ومن ثم تتخلق إمكانية الصدام مع النظام السياسى الذى تشكل البيروقراطية أكثر مكوناته أساسية.- وتتمثل المشكلة الثانية فى رفض النظام السياسى للمشاركة الشبابية وعجزه عن استيعاب متضمناتها. وهو الأمر الذى يعنى أن الهجوم على النمو السلطوى والبيروقراطى لنظام السياسى يرتبط بالأساس بالخضوع له والحرمان من المشاركة التى سوف تترتب على ذلك. وفى هذا الصدد نجد أن جوهر الاحتجاج الشبابى يميل لأن يتحول من المطالب من أجل المشاركة الأكثر فى المجالات السياسية القومية، ومن المحاولات التى تستهدف التأثير على السياسات الاجتماعية والاقتصادية، إلى اتجاهات جديدة، تتمثل فى محاولة تعرية هذه المراكز السلطوية من شرعيتها الكارزمية، أو من أى شرعية لها على الاطلاق، هذا إلى جانب البحث المستمر من جانب آخر عن أسلوب للمشاركة يتجاوز فى فاعليته المراكز الاجتماعية الاقتصادية القائمة بهدف خلق مراكز جديدة مستقلة عنها(٥٥). وارتباطاً بذلك يمكن القول بأن هدف الاحتجاج الشبابى خلال الفترة المعاصرة يدر أساساً حول توسيع نطاق المشاركة، وخلق القنوات الملائمة للوصول إلى المراكز الثقافية والسياسية، وأيضاً إصلاح مضامينها الاجتماعية والثقافية، هذا إلى جانب حل مشكلات المشاركة غير المتكافئة، والبحث عن الأساليب التى تساعد

على إضعاف أو تجاوز المشكلات الحادة التى ظهرت نتيجة لنمو النظام الرأسمالى من خلال سياسات هذه المراكز المسيطرة، وبذلك تعتبر المشاركة هى الحل الذى يقدم لكل من المشكلات التى يعتبر البحث عن حلول لها من الأهداف الأساسية لكثير من الحركات الشبابية والقومية فى الفترة المعاصرة[٥٦] . يؤكد ذلك دراسة حول المشاركة السياسية للشباب فى إطار المجتمع العربى حيث أظهرت الدراسة. أن نحو ٨,٥٪ من أعضاء العينة التى أجريت عليها الدراسة هم فقط الذين يمارسون نشاطاً سياسياً. حتى مع اعتبار مجرد العضوية فى التنظيمات السياسية – كما ذهبت هذه الدراسة – نشاطاً سياسياً[٥٧]، بل أننا نجد أن كثيراً من البلاد النامية ترفض تسييس الجامعة تحت حجة أن الطالب الجامعى ينبغى أن يكون طالب علم فقط، بحيث نجد أن سلوكيات النظام السياسى هذه قد تدفع الجماهير إلى الإنسحاب من المشاركة. غير أن حالة الإنسحاب هذه قد تفرخ بداخلها تمرد الشباب على النظام السياسى فى محاولة لفرض المشاركة تجاوزاً لحالة الإنسحاب هذه.

- وتشكل مشكلة البطالة إحدى المشكلات الهامة المسببة للتوتر القائم بين الشباب والنظام السياسى، وترجع هذه المشكلة فى المجتمعات المتخلفة التى افتتحت النظم التعليمية فيها أبوابها لاستيعاب مرحلة الشباب مثلما هو حادث فى المجتمعات المتقدمة. غير أن إنهيار الترابط العضوى بين النظام التعليمى والاقتصادى فى المجتمع، وعدم التنسيق بين مدخلاتهما ومخرجاتهما من حيث الأفراد المؤهلين من شأنه أن يدفع إلى ظهور مشكلة البطالة بين المثقفين، وهى المشكلة إلى أصبحت تؤرق النظم السياسية فى هذه المجتمعات. ومن ثم نجد أن الشباب فى المجتمعات المتخلفة لا يواجهون فقط الفساد والإنهيار والعتاد السياسى، ولكنهم يواجهون أيضاً القلق حول المستقبل الشخصى المحفوف بالمخاطر وعدم الأمان. إذ نجد أن المجتمعات المتخلفة – كصيغة واحدة – تنتج شباباً

بأعداد كبيرة تتجاوز الفرص الملائمة لتدريبهم. إذ عادة لا تتيسر سنوياً الوظائف لآلاف من الخريجين، الذين يتزايدون بمعدلات عالية، ويشكلون مصدر إقلاق وتوتر بالنسبة للنظام السياسي، خاصة في المجتمعات الحضرية(٥٨).

ويعتبر تباطؤ الحراك الاجتماعي والقيود المفروضة عليه في بعض المجتمعات من المشكلات الأساسية التي تشكل نطاقاً للمواجهة بين الشباب والنظام السياسي. وتتمثل المشكلة الأكثر بروزاً فيما يتعلق بالحراك الاجتماعي في ارتفاع مستويات الطموح بين مختلف شرائح السكان في مقابل غياب الوسائل التي تتولى إشباع هذه الطموحات. وفي هذه الاطار حاولت بعض الصفوات تطوير أنماط من الحراك المحدود، غير أنها عجزت عن خلق صيغة ملائمة بين فرص الحراك المتاحة والطلب المكثف عليها(٥٩). وقد كان من النتائج المباشرة لذلك أن هناك كثيراً من الجماعات التي عزلت منذ بداية حياتها في اطار بعض المهن ذات إمكانية الحراك المحدودة، بحيث ساعدت هذه الظروف على نمو مشاعر الاحباط واليأس المتعاظمة بإستمرار داخل المجتمع والاقتصاد على السواء(٦٠).

واستناداً إلى تحديدنا لمجموعة المشكلات السابقة إلى تشكل نطاقات التوتر بين الشباب والنظام السياسي، فإننا نجد أن العناصر الأساسية للاحتجاج الشبابي تستند إلى الإفتراض الأساسي الذي يؤكد أن معظم المشكلات الاجتماعية، كمشكلات المشاركة السياسية، والمشكلات التي تتولد عن التصنيع كلها مشكلات يمكن حلها من خلال إعادة تشكيل وتنظيم البناء السياسي بما يجنبه التناقضات المولدة لمظاهر الأنومي والاغتراب(٦١).

غير أنه من الضروري على النظم السياسية في المجتمعات النامية أن تبذل كل جهد لاستيعاب طاقات الشباب أثناء مرحلة التنمية وإلا كان إنفصالهم عن النظام السياسي ليس إلا إضافة لمزيد من التمزقات لهذه العملية. في هذا الاطار لابد أن تتم التربية السياسية والأيديولوجية للشباب،

وبطبيعة الحال تختلف التربية عن الوصاية التى قد يفرضها النظام السياسى من أعلى والتى لا تتيح الدرجة الملائمة من المشاركة بل وترفضها كفكرة فى أحيان كثيرة(*). إذا حدث ذلك فإن موقفاً يتخلق يحتوى على شباب يتحمل ويعانى من متاعب التنمية ويقف فى ذات الوقت عاجزاً فى مواجهة المؤسسات السياسية الضخمة التى تمارس فاعليتها ووطأتها عليه، ومع ذلك فهذا الشباب لا يمتلك إمكانية التعبير الواضح والمشاركة فى صنع قرارتها. بحيث تجلت آثارها فى الموقف فى ضعف الانتماء الاجتماعى الذى يتبدى فى مظاهر كثيراً كإنخفاض الإنتاج ومحاولات الهجرة المستمرة من المجتمع إلى الخارة بحثاً عن إمكانات تحقق الطموح.

ولتحقيق هذه التربية السياسية والأيديولوجية الفعالة فإنه من الضرورى أن يتخذ النظام السياسى مجموعة من الخطوات، أولها ضرورة تحديد النموذج الواجب احتذاؤه على الصعيد الاجتماعى والسياسى، هذا النموذج لابد أن يتصل عضوياً بالأيديولوجية العامة ويشتق منها وفى هذا الصدد من الضرورى أيضاً مشاركة الشباب فى صياغة النموذج وتطويره بما يلائم احتياجاتهم ويعكس طاقاتهم ويواكب التفاعلات الاجتماعية المحيطة. فإذا لم تحدث دعوة للمشاركة الفعالة، فسوف يتجه الشباب إلى البحث عن هذا النموذج عند جماعات تمتلكه وتتيح إمكانيات المشاركة، وفى ذلك إنفصال للشباب عن المجتمع.

غير أن هذه التربية السياسية والدعوة إلى المشاركة لابد وأن تتم حسب منطق أيديولوجى متماسك ومحدد المعالم، وفى هذا الإطار لابد أن نبتعد قدر الرمكان عن الانتقاء الأيديولوجى أو تأسيس النماذج وفرضها على الشباب من الخارج، أو من أعلى. وإنما يجب التفاعل بشأنها لتتبع من أسفل وترتبط

(*) دأبت القيادة السياسية فى مصر – كمجتمع عربى – فى الفترة من ١٩٧٠ – ١٩٨١ فى التأكيد كثيراً على أن الجامعة للعلم فقط، أن الطالب ينبغى أن يكون طالب علم فقط، وليس يخاف أن هذه محاولة لإبعاد الشباب عن المشاركة السياسية.

عضوياً بالقاعدة الشبابية. بحيث يكون أساسها الصراحة والتعبير الحر وصراع الأفكار المتناقضة، حتى يمكن الوصول إلى شمولية أيديولوجية يشارك فى تخليقها الجميع، ومن ثم يتولد لديهم التزام بها. واستناداً إلى ذلك، فإن هذه الشمولية التى نصل إليها لابد أن تبدأ من الشباب، ويكون دورنا هو مجرد مساعدتهم على التفكير بحرية، وأيضاً إرشادهم إلى اختيار الطريق، لأنهم سوف يتحملون معاناة السير فيه، فالشباب بلا شك هم أصحاب الحق، لأن الحاضر لهم، وتحقيق التغير فى قدرتهم، فأفقهم أكثر إنفتاحاً على المستقبل، وهم أكثر من الشيوخ إحساسا بالتغير وكيفه، بأهدافه، وزمانه، ومن هنا، فالتسييس إذا أصبح راقياً على هذا النحو الذى أشرنا إليه، فإنه يصبح جهداً إيجابياً وفعالاً فى تأسيس التنية، واعياً بقضاياها، وداعياً إلى المشاركة فى حل معضلات المرحلة.

- وتتعلق الفقرة الأخيرة فى علاقة الشباب بالنظام السياسى، بالتركيز على الشباب أنفسهم باعتبارهم الطرف الأساسى فى الحركة الشبابية المعاصرة. ما هى الظروف والعوامل التى جعلت منهم مجتمعاً أو قوة واحدة تتأثر بمتغيرات النظام العالمى وذات قدرة على الصراع مع النظام السياسى وربما تجاوزه.

وإذا حاولنا أن نحدد العوامل الدافعة إلى ظهور هذا المجتمع الشبابى فإننا يمكننا أن نربط بين ظهور ونشأة نظام التعليم الجامعى الشامل وإنتشاره. بالإضافة إلى ارتباط ذلك بظهور الجيوش التى تتبع نظام التجنيد والخدمة الإلزامية. فقد ساعدت هذه الظروف على ظهور الشباب كشريحة اجتماعية متميزة خلال العقود الثلاثة الأخيرة. وقد ارتبطت هذه التحلات بتأخير مرحلة البلوغ أو الكبر فى المجتمعات الحديثة، وهو التأخير الذى يعنى استبعاد مجموعة من البشر الذين فى سن الشباب من المشاركة الكاملة فى قوة العمل. بحيث أدت كل كل هذه التغيرات إلى تركيز الشباب فى نطاقات منفصلة، وهو التركيز الذى ساعد على نمو الوعى الجماعى والإحساس

بالتميز بينهم. بحيث يمكن القول بأن كل هذه التحولات قد خلقت – فى حالة عدم إشباع الحاجات الأساسية – الأساس لدافعى من أجل قيام الحركات الجماعية للمعارضة، داخل هذه النطاقات الشبابية(٦٢).

ولا يمكن القول بأن هذه التطورات النظامية هى التى دعمت وحدها الإحساس بالتميز والوعى الجماعى بين الشباب، فإلى جانب التجمع الفيزيقى للشباب نجد أن التكنولوجيا قد لعبت دورها فى تقرير فكرة الشباب وتعميمها كنموذج اجتماعى متميز. وفى هذا الصدد يمكن الإشارة بطبيعة الحال إلى ظهور الإعلام الجماهيرى، حيث بدأت تجديدات الاتصال والإعلام تلعب دورها فى الحياة اليومية للشباب، منها التلفزيون، أجهزة التسجيل، والاستريو، الراديو، وأجهزة الفونوجراف، والكتب الرخيصة الثمن. بحيث أدت هذه التجديدات التكنولوجية بالإضافة إلى التطور المستمر للمخترعات القديمة كالسينما، وغير ذلك إلى خضوع الشباب لحملة إعلامية وإتصالية واسعة النطاق. ومن ثم يمكن القول بأن الشباب الذى ربى فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية قد ربى فى نطاق مستوى لا مثيل له من البث الإعلامى بحيث أصبح الإعلام سوقاً واسعة، ذلك لأن الشباب فى مجموعهم – من وجهة نظر صناع الإعلان والإعلام – برغم استبعادهم من قوة العمل، إلا أن لديهم بلايين الدولارات الموجهة نحو الاستهلاك أساساً(٦٣).

استناداً إلى فاعلية هذه العوامل ظهرت ثقافة الشباب فى المجتمعات النامية منذ عشرات السنين، ومع ذلك لم ينظر إلى الشباب باعتبارهم يشكلون ثقافة فرعية، معادية أو مختلفة، إلا أخيراً. وإذا كان شباب الأحياء المتخلفة يميلون إلى الانخراط فى بعض الثقافات الرفيعة المنحرفة، فإننا نجد أن الشباب المثقف المنتمى إلى الطبقة الوسطى والملتحق بالتعليم العالى يميل إلى تبنى أساليب تتمحور حول بعض الممارسات النقدية لبيئة الاجتماعية والسياسية المحيطة به، وبغض النظر عن الانتماءات الطبقية والاجتماعية

للشباب، فإنه يمكن القول بتخلق تجانس فى مضمون ثقافة الشباب بفعل تأثير أجهزة الإعلام. حيث نجد أن شباب اليوم المنتمى إلى مختلف الشرائح والأقاليم أو المواقف أصبح يميل بصورة متزايدة إلى سماع نفس الموسيقى، ويلبس نفس الزى ويستخدم ذات الرموز واللغة، ويعيش نفس حالة القلق العام. بحيث يمكن القول بأن ثقافة الشباب الجديدة تعتبر فى كثر من جوانبها من خبق أجهزة الإعلام، وصناعة سلع الاستهلاك التى لها مصلحة تجارية فى استغلال سوق الشباب الواسع المستعد دائماً لشراء المواد الضرورية للموافقة عليه باعتباره مشاركاً مخلصاً فى هذه الثقافة الفرعية(٦٤).

ذلك يعنى أن تخلق شريحة الشباب بفعل عوامل عديدة يعتبر الشروط الرئيسى لتخلق الشباب كجماعة ووقوفها فى وجه النظام السياسى أو البداية الحقيقة للتمرد عليه. إذ يؤدى التحرر من الخوف من النظام القائم ,ومن وهم أجيال الآباء ,إلى اتجاه الشباب نحو البحوث عن صلات محددة مع الفلاحين ,والفقراء فى مختلف قطاعات المجتمع الأخرى. ومن الطبيعى أن تدعم الروح القومية المتصاعدة هذه الحركة ,التى تؤدى فى النهاية إلى بلورة إحساس الهوية بالنسبة للبشر فى أمة معينة ضد الحكام الفاسدين والكبار المتسلطين فى المجتمع ,وبرغم ذلك ,فمن النادر أن نجد الإنسان العادى – خاصة فى المراحل الأولى من تمرد الشباب – يستجيب للإثارة ضد النظام السياسى والكبار ,وذلك بسبب ثقل وزن ودور الثقافة التقليدية, ووطأة الضرورة الاقتصادية على وعى الجماهير. ولقد كان هذا الموقف هو المسئول عن خلق التناقض القائم فى كثير من المجتمعات المتخلفة حيث الجماهير محرومة ,ومقهورة ,غير أن البداية الحقيقية للصراع ضد الحالة الراهنة تظهر مع ذلك من بين المثقفين من الشباب المتيسر مادياً. إذ تيسر فاعلية هذه المجموعة الشبابية بسبب الحرية التى يتمتع بها شباب الطلبة. وهى الجماعة التى يحميها الاستقلال التقليدى للجامعة ,وهو الاستقلال الذى

توافق عليه أكثر النظم السياسية تسلطاً(*) . ومن ثم يصبح شباب الطلبة هم الجماعة الوحيدة التى تمتلك الحرية لتنظيم التمرد السياسى. ولما كان شباب الطلبة هم فى نفس الوقت أبناء الإطار الاجتماعى للصفوات الحاكمة .فإنه كان من الصعب فى أحيان كثيرة أن يتبع النظام السياسى وسائل القهر الوحشية معهم. ذلك لأنه استخدمت الوحشية مع شباب الذين يعيشون نفس مكانة الصفوة .فإن ذلك سوف يكون أكثر ضرراً بالنسبة للنظام السياسى القائم من أنه استخدام هذا القهر ضد الفلاحين أو الحشد الحضرى(*)(٦٤). يضاف إلى ذلك أنه مما يساعد على تخلق وحدة هذا المجتمع الشبابى الإحساس المادى والمعنوى بوطأة وقهر النظام السياسى فى مقابل الحرية النسبية المتاح لهم .وعدم أقاربهم فى الصفوة لهم .هذا إلى جانب أن شرائح القاعدة الشبابية التى تعيش فى ظل فقر واضح وعدم أمان اقتصادى مستمر أيضاً.

يشكل ما سبق إذا مجموعة الظروف التى أدت - من الناحية الكلاسيكية

(*) من الواضح أن كثير من الحركات الثورية ومظاهرات العنف والتمرد فى كثير من المجتمعات النامية بدأت فى غالب الأحيان من داخل الحرم الجامعى. ولعل الدور الشهير الذى قامت به الجامعة الإيرانية فى الثورة الإيرانية خير شاهد على ذلك. بل أننا نجد أن النظام السياسى فى مصر ١٩٧٠-١٩٨١ دأب كثيراً على مواجهة الجامعة ومحاولة قصر دورها على التعليم دون الاهتمام بأحداث الواقع. وغالباً ما كانت الزعامة السياسية خلال هذه الفترة تطلق على أعضاء الحرم الجامعى صفات كثيرة (كالأرزال) و (الأفندية)، وغير ذلك مما لم يعرفه أدب الخطاب السياسى.

(*) بغض النظر عن حركة الشباب العالمية المعاصرة، فإننا نجد أن الشباب المثقف والجامعى بالتحديد، هو الذى كان يشكل دائماً رأس حربة التمرد سواء بالنسبة للقاعدة الشبابية غير المثقفة أو بالنسبة لجماهير الواقع الفقيرة والمعانيه نتيجة للمشكلات التى يخلقها سلوك النظام السياسى. وفى هذا الصدد يمكن تفسير لماذا نجد أن طلبة بعض كليات معينة هى التى تقود عادة التمرد الشبابى داخل اطار بعض الفترات التاريخية فإذا حاولنا الاستشهاد بمصر كأحد المجتمعات العربية فإننا نجد أنه قبل قيام الثورة كانت كليات الحقوق هى كليات أبناء الصفوات. على خلاف ذلك نجد أن طلاب كليات الطب الهندسة هم الذين كانوا يقودون عادة المظاهرات السياسية الموجهة ضد النظام والسياسية وهى الكليات التى تولت قيادة الكليات، ومن ناحية أخرى لبرزو الأهمية البنائية والوظيفية لهذه الكليات فى مجتمع ما بعد ١٩٥٢ .

- إلى ظهور حركات الشباب خاصة في قطاع الطلبة. وهي الحركات التي عبرت عن اتجاهات قومية وشعبية للتوحد مع الفقراء ,والعدائية المفرطة تجاه جيل الآباء ,والاعتقاد القوى في السلامة الأخلاقية والطبيعية المتجددة لتفاعلات الشباب ,أيضاً الشوق المستمر إلى ثقافة جديدة مستندة إلى مبادئ الأخوة والجماعة ,وحرية التعبير ,والمساواة. ويمكن القول بأن هذه الحركات قد نجحت في كثير من الحالات في إسقاط النظم عن طريق الفعل الجماهيرى ,وفي حالات خاصة كما هي الحال في روسيا والصين ,وفيتنام, نجد أن هذه الحركات الشبابية قد قدمت البشر الذين قاموا بتنظيم وقيادة الأحزاب الثورية الناجحة التي كسبت ولاء الجماهير وبرغم أن حركات الشباب والطلبة لا تحقق أحياناً أهدافها وطموحاتها من خلال جهود الشباب والطلبة باعتبارهم طلبة ,فإنهم في غالب الأحيان يشكلون الإطار الذي يفرخ هؤلاء الذين سوف يقودون الحركات الجماهيرية ذات الطبيعة القومية, إصلاحية كانت أم ثورية (٦٥).

سادساً : الشباب وقضاء وقت الفراغ:

يعتبر الفراغ وأهمية وقت الفراغ من النتائج البارزة للثورة العلمية والتكنولوجية إذ أدى الاعتماد على الآلية والميكنة في كافة العمليات الصناعية والإنتاجية إلى توفير ساعات العمل ,مما أدى إلى ارتفاع مساحة الوقت التي يكون فيها الإنسان خارج العمل والإنتاج (٦٧). بيد أن ذلك لا يكون في صالح الإنسان ,إذ هو لم يستغل الوقت الأمثل ,بل قد يصبح هذا الوقت وبالاً عليه. يؤكد ذلك النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام بقوله, "نعمتان مغبون فيها كثير من الناس ,الصحة والفراغ. وهو الأمر الذي يعني أن الوقت نعمة ,إلا إنه قد يتحول إلى نقمة إذا لم يحسن الانتفاع به. وقوله الكريم " ,روحوا عن قلوبكم ساعة بعد ساعة ,فإن القلوب إذا كلت عميت. ذلك لأنه إذا كان للحياة جانبها الجاد ,فإن لها جانبها الروحي الممتع أيضاً, وذلك يتحقق بالاستغلال الأمثل لوقت الفراغ.

وإذا لم يستغل وقت الفراغ ,فإنه سوف يصبح شبحاً مخيفاً إذا امتلأ بأنواع التسلية والهوايات الضارة التي تضر أكثر مما تفيد. وهنا لا يقضي وقت

الفراغ كوقت معدوم فقط ولكن كوسيلة للإفساد أيضا وذلك حينما تسوده الانحرافات وبعض المظاهر السلبية. واستغلال وقت الفراغ بشكل بناء يساعد على تفريج الضغوط الاجتماعية والانفعالات المكبوتة وتجاوز الفراغ العاطفى ،وهى كلها عوامل مثيرة للقلق والتوتر والمعاناة ،بذلك نستطيع التأكيد على أنه إذا كان الترويح فى وقت يعود عادة بالمتعة على الكائن الإنسانى من ناحية ،مخلصاً إياه أثناء ذلك من توتراته الناتجة عن معاناته اليومية ،فإنه من ناحية أخرى لابد أن يتوازن من الجانب الجاد فى حياته، وذلك حتى يعيش الإنسان متوازناً دون أن يبرز جانب على حساب أخر.

فى اطار ذلك لابد من توفر ثلاثة شروط رئيسية تحكم الاستغلال الأمثل لوقت الفراغ. حيث يؤكد الشرط الأول على ضرورة شمولية وقت الفراغ. بمعنى أن يكون هناك تنظيم لشغل الفراغ بما يلائم طاقة الفئات الشبابية. ففيما يتعلق بالشباب من طلبة الجامعة فإن على الدولة أن تفكر فى برامج فعالة لشغل أوقات الفراغ بما يتسق والمنطق الأيديولوجى العام. فإذا لم يحدث تنظيم فراغ الشباب بما يعود عليهم وعلى الوطن بالنفع ،فإن وقت الفراغ ستحول إلى ساحة تحتوى على إمكانية تفريخ أو استنبات كل ما هو منحرف وفاسد (٦٨). بالإضافة إلى ذلك فإنه من الضرورى الاهتمام بشباب العمال فى مصانعهم وذلك عن طريق تأسيس البرامج العديدة التى تساعدهم على الاستغلال الرشيد لفراغهم بما يروح عنهم ويفيدهم. إذا تحقق ذلك فإنه من شأنه أن يؤدى إلى زيادة الإنتاجية ،وذلك لأن المساحة النفسية للعامل تكون قد أخليت – بفضل برامج شغل الفراغ الفعالة – من كافة التوترات التى تعوق الاسهام الإيجابى فى الإنتاج. وإذا كنا قد تعاملنا مع الشباب الصناعى المنتج فإن علينا أن نعود أنفسنا أيضاً على ضرورة التعامل مع شباب الفلاحين ،باعتبارهم الشريحة الغالبة فى غالبية مجتمعات العالم. وذلك لكى نساعدهم – من خلال برامج قضاء وقت الفراغ – على الانتقال من عصر المشاعية الزمانية إلى عصر التحدد والتخصص الزمنى. هذا إلى جانب أننا

نستطيع من خلال برامج أوقات الفراغ أن نؤسس تجانساً بين مختلف الفئات الشبابية داخل المجتمع الواحد ,ومن ثم تحريك التجمع الجديد للارتباط بقضايا التغير والتنمية فى المجتمع العام(٦٩). واستناداً إلى ذلك نجد أن الشباب العربى يعانى من العجز عن قضاء وقت فراغه بصورة ملائمة. فحسبما تذهب بعض الدراسات تنخفض المشاركة الاجتماعية لدى الشباب – كأسلوب لقضاء وقت الفراغ – بصورة حادة لتصل إلى ٧٦٪ من عينة الدراسة التى أشرنا إليها ,حيث تجدهم فقط هم الذين لهم مشاركة اجتماعية يقضون بها وقت فراغهم ,ويتضح تردى مستوى المشاركة الاجتماعية – كأسلوب لقضاء وقت الفراغ إذا إعتبرنا زيادة الأصدقاء والأقارب نوعاً من المشاركة ,وهو الأمر الذى كان من المنطقى أن يرفع من مستوى المشاركة عن النسبة المتدنية التى تميزت بها عينة الدراسة(٧٠).

ولا يختلف الأمر كثيراً فيما يتعلق بالمشاركة الثقافية التى يمكن أن تشكل هى الأخرى إطاراً ملائماً وقت الفراغ بصورة ملائمة لها عائدها على الشخصية الشابة. إذ تشير معطيات ذات الدراسة إلى ارتفاع النشاط الثقافى لدى الشباب وهذا النشاط الذى بلغت نشبة من يشاركون فيه نحو ٤٧٪ عن قدر النشاط الاجتماعى العام غير أن الحقيقة الأكثر بروزاً فى هذا الصدد تتمثل فى أن هناك نحو ٥٢٪ من عينة الدراسة ليس لديها نشاطاً ثقافياً يمكن أن يشكل إطاراً لقضاء وقت فراغها(٧١).

أما بالنسبة للمناشط الرياضية باعتبارها أحد مجالات وقت الفراغ فإننا نجد ذلك من خلال معطيات ذات الدراسة التى تؤكد أن ٢٩٪ فقط هم الذين لهم نشاطات رياضية محددة، وهى نسبة متدنية بالنسبة لمتطلبات هذه المرحلة العمرية.

وبرغم هذا الإنخفاض الواضح لنسبة الشباب الذين يمارسون نشاطاً رياضياً، فإننا نجد من خلال مشاهداتنا الواقعية أن هذه الممارسات غير منظمة تتم فى الشارع بصورة عشوائية فى كثير من الأحيان فى غالب

المجتمعات العربية، وذلك أما بسبب الأعداد المتزايدة للشباب أو بسبب عجز الإمكانيات، أو لأن ذلك ليس من بين الاهتمامات الأساسية للنظم الاجتماعية في المجتمعات النامية بما فيها مجتمعاتنا العربية.

ويتعلق الشرط الثانى لقضاء وقت الفراغ بضرورة تكامل برامج تنظيم وشغل وقت الفراغ. بمعنى أنه إذا كان وقت الفراغ فى أحد جوانبه ترويحياً، فإنه لابد أن تكون هناك الجوانب التى تهتم أساساً بتطوير الشخصية التى تتجه إليها هذه البرامج. إذ يجب أن يهدف البرنامج الترويحى إلى تفريغ التوترات الناتجة عن المعاناة اليومية. أما الجانب الآخر، فيجب أن تعمل من خلاله على الإرتقاء المادى والمعنوى بملكات الشخصية عن طريق دعمها بكفاءات جديدة تجعلها أكثر مهارة واتقاناً، بحيث يعود ذلك بالفائدة على حياته اليومية الإنتاجية. فى إطار ذلك أيضاً لابد من تأسيس برامج لشغل أوقات الفراغ طبيعة جماعية، بحيث تتيح مشاركة فئات شبابية عديدة بشكل فعلى، (العمال والمثقفين والفلاحين وشباب الجامعة) بحيث ييسر ذلك تفاعل عناصر البناء الشبابى بما ييسر إفراز ثقافة وخصائص شبابية متميزة، بل وموقف شبابى محدد ومتميز يسوده تجانس داخلى إلى حد كبير(٧٣)، بحيث يساعد ذلك على خلق وحدة قادرة على دفع تنمية المجتمع وتجديد ثقافته.

أما الشرط الثالث فيتصل بضرورة أن تكون برامج شغل وقت الفراغ موجهة لاشباع الحاجات الأساسية للشخصية الشابة بصورة ملائمة، وفى هذا الصدد يجب أن تحتوى هذه البرامج على مضامين دينية ذات طبيعة عصرية تهدف إلى تطوير قيم التراث وغرسها فى بناء الشخصية الشاب، بحيث تمتلك المحكات التى تقود فعلها فى معترك التفاعل الاجتماعى. يجب أن تحتوى هذه البرامج أيضاً على مضمون اجتماعى يؤكد على علاقات الشباب ببعضهم البعض داخل الشريحة الشبابية ذاتها، وأيضاً تلك التى تربطه بالسياقات المحيطة بهم حتى يكونوا على تماسك إيجابى وفعال بها.

لابد أن تحتوى هذه البرامج كذلك على مضامين ثقافية تهدف إلى الإرتقاء بالبناء الفعلى للشريحة الشبابية. هذا إلى جانب تضمنها لمضامين فنية تنمى الإحساس والذوق الفنى كى تصبح الشخصية فى موقف تتمتع فيه بكافة ملكاتها وإمكانياتها. هذا بالإضافة إلى التأكيد على مضمون قومى يجذب الشريحة الشبابية نحو تحقيق فهم كامل لمختلف القضايا الهامة، وهو الأمر الذى يعمل على إشعال جذوه المشاعر الوطنية والقومية لديهم بحيث يتجلى ذلك فى أساليب فعالة وبناءه(٧٤).

بيد أنه لكى تتحقق الشروط السابقة فى أكثر مستوياتها إنجازاً ومثالية، فإن على هذه البرامج أن تستلهم الأيديولوجيا العامة للمجتمع، بحيث يوضح هذا الاستلهام لها صيغة القضايا التى ينبغى أن تكون موضع الاهتمام خلال هذه المرحلة، وأيضاً نوعية الفئات التى يجب الاتجاه نحوها لتنظيم فراغها. فبرامج شغل وقت الفراغ إذا لم تكن موجههة أيديولوجيا فإنها تصبح مهددة بالضرب عشوائياً بلا هدف سوى تفريج التوتر. بل إنها فى حد ذاتها قد تصبح أساساً لتخليق ظواهر فاسدة، وغريبة وضارة بحركة امجتمع وعمليات التنمية.

سابعاً : الشباب ونظم المجتمع، خاتمة ونظرة عامة:

يعبر الشباب فى علاقتهم بعالم الكبار عن جدل المجتمع مع ذاته. فهم يأخذون أفضل ما فى الماضى من خلال التنشئة التى تتم لهم فى الحاضر، وينطلقون إلى المستقبل. ومن ثم تربطهم بأجيال الكبار علاقة اتصال وإنفصال، فهم من ناحية يشكلون عنصر الاستمرارية والقوة فى دورة الأجيال، وهم من خلال ذلك يحملون التراث الذى ينقل إليهم فى صدورهم. غير أنهم لا ينقلن كل التراث، ولكنهم يحصلن على ما يساعدهم على التكيف والحاضر، وبما ييسر لهم إشباع حاجاتهم الأساسية فى اطاره. فى مقابل ذلك فهم يتخلون عن العناصر التى لا تساعد على التكيف أو تعاديه، من هنا يبدأ الخلاف مع أجيال الكبار، فالتراث بالنسبة للكبار موضوعاً

للإجلال إلى درجة التقديس، أما بالنسبة للشباب فالنظرة إليه محكومة بالمنفعة. قد يتمكن الكبار - بوسائل القهر والفرض - من نقل التراث إلى الصغار، غير أنه حين يصبح الصغار شباباً يعرض كل شئ للمراجعة والتقييم والنقد، بما فيه مكانة الكبار أنفسهم.

من هنا تحتل التنشئة الاجتماعية مكانة هامة، حيث تنجح التنشئة الاجتماعية إذا توفرت لها عدة شروط، منها امتلاك المجتمع لتوجه أيديولوجي محدد يشكل الإطار العام لمختلف جوانب عملية التنشئة ومراحلها، ويضمن عدم إنحراف النشئة طالما أنها ملتزمة بالتوجهات الأيديولوجية العامة، وعدم تناقضها طالما أن فاعلية مؤسسات التنشئة الاجتماعية تترتب بالنظر إلى بعضها البعض وبالنظر إلى التوجهات الأيديولوجية للمجتمع، وأيضاً بالنظر إلى قدرة الشاب على الاستيعاب. ويتمثل الشرط الثاني في تكامل مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتلاؤمها مع المرحلة العمرية للإنسان فقد تلعب الأسرة ككل مساحة التنشئة الاجماعية في الطفولة، غير أنه حينما يلتحق الطفل بالمدرسة يتسع دور الأخيرة على حساب الأولى، وحينما يبدأ مجال العمل أو المهنة في الأداء فإن ذلك من شأنه أن يقلل تدريجياً من فاعلية عناصر التنشئة الاجتماعية الأخرى. وتبرز أي من مؤسسات التنشئة الاجتماعية على الأخرى بالنظر إلى طبيعة السياق الاجتماعي، فالأسرة ترتبط بالسياق التقليدي، بينما المهنة والعمل أكثر ارتباطاً بالمجتمعات المتقدمة، إضافة إلى ارتباطه بالسياقات الحضرية أساساً. بينما يرتبط الشرط الثالث بضرورة تكامل المضمون وتتابعه، وفي هذا الإطار نجد أن مضمون التنشئة الاجتماعية محكوم بفاعلية بعدين، الأول أن هناك حركة من المشاعرية والعاطفية إلى اكتساب القيم والعناصر ذات الطبيعة العقلية والرشيدة، بينما يشير البعد الثاني إلى تحرك التنشئة الاجتماعية من حيث تتابع مؤسساتها من الاتساع إلى الضيق، فمساحة التنشئة التي تؤديها الأسرة أكثر شمولاً وإتساعاً من مساحة التنشئة التي يؤديها النظام التعليمي، أو العمل.

وإرتباطاً بذلك يلعب النظام التعليمى دوراً كبيراً سواء فى بناء الشخصية الشابة أو فى بلورة الحركة الشبابية عموماً. فالنظام التعليمى وخاصة الجامعة هى التى جمعت الطلاب، وأكدت لهم نوعاً من الحصانة النسبية (دور حرم الجامعة)، ثم هى من خلال ذلك خلقت الجماعة الطلابية كجماعة متجانسة فى جوانب كبيرة. بحيث يمكن القول بأن الشباب الجامعى من خلال وجوده فى الجامعة يتشكل وعيه بذاته، وبموقفه من النظام الاجتماعى، أو ردود فعله لسلوكيات النظام السياسى.

غير أننا نلاحظ أن التعليم صلة واضحة بالبناء الطبقى للمجتمع، فإذا كنا فى مجتمع ذو توجيه جماعى – اشتراكى مثلاً – فإننا نلاحظ أن التعليم يصبح متاحاً للجميع، ومن ثم يساعد على إتاحة درجة أعلى من الحراك الاجتماعى لأكبر قدر من البشر، بغض النظر عن الموقع أو الإنتماء الطبقى،ومن ثم فهو على المدى البعيد يساعد على تحقيق قدر من العدل الاجتماعى، وعدم بروز الحدود الطبقية الصارمة أو بلورة الطبقات فى مواجهة بعضها البعض، على عكس ذلك نجد دور التعليم فى المجتمعات الليبرالية، حيث التعليم باهظ التكلفة، ومن ثم فهو غير متاح إلا لشرائح اجتماعية محددة، ومن ثم نجد أن التعليم فى هذه المجتمعات لا يلعب دوراً أساسياً فى الحراك الاجتماعى، بل فى بلورة الجماعات الطبقية وتحدد معالمها إلى حد كبير. بالإضافة إلى ذلك فقد يلعب التعليم دوره فى نشر حالة من الإحباط والتوتر بين المتعلمين الذين يعانون من البطالة، والذين يصبحون بدورهم من الوسائل الهامة لإشاعة الوعى بضرورة التغيير الاجتماعى.

إضافة إلى ذلك نجد أن هناك علاقة بين التعليم – من خلال شباب الجامعة – والنظام السياسى. فالشباب هم الأقل مسئولية تعرضاً لتحديدات المجتمع، فليس عليهم مسئولية معينة، ومن ثم فهم محررون من هذا الجانب، إضافة إلى ذلك فإننا نجد أن أبناء الصفوة منضمون إلى النظام

التعليمى، خاصة الجامعة، ومن ثم نجد أن هناك نوع من الاعتدال من قبل النظام السياسى فى معالجة تمردات الشباب، وعدم استخدام القسوة معهم، برغم أنهم الفئة التى يتكرر وجودها ومشاركتها فى التفاعلات المجتمعة العامة، بخاصة فى حركات الاحتجاج والتمرد، أو قد يرجع عدم استخدام القسوة معهم – مثلما يحدث مع فئات المجتمع الأخرى – نظراً لكونهم يشكلون إطار صفوة المستقبل ومن ثم هناك بعض التجانس موقف مجموعات الصفة فى مواجهة الجماهير.

إلى جانب ذلك تتميز علاقة الشباب بالنظام السياسى بكونها علاقة موضع توتر دائم، وذلك لاختلاف اتجاه الحركة بين الشباب والنظام السياسى إذ يهدف النظام السياسى إلى تأكيد الاستقرار والتماسك ودعم المؤسسة الاجتماعية، بينما يرى الشباب فى الاستقرار ودعم المؤسسة الاجتماعية قيداً عليهم، ومحاولة لحصارهم، ومن ثم وجدنا أن تمردات الشباب وعنفهم يتجه عادة للنيل من النظام السياسي، مهما ادعى تعبيره عن تفاعلات الجماهير وحسها، وأمامنا ثورة الشباب فى الصين فى ١٩٨٩، حيث حاولت الجماعة الشبابية خلالها المطالبة بقدر من التغيير فى الاتجاه الليبرالى، غير أن النظام السياسى كان من القوة بحيث تمكن من قهرها والقضاء عليها.

ويعتبر وقت الفراغ من الجوانب العامة التى يمكن الاستفادة منها فى دعم عاقة الشباب بالمجتمع، كما أنه من الممكن أن يصبح وقت الفراغ – على العكس من ذلك – الية للقضاء على علاقة الشباب بالمجتمع. فى الحالة الأخيرة نجد أنه إذا لم يشبع المجتمع الحاجات الأساسية لشبابه. ومن ثم إذا تولد لديهم قدراً من التوتر ومشاعر الإحباط الناتج عن عدم الإشباع، فإن وقت الفراغ سوف يصبح هو الإطار الذى يهرب الشباب خلاله من إرتباطاتهم الاجتماعية. قد يكون الهروب بريئاً فى البداية إلا أن قد يصبح فى النهاية آثماً، حيث يشارك الشباب فى سلوكيات تفصلهم عن المجتمع، ابتداء من تعاطى المخدرات للغياب فى عالم خيالى بعيداً عن المجتمع

ومروراً بالمشاركة فى سلوكيات إنحرافية وإجرامية عديدة، وحتى تمرد الشرائح الشبابية فى مواجهة المجتمع. وفى هذا الإطار يصبح وقت الفراغ هو ساحة الاستعداد التى تهيئ الشباب للسلوك الخارج على النظام.

من الممكن أن يصبح وقت الفراغ – على خلال ذلك – آلية لدعم علاقة الشباب بالمجتمع حينما يستفاد منه أما فى ممارسات تدع أيديولوجياً المجتمع، وثقافته أو قيمه السائدة، أو الأستفادة منه فى إعادة تجديد الشريحة الشبابية ذاتها، حتى تتخلص خلاله من توتراتها لتعود إلى المجتمع متخلصة من توتراتها، وعلى استعداد للعمل والإيجابية بفاعلية بما يعود عليها وعلى المجتمع بالنفع وبما يعمق العلاقة العضوية بين الشباب والمجتمع.

المراجـــع

1- Parsons, T. The Social system (Gleonce, Kagan Paul, New York, 1961)P. 43.

2- Orum, A. : Introduction to Politiical Sociology, The Social Anatomy of the Body Politic,(Prentice - Hall INC. Englewood, New Jersy, 1952, P. 87.

3- Erkson, E. : Identity and the Life Cycle, New York, International University Press, 1959, P. 32.

٤- أحمد خليفة : المحاضرة الافتتاحية لندوة (نحو نظرة علمية للشباب فى مصر) يونيو ١٩٧٥ منشورة فى الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين (منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعى والجنائية) ١٩٨٠ ص ص ٢-٥ .

5- Eisentadt, S.N. : From Generation to Generation, Age Groups and Social Structure, The Free Press, New Yourk, 1961, P. XIX.

6- Ibid, P. 16.

7- Flacks, R. : Youth and Social Change. Markham Publishing Company, Chicago, 1971, P. 23.

8- Ibid, P.43.

٩- على ليلة: الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين، منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٠ ص٦٤ .

10- Richard Flaccks : Op. Cit. P. 33.

11- Parsons, T. and Robert, E Bales: Famil, Socialzation and Inter-

action Process (Glencoe ILL, Free Press), 1955. P. 112.

13- Ibid, P. 115.

14- Ibid, P. 120.

15- Ibid, P. 119.

16- Parsons, T. : Some Consideration on Theory of Social Change,Raral Sociology, No., 26. 1961, P.12.

17- T. Parsons & Blues: Op. Cit., P. 111.

١٨- علياء شكرى، الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة، دار المعارف. الطبعة الأولى، ١٩٨٩، القاهرة ص ١١٣ .

19- S.N. Eisentadt : Op, Cit., P. 261.

20- Ibid, P. XV.

21- Richard Flaks: Op. Cit., PP. 23-24.

22- Ibid, PP. 25-26.

23- Ibid, P. 27.

24- David, C. McCland : The Acheiving Socity (Princeton, N.S.: Van Nostrand, 1961. P. 28.

25- Ibid, P. 27.

26- E. Erikson : Op. Cit., P. 39.

27- Richard Flacks: Op. Cit., P. 28.

28- Ibid, PP.28-29.

٢٩- على ليلة : الشباب والمجتمع، ملامح الإنفصال الاتصال، المؤتمر [illegible]

in Higher Education. Sociology of Education XLII. (1), winter, 1970. P. 16.

31- Ibid, P. 21.

32- Richard Flacks: Op. Cit., P. 31.

33- T. Parsons & G.M. Platt: Op. Cit., P. 25.

34- S.N. Eisenstadt : Op. Cit., P, 113.

35- Ibid, P. XVII.

36- Ibid, P. 117.

37- Richard Flacks: Op. Cit., P. 36.

38- Ibid, P. 39.

39-Zolberg A. : Youth as a Political Phanomenon in Tropical Africa, Youth and Socity Vol. 2 N.I. 1969, PP 199-219.

40- Richard Flacks: Op. Cit., P. 42.

41- Ibid, P. 44.

42- T. Parsons & G Platt : Op. Cit., P. 22.

٤٢- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين مرجع سابق ص ٥٩ .

44- A. Zolberg : Op. Cit., P. 208.

45- Ibid, P. 217.

46- Richard Flacks: Op. Cit., P. 16.

47- Anthony M. Orum : Op. Cit., P. 117.

48 - Richard Flacks: Op. Cit., P. 18.

49- S.N. Eisenstadt : Op, Cit., P, XXXI.

50- A. Zolberg : Op. Cit., P. 203.

51- Ibid, P. 212

52- S.N. Eisenstadt : Op, Cit., P, 119.

53- Ibid, P. 120

54- Ibid, P. 121

55- Richard Flacks: Op. Cit., P. 11.

56- Ibid, P. 12.

٥٧- على ليلة : الشباب والمجتمع، ملامح الإنفصال والاتصال، مرجع سابق، ص ١٧١ .

58- Richard Flacks: Op. Cit., PP. 12-13.

59- S.N. Eisenstadt : Op, Cit., P, XXIII.

60- Ibid, P. XXI.

61- E. Erikson : Op. Cit., P. 72.

62- Rchard Flacks: Op. Cit., PP. 43-44.

63- Ibid, P. 44.

64 - Jansen, G.H. : Militant Islam, Haper & Row Publishers. New York. 1979, P. 128.

65- Flacks, Richard : Social and Cultural Meaning of Studant Social Problems. Vol. 7. wenter 1970 pp. 340-357.

66- Ibid, P. 345.

٦٧- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين، مرجع سابق، ٥٦ .

٦٨- على ليلة : الشباب والمجتمع، ملامح الإنفصال والانصال، مرجع سابق، ص١٨٣ .

٦٩- نفس المرجع، ص ١٨٤ .

٧٠- نفس المرجع، ص ١٨٤ .

٧١- نفس المرجع ، ص ١٨٢ .

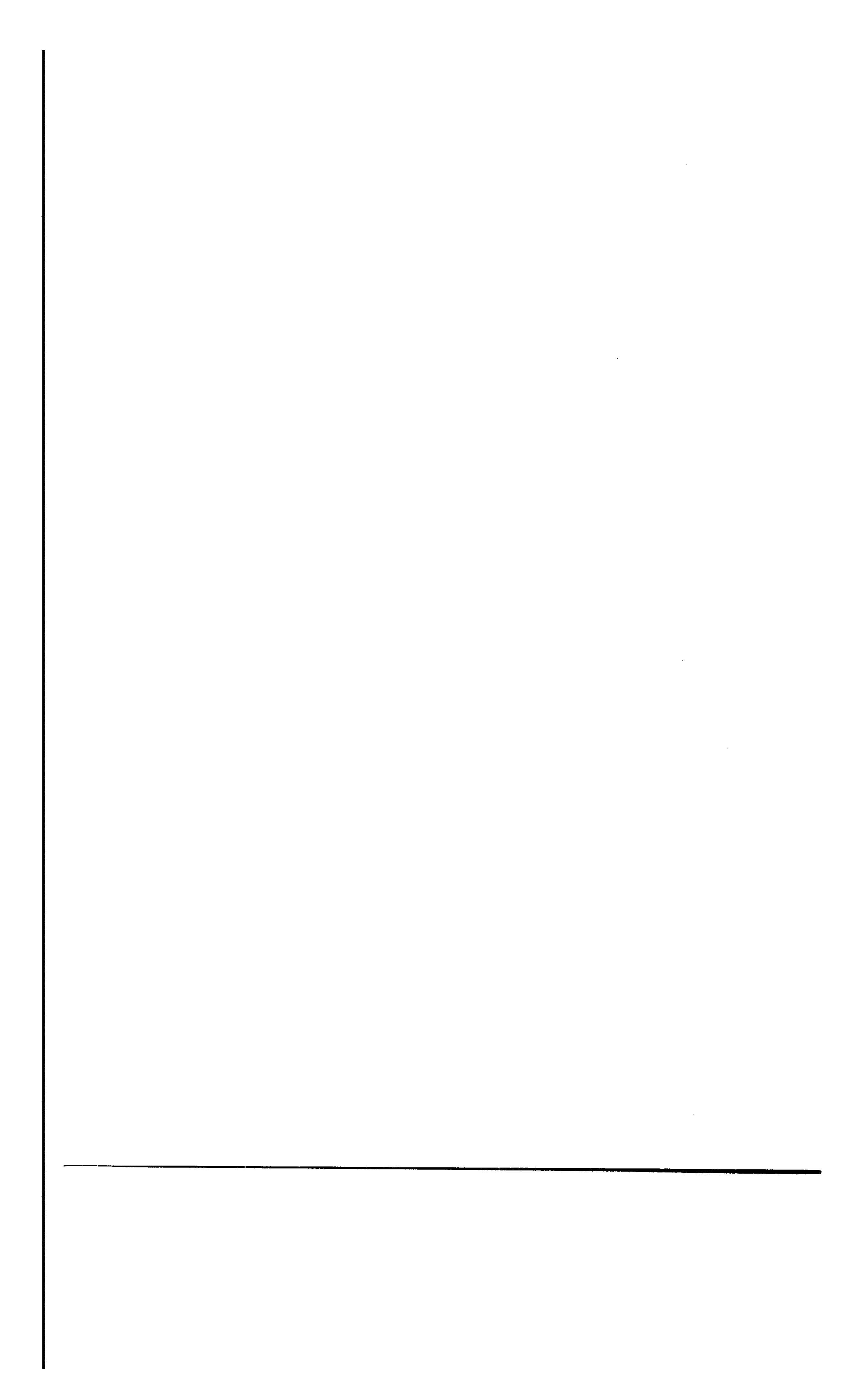
٧٢- نفس المرجع، ص ١٨٢ .

٧٤- نفس المرجع، ص ١٨٣ .

٧٥- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياه، وجهة نظر المثقفين المصريين، مرجع سابق، ص ٥٧ .

الفصل الثالث
مقومات الشخصية الشابة وخصائصها

المحتويات.



(لاعب ابنك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم أترك له الحبل على الغارب)

صدق رسول الله ﷺ

أولاً: مقدمة حول طبيعة الشخصيات الشابة:

لا تختلف بنية الشخصية عن شخصية البالغين من حيث النوع بقدر اختلافها من حيث درجة الصياغة النظامية النظمية، واكتمال عملية التنشئة الاجتماعية التى خضعت لها الشخصية. من هنا نستطيع القول بأنه إذا كانت شخصية البالغ تمثل حالة الإستقرار والثبات البنائى لبناء الشخصية الإنسانية، فإن الشخصية الشابة تمثل الحالة أو المرحلة الدينامية لهذا البناء. وإذا كان الثبات هو القاعدة بالنسبة لشخصية البالغ وأن الحركة هى الاستثناء، فإننا نجد أن الدينامية وحالة عدم التشكل هى القاعدة بالنسبة للشباب، وإن الاستقرار أو السكون حالة مرضية أو أستثنائية يبغى لبحث فى أسبابا. وإذا كانت الشخصية تشكل بناء متكاملاً يتكون من مجموعة العناصر أو المقومات الأساسية، فإننا نرى أنه خلال مرحلة الشباب نجد أن هذه العناصر تتفاعل تفاعلاً مزدوجاً بحثاً عن الاكتمال الذى تحققه فى مرحلة الشخصية البالغة التى تُجاوزت مرحلة الشباب، ويحدث هذا التفاعل عادة فى اتجاهين، اتجاه العناصر إلى تجاوز هويتها أو كينونتها الحالية بحثاً عن وضع أكثر أكتمالاً فى المستقبل، ذلك على المستوى الثقافى والاجتماعى والبيولوجى. أما الثانى فيتمثل فى التفاعل الذى يتأسس بين عناصر أو مقومات الشخصية وبعضها البعض، بحيث تحاول من خلال هذا التفاعل الأفقى تبادل التأثر والتأثير بالقدر الذى يستهدف الوصول إلى خلق الشخصية المتوازنة. بالإضافة إلى ذلك هناك اتجاه ثالث ينتج عن اتجاهى التفاعل السابقتين، وهو التفاعل الذى يتم فى معية زمنية واحدة على

مستوى رأسى فيما يتعلق بالعنصر الواحد، بين الحاضر والمستقبل، بحيث يتفاعل ذلك فى ذات الوقت مع التفاعل الذى يحدث بين مختلف عناصر أو مقومات الشخصية فى قلب الحاضر.

ومن الطبيعى أن تؤدى العناصر المكونة للشخصية والتفاعل بينها إلى تخلق مجموعة من الخصائص المستندة إليها والتى تميز الشخصية الشابة، ومنطقى أن يؤدى إسهام العناصر والتفاعل بينها وثبات هذا الاسهام إلى ثبات ملامح الشخصية. حقيقة أن هناك أنماطاً فرعية للشخصية الشابة تفترق عن النموذج المثالى لها فى بعض الخصائص أن سلباً أو إيجاباً، غير أن القواسم المشتركة بين الأنماط الفرعية تشكل فى العادة جوهر النموذج العام.

إضافة إلى ذلك يؤدى التفاعل المتوازن بين هذه العناصر بالنظر إلى السياق الاجتماعى من ناحية، وكذلك بالنظر إلى المرحلة العمرية التى تمر بها الشخصية الشابة من ناحية أخرى إلى تخلق مشكلات فى بنية الشخصية الشابة ذاتها، أو تتصل بالعقاة بين هذه الشخصية وبناء المجتمع، ويؤدى تراكم المشكلات إلى ضعف الرابطة العضوية التى تربط الشباب بالمجتمع، قد يكون الشباب هم أصحاب المسئولية فى ذلك،وقد يرجع الأمر فى النهاية إلى الطبيعة المنهارة للسياق الاجتماعى.

ثانياً : مكونات الشخصية الشابة :

الحديث عن مكونات الشخصية الشابة هو حديث تجريدى بالأساس يحال من خلال التأمل المتعسف فصل العناصر المكونة للشخصية الشابة للبحث فى طبيعتها وإسهاماتها النسبية فى بناء الشخصية، التى تعتبر نتاجاً لتفاعل هذه العناصر أو المكونات التى نعرض لها فى الفقرات التالية:

١- ويعتبر المكون البيولوجى أول هذه العناصر، حيث نجد أنه يشكل أكثر المقومات أساسية بالنسبة لبناء الشخصية. ونقصد به البنية العضوية

والفيزيقية التى تجعل الفرد كائناً عضوياً حياً. ومن حى مكوناته البيولوجية فأولاً يختلف الإنسان عن أى كائن حى آخر، حيث تلعب الوراثة البيولوجية دوراً أساسياً فى نقل التكوين البيولوجي من جيل إلى آخر بيد أن الإختلاف الوحيد يكمن فى إمتلاك التكوين البيولوجى للإنسان القدرة على التفاعل مع البيئة المحيطة، وهو ما يعجز عنه الحيوان، ففى أعقاب الولادة البيولوجية للإنسان يبدأ دور الوراثة فى التقلص فى مقابل زيادة تأثير وطأة البيئة وفاعليتها. وتبدأ العناصر الخارجية الأخرى الصادرة عن البيئة الايكولوجية والاجتماعية والثقافية فى تأكيد فاعليتها حتى أنها لتغلب أحياناً على التكوين البيولوجى ذاته. بذلك يمكن القول أنه إذا كان الحيوان ابن سلالته ونوعه فإن الإنسان ابن مجتمعه وثقافته.

وفى هذا الاطار نستطيع أن نقسم حياة الإنسان بيولوجيا إلى أربعة مراحل. مرحلة الصغر والنشأة حيث الإنسان مولود بمجموعة من الدوافع والاحتياجات والغرائز الاستعدادات البيولوجية التى يسعى الكائن الحى لإشباعها وأعمالها. وأثناء عملية الإشباع هذه يقوى الكائن الحى بيولوجياً حيث يحقق درجة أكثر من الاكتمال للأعضاء الأساسية واتجاهاً من حالة التجانس إلى التخصص الوظيفى لهذه الأعضاء. وفى المرحلة الثانية، وهى مرحلة الشباب نجد أن أعضاء الكائن الحى قد بلغت أوج نضجها، حيث الجسم قوى والعضلات مفتولة والغرائز قوية، ومن ثم البحث عن اشباع أمثل. ومن الملاحظ أنه خلال هذه المرحلة تحدث عدة تغيرات فى شكل الجسم، وفى الصوت، وفى الطاقة التى يتمتع بها الإنسان، غير أنه برغم هذه الحيوية والاكتمال البيولوجى المتدفق، نجد أن الاكتمال الاجتماعى والثقافى لا يكن قد تحقق بعد. ومن ثم تعيش الشخصية الشابة عادة حالة من القلق، أو عدم الإشباع، ومن ثم عدم التوازن البيولوجى. هذا فى حين تمثل مرحلة الرجولة مرحلة شباب التكوين البيولوجى الذى اكتمل فى مرحلة الشباب، فى حين تمثل مرحلة الشيخوخة حالة الإنهيار بالنسبة لهذا البغاء البيولوجى(١).

ذلك يعنى أن مرحلة الشباب هى أكثر المراحل حساسية وقلقاً وديناميـة من الناحية البيولوجية.

٢- ويعـتبـر الجـانب أو المكون الثقـافى من المكونات الهـامـة فى بناء الشخصية. ومثلما نجد أن المكون البيولوجى مشتق من البناء العضوى وما تحت العضوى، فإننا نجد أن المكون الثقافى مشتق هو الآخر من بناء الثقافة والقيم، بحيث يتم استيعابه داخل بناء الشخصية من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية ووسائلها العديدة، ويكتشف تحليل بناء الثقافة والقيم داخل بناء الشخصية عن تضمنه لثلاثة عناصر، العنصر الأول هو العنصر الإدراكى ويحتوى بداخله على مجموعة المعارف الموضوعية والدقيقة والتى بالنظر إليها تدرك الشخصية واقعها المحيط. أما العنصر الثانى فيتمثل فى العنصر التقديمى ويحتوى بداخله على مجموعة المعايير والقيم التى تفاضل الشخصية إستناداً إليها بين البدائل المختلفة لإشباع الحاجات الأساسية للشخصية. أما العنصر الثالث فهو العنصر الوجدانى، وهو العنصر الذى يرتبط الشخص من خلاله عاطفياً أو مشاعرياً بموضوعات محددة للاشباع. وفيما يتعلق بمكانة مفهوم الثقافة والقيم فى بناء الشخصية فإننا نطرح ثلاثة ملاحظات، الأولى انتقال أو تدرج فاعلية مؤسسات التنشئة من البسيط إلى المركب، ومن المتفرد إلى المتعدد. بمعنى أنه إذا كانت الأسرة هى مؤسسة التنشئة فى الصغر، فإننا نجد أن المدرسة تضاف إليها بعد فترة، ثم جماعة الأصدقاء، ثم نجد فى النهاية أن عدة مؤسسات هى التى تتولى عملية التنشئة حينما يصبح الإنسان شاباً. أما الملاحظة الثانية فتتمثل فى تباين مضامين التنشئة الاجتماعية والثقافية، فمن المؤكد أنه وإن كان هناك قدر من التداخل والتكامل إلا أن هناك نوعاً من التخصص فيما يتعلق بمضامين التنشئة، فالمعايير التى تغرسها الأسرة تختلف نوعياً عن المعايير التى تتولى المدرسة غرسها، وتختلف هذه بدورها عن المعايير أو القيم التى تعمل مؤسسة العمل على تنشئة الشباب العامل عليها. أما الملاحظة الثالثة فتتمثل

فى تدرج وزارة ومكانة عناصر الثقافة والقيم ارتباطاً بتقدم الشخصية الفردية نحو النضج، فإذا كان العنصر الوجدانى هو الذى يسبق أولاً فى الصغر، فإن العنصر الإدراكى يبدأ بعد مرحلة من تحرك الشخصية نحو النضج، ثم يبدأ العنصر التقديمى فى الظهور بعد ذلك داخل بناء الشخصية. غير أن هذه العناصر لا يأتى كل منها بعد الآخر، ولكنها قد تتواجد داخل المكون الثقافى للشخصية ولكن بأوزان متباينة بالنظر إلى بعضها البعض.

ونظراً لأن الثقافة من حيث القيم والمعايير هى التى توجه سلوك الفرد فى المجال الاجتماعى، فإننا نجد أن الشخصية الشابة لا تكون قد أستوعبت المكونات الثقافية بالقدر الذى ييسر لها توجيه سلوكياتها بصورة عقلانية ورشيدة داخل المجال الاجتماعى، ومن ثم نجدها تتبع أحياناً منطق التجربة، المحاولة والخطأ، فى تأسيس العلاقة بين سلوكيات معينة وقيم ثقافية بعينها. وقد تخطئ حينما توجه سلوكياتها بمكونات ثقافية غير ملائمة عشوائية لأنها لم تستوعب القيم التى توجه السلوك فى مجال اجتماعى بعينه. هذا بالإضافة إلى أن التزام الشباب بالقيم والمعايير الثقافية يكون حتى هذه المرحلة من العمر ضعيفاً واهياً، وذلك لأن الشاب يكون فى مرحلة التعرف والتعريف بها لكنه لم يعمل فى الواقع، ومن ثم لم يتفاعل بشأنها، وهو التفاعل الذى يتيح له الاستيعاب المفصل والعميق لها. ومن ثم نجد أن الشباب يمتلكون خلال هذه المرحلة نوعاً من المرونة الثقافية أو القيمية، فهم فى حالة تجريب وتغيير وتعديل دائم لكل ما استوعبوه من قيم أتت إليهم من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية. وفى هذا الإطار فقد يرفض الشباب القيم التى استوعبها عن أجيال الشيوخ لأنها غير ملائمة للمواقف الاجتماعية التى يتفاعلون فى اطارها، أو أنها لا تعبر عن رؤيتهم المخالفة لتفاعلات الموقف والسلوكيات التى ينبغى تأسيسها فى هذا الإطار، أو أنهم قد يعتنقوا قيماً ومعاييراً منحرفة لأنها أكثر توفيراً للإشباع بالنسبة لحاجاتهم الأساسية مما لو وجهت سلوكياتهم بالقيم السوية، بل إنهم خلال هذه المرحلة قد يعتنقوا قيماً

مضادة لقيم المجتمع تماماً، لأنهم يدركوا أن منظومة القيم التى يسلم بها المجتمع ويتفق عليها لا تقدم لهم إشباعاً حالياً أو محتملاً، ومن ثم فقد ينضموا إلى سياقات اجتماعية تمتلك قيماً وثقافة توفر لهم هذا الاشباع بالكيفية والمستوى الملائم.

ونتيجة لذلك نجد أن المكون الثقافى غالباً ما يكون مكونا مرناً، يتسم بالتنوع وعدم الثبات، بل وعدم تعمق جذورها فى بنية الشخصية الشابة. ومن ثم فالتزام الشباب بهذا المكون الثقافى عادة ما يكون ضعيفاً. مؤشر ذلك أنهم قد يحاولون تجديد القيم التى استوعبوها، أو البحث عن بدائل لها، أو رفض هيئتها المعاصرة والهروب بعيداً عن المجتمع، بحثاً عن هذه القيم ذاتها فى مراجعها النقية والصحيحة.

٣- ويتمثل المكون الثالث فى المكون الاجتماعى فى بناء الشخصية الشابة. ويتحدد مضمون هذا المكون بمجموعة الممارسات التى تتولى إعداد أو تأهيل الشباب للتعامل مع العناصر الاجتماعية الأخرى داخل بنية المجتمع، أو التى تجيز قدرته على التعامل من خلال تعيين مكانته ودوره الاجتماعى. وإذا كانت العلاقة الاجتماعية هى أبسط أشكال التفاعل الاجتماعى بين الأشخاص فى المجتمع، فإننا نجد أن هذه العلاقات تتأسس بصورة سوية واجتماعية إذا حدث تكامل بين توقعات الأنا واستجابة الآخر لهذه التوقعات، ومن خلال هذا التآزر تنشأ الجماعة والتجمع، والنظام، والنسق والبناء الاجتماعى.

ويتحدد اكتمال المكون الاجتماعى باحتلال الفرد لمكانة محددة داخل بناء المجتمع، وأداء الشخص لدور محدد إنطلاقاً من هذه المكانة. ومن خلال ترتيب المكانات بالنظر إلى بعضها البعض يتجلى الوجه الثابت لبناء النظام، أما تفاعل الأدوار المختلفة فيعكس جانبه الدينامى. فإذا نظرنا إلى الشباب إنطلاقاً من ذلك فإننا نجد أنهم يحتلون مجموعة المكانات التى لم تكتمل أدوارها بعد. فمعظم الشباب يعيشون فى اطار النظام التعليمى أياً كانت

طبيعته، ومن ثم فأدوارهم من نوع الأدوار التابعة غير المستقلة. وذلك لأنهم مازالوا يؤهلون لأداء أدوار كاملة. وإذا كان من طبيعة بناء أدوار الشيوخ أن ميكانيزمات الثواب والعقاب فيه محددة وواضحة وصارمة، فإن أدوار الشباب تتميز بامتلاك قدر كبير من الحرية التى قد تصل أحياناً إلى حد الخروج على متطلبات هذه الأدوار ذاتها. وهو الوضع الذى ندركه اصطلاحياً باعتبارها أدواراً ناقصة من حيث الصياغة النظامية، أو أنها أدواراً لم تستقر بعد، وهو الأمر الذى يجعل هذا المكون غير مكتمل أيضاً فى بناء الشخصية الشابة.

٤- استخلاصاً مما سبق فإننا نجد أنه إذا تضمنت الشخصية هذه المكونات الثلاث بصورة مكتملة، فإن الشخصية حينئذ تكون فى أكثر مستوياتها مثالية وإكتمالاً بيد أن نقص هذا الاكتمال فى أى من مقومات الشخصية أو فيها جميعاً قد يدفع إلى الاحساس العميق بالقلق والتوتر، الذى يظهر عادة فى الفجوة بين الاكتمال الناقص وبين الاكتمال المحتمل أو الذى ينبغى أن يكون فى هذه الفجوة قد يحدث التمزق الشبابى، قد يعانى الشباب من أزمة الهوية، قد يرفضون الماضى والحاضر لأن به نقصهم وتبعيتهم، وقد يتشوقون إلى المستقبل لأن به اكتمالهم. ومن خلال هذا التفاعل الدرامى تبرز خصائص الشخصية الشابة التى نعرض لبعضها فيما يلى:

ثالثاً: خصائص الشخصية الشابة:

عرضنا فى الفصل السابق إلى كون الشباب يشكلون شريحة عمرية محددة بيولوجياً ونفسياً واجتماعياً. ومن خلال هذا التحديد نجدها تتميز ببعض الخصائص التى تجعلها تختلف فى طبيعتها عن مراحل الشخصية السابقة واللاحقة لمرحلة الشباب، ونعرض فيما يلى لأكثر هذه الخصائص أهمية وبروزاً(٤).

---

(٤) [illegible]

(أ) يعتبر التحدد بفترة عمرية محددة من أهم الخصائص التى تميز الشخصية الشابة. وتتحدد هذه الفترة بالمدة الكائنة بين اكتمال النضج الفسيولوجى وبداية التأهيل أو النضج الاجتماعى. وهو النضج الذى يتحقق باحتلال الشباب لمكانة اجتماعية محددة يؤدى من خلالها دوراً أو أدواراً ترتبط بهذه المكانة(٢). وبرغم تميز هذه الفئة العمرية بعديد من الصفات والقدرات الاجتماعية المتميزة فإن مناقشة هذه الخاصية ينبغى أن تتم فى ضوء ثلاثة قضايا أساسية.

أول هذه القضايا أننا إذا كنا نحدد فى مصر والعالم العربى هذه الفترة من ١٦–٣٠ سنة، فإن التحديد الزمنى لنقطتى البداية والنهاية يختلف من مجتمع إلى آخر، حسب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة فى كل مجتمع. هذا إلى جانب أن التحديد العمرى للفئة الشبابية لا ينبغى أن ينفصل عن تحديد المراحل الأخرى التى يمر بها الإنسان.

وتذهب القضية الثانية إلى أن تحديد الشباب بمرحلة عمرية معينة يفرض الاهتمام بالمسألة الجيلية. فى ضوء ذلك يتميز الشباب عادة بأن لديهم نزعة إلى الإستقلال، ومحاولة للتخلص من الضغوط وألوان القهر المتسلطة عليهم من أجل توفير حيرة التعبير عن الذات. ونتيجة لهذه النزعة إلى الاستقلال والاعتماد على الذات، يتميز الشباب بأنهم أكثر راديكالية وأقل إمتثالاً للسلطة المفروضة عليهم.

وتشير القضية الثالثة إلى اعتبار مرحلة الشباب مرحلة مؤقتة بطبيعتها، فسنوات الشباب معدودة فى عمر الإنسان، ومن شأن ذلك أن يكون له نتائج هامة وواضحة. فقد تحدث فجوة بين الأجيال، لكن من الخطأ القول بأن الفجوة بين الأجيال قد تؤدى إلى ظهور توجهات سياسية جديدة، أو القول باحتمالية ظهور حزب سياسى يعبر عن الشباب فى مقابل حزب آخر يعبر عن الفئة الأكبر سناً. ذلك يعنى أن مرحلة الشباب تعتبر مرحلة مؤقتة بطبيعتها، بحيث لا تشكل فى ذاتها ظرفاً كافياً لتشكيل حركة سياسية دائمة.

وتوحد شواهد عديدة تشير إلى أن عدم ارتباط الأفراد بالتنظيمات السياسي المستقرة فى بعض الدول قد يتخذ شكل التعاطف مع الحركات والأحزاب السياسية الجديدة المستندة إلى الروابط العرقية اللغوية والثقافية، وذلك من خلال أحياء نزعات قومية مختلفة كما هو الحال بالنسبة للزنوج الأمريكيين، والناطقين بالفرنسية فى كندا. ومن الطبيعى أن تكون الروابط بين ذوى القومية الواحدة أقوى من تلك الروابط التى توجد بين ذوى الجيل الواحد(٣).

ذلك يعنى أنه يمكن النظر إلى الممارسة السياسية الشبابية، باعتبارها الجذور الحقيقية للتوجهات السياسية والأيديولوجية للإنسان السياسى، إحدى عمليات التنشئة أو التطبيع السياسى. حيث تتعمق فى اطارها فى المستقبل، ومن ثم نجدها تشكل الإطار الذى تعرض فى نطاقه كافة التوجيهات السياسية للاختيار فيما بينها وبعد حسم الاختيار فإنه يتميز بدوامة بقية سنوات العمر.

٢- وتتمثل الخاصية الثانية فى أن فترة الشباب تتميز عادة بالدينامية لسببين، الأول يرجع إلى أن فترة الشباب عادة ما تكون هى الفترة الكائنة بين مرحلتى الاعداد والقيام بدور فعال فى بناء المجتمع. وذلك فغالبا ما تتميز ملامح الشخصية فى هذه المرحلة بالغموض، لأنها مازات فى مرحلة التشكل. وهذا هو السبب فى امتلاء هذه المرحلة بتفاعلات متوترة وقلقة، لأنها تسعى وراء الأستقلال وشغل الدور بعد انتهاء الاكتمال والتدريب وممارسته. أما السبب الثانى لدينامية هذه المرحلة فيرجع لطبيعة التكوين البيولوجى والفسيولوجى والوضع الاجتماعى للشخصية الشابة. إذ نجدها تكون عادة حساسة لكل ما هو جديد لأنها لم تستقر بعد. ذلك من شأنه أن يجعلها فى شوق دائم للتغير وهو ما يطلق عليه فى ظروف تاريخية معينة، بالحاجة الدائمة إلى الثورة.

٣- وتشكل القابلية لتشكل الخاصية الثالثة للشخصية الشابة. ويتضح ذلك إذا حددنا مكونات الشخصية الإنسانية من خلال أربعة عناصر رئيسية.

العنصر البيولوجي الذي تولد به الشخصية الإنسانية، والعنصر السيكولوجي الذي يكون عادة نتاجاً لتفاعل العنصر البيولوجي بما هو خارج عن نطاق الشخصية الإنسانية حول محول أساسي يتمثل في اشباع الحاجات البيولوجية والعنصر الاجتماعي الذي يشير إلى طبيعة المكانة التي يحتلها الشاب وأيضاً طبيعة الأدوار الاجتماعية التي يؤديها في المجال الاجتماعي والتي تشير إلى أعمال الطاقة الشابة في المال الاجتماعي. والعنصر الأيديولوجي أو الثقافي وهو العنصر الذي يشير إلى امتلاك الشخصية لمجموعة من التوجيهات الأساسية التي تحكم سلوكها في المجال الاجتماعي(٤).

في اطار ذلك نجد أن عملية التشكيل تسير حسب عدة مستويات رئيسية. أولها أن الشخصية لها على كل عنصر من هذه العناصر عدة حاجات أساسية تتطلب الإشباع. ومن ثم فتحقق الاشباع أو الحرمان منه سوف يكون له تأثيره على بنية الشخصية وطبيعة سلوكها المستقبلي. والثاني أن تتاح التفاعل بين العناصر المشكلة للشخصية الشابة هو الذي سوف يكون له تأثيره على طبيعة علاقة الشخصية الشابة بعالمها الخارجي، والثالث أنه بالنسبة للعنصرين الاجتماعي والأيديولوجي، نجد أن الشخصية الشابة تجري اختياراً بشأنهما بين بدائل عديدة. فمن الناحية الاجتماعية يمارس الشاب المهنة ورفيق الزواج، وطبيعة الحياة والسلوكيات الاجتماعية. ومن الناحية الأيديولوجية نجد أن الشخصية الشابة تمارس اختيار بين أي من الأيديولوجيات المطروحة على الساحة السياسية.

غير أن القضية الرئيسية في هذا الصدد تتمثل في أن تفاعل هذه الأبعاد الأربعة يؤدي عادة إلى إنتاج أنماط أو أشكال عديدة للشخصية، التي تظل بقية حياتها محكومة بطبيعة الامتزاج والتفاعل الذي تم بين مختلف العناصر. هذا إلى جانب أن عملية التشكل هذه تكون في الغالب خاضعة لخاصية الانجذاب نحو المواقف المتطرفة. فالشخص المحروم بيولوجيا وسيكولوجيا واجتماعيا قد يميل إلى تبني أيديولوجيات متطرفة. وكذلك قد

تنتمى الشخصية الشابة ذات التوجه الأيديولوجى اليسارى إلى الطبقة العاملة أو الشريحة الدنيا للطبقة الوسطى. غير أن ذلك لا يمنع أن يكون لها أحيانا انتماؤها للطبقات العليا وتتمثل السمة الرئيسية المرتبطة بهذه الخاصية فى أن هذه المرحلة تسودها عادة مشكلات التشكيل، كالقلق والتوتر والانفعال والخوف وعدم التحدد، وكلها مظاهر تشير إلى الثراء الانفعالى الذى تتمتع به هذه الشريحة خلال مرحلة التشكل هذه.

٤- ويشكل انتشار مشاعر القلق والتوتر الخاصية الرابعة للشخصية الشابة. ويرجع ذلك لعوامل عديدة، أولها قلق الشباب وتوتره الذى يرجع لطبيعة المرحلة التى يتخطاها بين الاعداد للدور والقيام به. وما يصاحب ذلك من اختيارات قد تفرض عليه ولا تلائمه، أو يطلبها وقد لا تواتيه. العامل الثانى فى الهوة الكائنة بين النضج الفسيولوجى والنضج الاجتماعى أساس الأهلية للانتماء الاجتماعى. بمعنى أنه فى فترات سابقة كان الإتساع بمجرد أن ينضج فسيولوجياً، يمارس دوره الاجتماعى، وبالتالى لا توجد هوة، ومن ثم يكون هناك تمزق، لأن المشكلة تحل عادة بمجرد حدوث النضج الفسيولوجى للرجل أو المرأة. أما فى المجتمع الحديث فالوضع يختلف، وذلك لأن حجم المعلومات التى تتيح الانتماء الاجتماعى للشباب ضخمة، ومن ثم فإن فترة الإعداد والتكوين تطول، ومن هنا تتخلق الفجوة بين نضجه الفسيولوجى واتراف المجتمع به مواطن مستقل، وله دور اجتماعى يؤديه دون مشاكل، وهذا يفسر لنا لماذا توجد أزمة الشباب فى شريحة معينة هى الشريحة المثقفة أو البرجوازية. الشاهد على ذلك أن أحداث ١٩٦٨ وما بعدها فى جميع أنحاء العالم، فجرها الشباب المثقف أساساً. أما العامل الثالث الذى يؤكد خاصية القلق لهذه الفئة العمرية فيتمثل فى أن الشباب على خلاف الشيوخ (أرق أفئدة)، فهم حساسون، سريعوا الاستجابة بالرفض لأن روابطهم ضعيفة بالأوضاع القائمة. وهم فى ذلك على خلاف الشيوخ الذين ألفوا الأوضاع السائدة، ومن ثم يصعب عليهم

رفضها أو الخروج عليها. بل ينصب رفض الشيوخ فى الغالب على المتغيرات التى تستجد على أوضاع ألفوها، وهم فى ذلك على عكس الشباب تماماً الذين دأبوا على رفض التغيرات المستقرة والمألوفة.

٥- وتشكل الطبيعة التجديدية الخاصية الخامسة التى تتصف بها الشخصية الشابة. فهم غالباً المجددون فى التاريخ ونتفق فى ذلك مع ترفور باتمان Pattman الذى أكد على دور الشباب المثقف كقوة كاسحة ومبادرة لتجديد المجتمع. ليس جديداً علينا أن نتذكر أن ماركس ولينين وفيدل كاسترو كانوا قبل كل شىء من ضمن المثقفين الشباب وليس العمال اليدويين(٥).

ذلك يخلق إحساساً يتعلق بالموقف الدينامى للشباب عبر التاريخ. وفى هذا الصدد نجدهم – أى الشباب – يواجهون بمشكلتين. الأولى اهتمامهم بقضية المستقبل فى اطار تفاعلهم مع الشيوخ. فإذا كان الماضى والحاضر هو نطاق الشيوخ ومحط تجسيد آمالهم، فإن المستقبل هو محط أنظار وآمال الشباب. غير أن المستقبل تتحدد ملامحة فى الحاضر، من هنا يصبح الخلاف حاداً حول بعض الممارسات التي يؤسسها الشيوخ، التى تمس بالأساس المستقبل الشبابى. وهنا يصبح الشباب قلقاً بشأن المستقبل، وما قد يرثه من أوضاع الحاضر وإنحرافاته بإعتبار كونها متغيرات مؤثرة على المستقبل.. بحيث يتجسد ذلك فى تساؤلين رئيسيين، من الذى له حق صناعة المستقبل؟ أو بالأصح إلى أين نحن ذاهبون؟. ذلك بفرض تأكيداً على ضرورة المشاركة الإيجابية الفعالة فى صياغة الحاضر من قبل الشباب، لأن فى صياغة الحاضر تحديداً لملامح المستقبل ولأن المشاركة فى الحاضر ضماناً من ألا ينفرد الشيوخ بصياغة المستقبل.

بيد أنه قد تثور فى هذا المجال قضية خلافية،هل حقاً لدى كل الشباب إيمان بالمستقبل؟ هل هذا الإيمان متجانس فى ملامحه بين مختلف الفئات الشبابية؟ ما نلاحظه اختلاف تصور المستقبل بين مختلف الفئات الشبابية.

فالمستقبل الذى قد يتصوره الفلاحين يختلف عن المستقبل الذى قد يتصوره العمال أو الذى يتصوره المثقفون الطلبة(٦). غير أننا قد لا نتفق مع ذلك، لأن المواقع الطبقية أو الفئوية مواقع تستند بالأساس إلى المصالح الأنانية،وهى مشاعر تتناقض مع رومانسية الشباب ومثاليته وطهارته. الأوقع أن يمتلك الشباب تصوراً مستقبلياً واحداً، غير أنه إذا كانت ثمة خلافات فإنها تدور حول مدى إدراك تفاصيل المستقبل. وذلك يتوقف على حجم الاستيعاب الثقافى للشباب ووعيه، إضافة إلى أن الارتباط بالمستقبل يستند إلى مدى تفكك الروابط مع الحاضر.

وتتعلق القضية الثانية بموقف الشباب من المستقبل. حيث يقف الشباب – على ما يذهب راندولف بورن Bourme فى مقاله عن الشباب والحياةYouth and Life– موقف وجودياً قلقاً، يعبر فى اطاره عن إحساسه بزيادة التناقض بين الاحتمالات المتجددة للسعادة الإنسانية من ناحية، وبين التهديد بالحروب التدميرية من ناحية أخرى. ويبدو هذا التناقض أوضح ما يكون الآن، ذلك أن إنجازتنا التكنولوجيا قد تخلق عن اليوتوبيا طابعها الخيالى كما أشار هربرت ماركيوز إلى ذلك، فى الوقت الذى تجعل فيه الدمار الشامل أمراً ممكناً. وقد عبر الشباب من خلال الحركة الطلابية عن إحساسهم العميق بهذا التناقض، بحيث بدا ذلك واضحاً تماماً فى شعاراتهم التى تطالب (بممارسة الحب لا شن الحرب)(٧).

خلاصة القول أن لدى الشباب اهتمام ضرورى بالمستقبل لأن مصالحهم فى إطاره، ومن ثم يتبدى قلقهم بشأن ما قد يؤثر فى الحاضر على المستقبل، أو بشأن عناصر الحاضر المتناقضة والتى قد تؤدى إلى تدمير المستقبل.

٦– أن لدى الشباب إيماناً كاملاً بالتغير، وهو الأمر الذى يعد سمة أساسية فى البنية الشبابية. وإذا كان هيجل قد قال بجدل الأفكار المتعالى، وإذا كان ماركس قد قال بجدال التفاعل المادى، فإننا يمكننا أن نتحدث قياساً عن مقولة جدل البشر عبر حركة التاريخ. هذا الجدل الذى يشكل الشباب

عنصر الدينامية فى اطاره. فإذا قلنا أن لدى الشباب اهتماماً بالتغيير، فإن السؤال الذى قد يثور، وما هى الشواهد الدالة على ذلك؟ فى اطار ذلك نذكر عدة شواهد، الشاهد الأول يتمثل فى وجود ميل قوى لدى الشريحة الشبابية لتجاوز الواقع المحيط دائماً بالنظر إلى مثال يتمسك به أعضاؤها. فهى تميل إلى تجاوز ما هو كائن إنطلاقاً إلى ما ينبغى أن يكون. من هنا يصبح إيمان الشباب بالتغير ظاهرة موضوعية ومطلوبة، يدعم ذلك أنهم أقل ارتباطاً بالواقع القائم وأكثر إمكانية على استيعاب المتغيرات المتجددة(٨). أما الشاهد الثانى فيشير إلى ما هو كائن هو ناقص من وجهة نظرهم. وقد يصبح النقص أكثر وضوحاً حينما يتعايش مع ذلك تفككاً واضحاً للسلطة التقليدية فى المجتمع تحت وطأة التحديث، ومن ثم تصبح البيئة التقليدية غير ملائمة، ومن شأن ذلك أن يفرض الانتقال إلى بنية جديدة. غير أن ذلك أن صدق فى المجتمعات الزراعية أو اليدوية، فإنه قد لا يصدق بنفس القدر على المجتمعات المتقدمة التى تسودها بنية حديثة وثقافة حديثة أيضاً. غير أننا قد نؤكد فى هذه الحالة على دور الشباب فى مقاومة السلطة التقليدية للكبار، بإعتبار أن تفكيك سلطة الكبار يعد عاملاً أساسياً فى إحداث التغير الاجتماعى(٩).

وبين الواقع الناقص أو التقليدى الذى يسيطر عليه الكبار من ناحية، وبين المثال الذى يؤمن به الشباب من ناحية أخرى، تظهر الشريحة الشبابية – خاصة الواعية – باعتبارها آلية التحول أو الإنتقال نحو ما ينبغى أن يكون. حيث تغيير الواقع حسب المثال تجسيداً للمستقبل، الذى هو المحصلة النهائية لذلك. ويعنى ذلك أن هناك قناعة أساسية ترى أن الشباب هم أكثر الفئات رغبة فى التجديد وتطلعاً إلى تقبل الحديث من الأفكار والتجارب، ولذلك فإنهم يمثلون مصدراً أساسياً من مصادر التغير فى المجتمع. على أنه من الضرورى أن تأخذ فى الاعتبار كيفية استيعاب النظام القائم لهذه الرغبة فى التجديد بين تناقضات أو صراعات حادة(١٠).

٧- وتشير الخاصية السابعة إلى وجود ثقافة شبابية تسود بين الشريحة الشبابية وبخاصة شباب الجامعات. بحيث ساعد على تخليق هذه الثقافة عدة عناصر ذات طبيعة عالمية، منهاتضخم حجم الشريحة الشبابية فى العالم، حيث نجد أن الهرم السكانى فى كثير من المجتمعات النامية والمتقدمة يميل لصالح الشباب. هذا بالإضافة إلى فاعلية عنصر التكنولوجيا فى بناء النظام العالمى، ومن ثم فى دعم تماسك ووحدة الشريحة الشبابية فى هذا النظام، من خلال أساليب الملبس (الجينز الأزرق) أو (موسيقى وأغانى الجاز عبر الراديو الترانزستور وشرائط الكاسيت). وأيضاً دور وسائل الاعلم والاتصال والمواصلات التى جعلت عالمنا واحداً[١١]. بل إننا نجد أن تكنولوجياً الاتصال خلقت إمكانية عالية لانتقال الأفكار والقيم من مجتمع إلى آخر. ومن شأن ذلك أن يجعل الشباب - بحكم قدرتهم على التجديد - أكثر قدرة على الاستيعاب والتواصل.

ويناقش عالم الاجتماع الفرنى ألان تورين Touraine واقعية وجود وعى طلابى وذلك بالنظر إلى توفر شرطين، ويتمثل الأول فى الادعاء بأن الحركة الطلابية هى حركة مستقلة لها أهدافها وآلياتها الخاصة. والثانى يتمثل فى تركيزها داخل مجتمع الجامعة ذاتها. هذا الوعى يشبه فى كثير من الوجوه (الوعى الطبقى) لدى البروليتاريا الصناعية خلال القرن التاسع عشر. وقد ذهب تورين إلى القول بوجود تماثل واضح بين الطلاب والعمال، فى الجامعات الفرنسية كبيرة الحجم - وفى جامعة نانتير Nanterre المعزولة اجتماعياً - حيث نجد أن الطلاب قد أصبحوا يشكلون جماعة متميزة تشبه فى بعض الوجوه العمال الصناعيين فى المصانع الرأسمالية المبكرة. فضلاً عن وجود تشابه بين المعتقدات التى يؤمن بها الطلبة الآن والتصورات اليوتوبية التى آمن بها الاشتراكيون الأوائل. ويواصل تورين وجهة نظره بقوله أن الجماعات فى كل الدول المتقدمة تكنولوجيا قد أصبحت إحدى (القوى الأساسية فى عملية الإنتاج) بحيث يمكن القول - فى ضوء هذا

التصور شبه الماركسي – أن الطلاب قد ورثوا الدور الذي كان ينبغي أن تلعبه البروليتاريا وباستطاعتنا أن نجد أفكاراً مماثلة – ولكن من منظور مختلف – لدى هربرت ماركيوز Marcuse الذي تأثر إلى حد كبير برايت ميلز في تأكيده أن الطبقة العاملة الصناعية – وخاصة في مجتمع الاستهلاك والوفرة كمجتمع الولايات المتحدة – قد فقدت رغبتها قدرتها على إحداث تغيرات راديكالية. وإن دورها الثوري القديم قد وقع الآن على كاهل المثقفين الشباب الذي يمثلون عموماً طلبة الجامعات. وفي مثال حديثة يحاول ماركيوز توضيح وجهة نظره قائلاً (أنه لا يعتقد بأن الحركة الطلابية المعاصرة تمثل قوة ثورية، ولكنها (أي الحركة) تعد عنصراً – داخل المجتمع الأمريكي – قد يتحول إلى قوة ثورية بالتحالف مع الجامعات المسحوقة وخاصة الزنوج(١٢).

هذا الوعي يستند إلى ثقافة يمكن أن نسميها بثقافة الشباب. وهي ثقافة تشير إلى مجموعة التوجيهات القيمية والأساليب السلوكية التي تتجسد في أنظمة علاقات اجتماعية وأنساق للاعتقاد، تتبلور حول حاجات الشباب ووضعهم في المجتمع وإحساسهم بمشكلاته. بحيث تضم هده الثقافة في مستوياتها الادراكية والتقويمية والوجدانية، أطرا قيمية وفكرية ومشاعرية لتوجيه السلوك الشبابي، في هذا الاطار يمكننا التأكيد على أن ثقافة أو وعيهم يدور حول عدة محاور رئيسية.

فهذه الثقافة تشكل من ناحية ثقافة فرعية على البعد العمري، بمعنى أنها ترضى بقيم ومعايير تختلف إلى حد كبير عن عن قيم ومعايير الآباء، ومن ثم فهي ثقافة تدور عادة حول الجديد وترفض القديم. ثم أنها ثقافة تتطلع عادة إلى المستقبل ولا تحاول أو تعق جذورها أو مرتكزاتها في الحاضر. ويتمثل المحور الثاني في أن ثقافة الشباب تميل عادة إلى رفع شعارات ذات طابع راديكالي كرفض التسلط والوصاية والسلطة، وذلك في

مقابل التطلع إلى الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والديموقراطية(*). ومن ثم فنحن نجد أن ثقافة الشباب - بغض النظر عن انتمائها الوطني - يكون لها عادة موقفاً من القضايا ذات الطابع الإنساني، كالوقوف إلى جانب الفئات الفقيرة أو المهضومة الحقوق داخل المجتمعات المتقدمة، أو الوقوف إلى جانب شعوب المستعمرات ضد استغلالها، هذا إلى جانب دعم قضايا التحرير على نطاق عالمي، كما حدث في التنديد بالحرب الفيتنامية وما إلى ذلك. ويدور المحور الثالث في هذه الثقافة حول الحاجات الشبابية بالأساس، حيث يتحدد موقفها من هذا العالم على مدى اشباعه لهذه الحاجات أو فرص الحرمان عليها - فاستناداً إلى ذلك تتم الإدانة أو المباركة. وفي هذا الصدد نلاحظ أن ثمة صيغة عالمية واحدة فيما يتعلق ببعض الممارسات الثقافية التي ينتشر عبر الأوساط الشبابية بشكل متجانس وسريع خلال فترة تاريخية وجيزة(*).

٨- ويشكل الطابع النقدي الخاصية الأساسية لثقافات الشباب ومجتمعهم. وإذا كنا قد أشرنا سابقاً إلى رومانسية الشباب، وإيمانهم الطاهر بالمثل، فإن من المنطقي أن يستتبع ذلك اتجاه الشريحة الشبابية إلى نقد ما هو كائن بالنظر إلى ما ينبغي أن يكون باعتباره اطاراً مرجعياً لذلك. ومن هنا نجد أن الثقافة الشبابية تتسم بالطابع التقويمي أو النقدي. ويعني ذلك أننا إذا قلنا أن العناصر المكونة للثقافة هي العناصر الإدراكية والتقويمية والوجدانية، فإننا

(*) يثير الطلبة في الغالب بعض التساؤلات داخل مدرجات الجامعة تتعلق أساساً بالديموقراطية أو غيرها من القضايا المتصلة بممارسات النظام السياسي. يحدث ذلك أيضاً في المحاضرات التي تدور حول موضوعات لا تتصل من قريب أو بعيد بهذه القضايا، وهو الأمر الذي يشير إلى وعي طلابي يدور أو يتمركز حول قضايا محددة.

(*) يؤكد ذلك انتشار شعارات شبابية معينة داخل الشريحة الشبابية في مختلف مجمعات العالم، كارتداء الجينز الأزرق، واطلاق الشعر، الاستماع إلى أغاني وموسيقى معينة. بل إننا نجد أنه حينما إنفتحت الايديولوجي والبناء الاجتماعي عن نظيره السائد في الغرب، ويمكن إعتبار إحداث التمرد الشبابي التي انتشرت عبر العالم ١٩٦٨ أكثر المؤشرات دلالة على ذلك.

نجد أن ثقافة الشباب تستند بالأساس إلى العنصر التقويمى، ويصبح أساس التقويم والنقد متمثلاً فى مدى كفاءة هذه الثقافة فى إشباع الحاجات الأساسية للشباب، وأيضاً مدى اقترابها من شكل المجتمع الذى ينبغى أن يكون أو الذى يتصورونه. بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الثقافة تصوغ عادة جدلاً مع الثقافة السائدة، وذلك فيما يتعلق بمطالب أو قضايا عامة تخص لمجتمع بكل فئاته، وليست مطالب تتعلق بالمصالح الخاصة بالشريحة الشبابية. وقد يرجع ذلك فى بعض منه إلى الطهارة التى تتمتع بها هذه الشريحة، وأيضاً إلى المثالية التى تتوفر لها. هذا إلى جانب أننا كما أشرنا نجد أن الشريحة الشبابية (الطلابية) داخل الجامعة تنتمى عادة إلى مختل الشرائح الاجتماعية، ويتسق مع ذلك أن مطالبها ليست فئوية(*).

٩- وتعتبر إمكانية التحول من الثقافة الفرعية – التى ترتبط بشريح محددة – إلى الثقافة المضادة – التى تشكل وعى شريحة رافضة – من الخواص الأساسية التى تميز المجتمع الشبابى. وفى هذا الصدد، فنحن إذا كنا

(*) يتسق مع ذلك ظاهرتين وقعتا فى المجتمع المصرى. وتتمثل الأولى فى أن مصر قد شهدت منذ عام ١٩٧١ – منذ إعلان فلسفة الإنفتاح الاقتصادى – قيام كثير من الفئات والجماعات مطالبتها ببعض المطالب الفئوية (كالعمال ، المدرسين، الأطباء الصيادلة، الذراعيين، القضاه، أساتذة الجامعة) فى مقابل ذلك نجد أن الطلبة (شباب الجامعة) كانت مطالبهم فى تظاهرات ١٩٧٢، ١٩٧٣، ١٩٧٧ ذات طابع عام تتعلق ببعض القضايا المنفصلة بصدى فاعلية النظام الاجتماعى والسياسى.

ويتسق مع ذلك – الظاهرة الثانية – ما حدث فى المطالب الواحدة التى طالب بها شباب الطلبة كشريحة واحدة، أن نجدهم فى فرنسا قد دعوا إلى إنهاء وضع حاسد وطالبوا بتأسيس تعليم ثقافى عالمى وحقيقى. وفى أسبانيا طالب الطلبة بمحو آثار النازية من التعليم العالى قبلالشروع فى تأسيس أى اصلاح ثقافى وفى إيطاليا طالب بإزالة كل تفرقة اجتماعية وتقليل التفاوت بين مختلف مناطق المجتمع الإيطالى. وفى اليابان ظهرت مطالب شبابية تسعى إلى تحقيق أهداف دقيقة، ولكنها تثير النقاش حول النظام الاجتماعى والسياسى بأكمله. وفى أفريقيا نادى الطلبة بضرورة الخلاص من النفوذ الاستعمارى فى التعليم السياسة وفى أمريكا اللاتينية طالب الطلبة بإقامة علاقات وظيفية بين التعليم =/=

قد أكدنا على وجود ثقافة فرعية يمكن أن نسميها بالثقافة الشبابية، فإنه من الضرورى أن تعمل الثقافة العامة فى هذه الحالة على استيعاب عناصر التجديد الكائنة فى طار الثقافة الشبابية. بحيث يساعد ذلك على دعم أواصر العلاقة بين الثقافة الأم من ناحية والثقافة الفرعية – الشبابية – من ناحية أخرى، عن طريق خلق قدر كبير من القواسم المشتركة بينهما. بحيث يعنى ذلك تطوير الثقافة الأم بالقدر الذى يمكن أن تستوعبه من الثقافة الفرعية الشابة. لكن إذا كانت هذه هى الحالة المثالية الواجبة للعلاقة بين الثقافة الكلية والثقافية الفرعية، فإننا نجد أن الثقافة الكلية – ثقافة الشيوخ – تصم آذانها عادة أمام أى إدعاءات لثقافة أو شريحة الشباب، ومن ثم تدفعها إلى التحول من ثقافة فرعية إلى ثقافة مضادة، ونتيجة لذلك يشكل الشباب – وبخاصة طلاب الجامعة – مجتمعاً مضاداً وثقافة مضادة. فى أعقاب ذلك يتخلق حوار عنيف بين الطلبة والنظام الاجتماعى والسياسى، قد يبدأ بلغة الكلمات الحادة والنافذة غير أنه ينتهى أحياناً بطلقات الرصاص، وتتحول القضية حينئذ لتصبح هل فى إمكان المجتمع والثقافة الأم قمع الشباب وإخضاع ثقافتهم. فإذا اتبع المجتمع هذا التوجيه لمعالجة التفاعل بالقضاء على التناقض عن طريق نزع فتيل لاشتعال وتأجيل الانفجار، فإننا نجد فى مقابل ذلك أن باستطاعة ثقافة الشباب المضادة السعى إلى التحالف مع الجماعات والثقافات الراديكالية الأخرى، كخطوة ضرورية للقضاء على

=/= واحتياجات التنمية وتوضح هذه الأمثلة أن الحركة الطلابية لم تستهدف غايات طلابية أو تعليمية بحتة، بل تعدتها إلى المطالبة بإدخال تغييرات جذرية فى النظم الاجتماعية والسياسية القائمة، والدعوة إلى تأسيس قيم جديدة يستند إليها بناء الدولة ككل، بل إننا نجد عادة داخل مدرجات الجامعة المصرية والجامعات العربية تساؤلات تتعلق بمدى فاعلية أو علاقة موضوعات معينة – يدرس بالجامعة – بالتنمية الاجتماعية، ومدى فاعليتها فى ترقية أوضاع المجتمع، أو ماذا فعل علم الاجتماع بالنسبة للمجتمع والتنمية فى مصر والعالم العربى، أو ما هى فائدة نظريات وأفكار ومفاهيم العلم فى تطوير مجتمعنا.

النظام القائم وثقافته الجامدة، وتقديم بديل لملامح المجتمع والثقافة التى ينبغى أن تكون(*).

١٠- وتعتبر مسئولية الاختيار والتوتر المرتبط به من أهم الخصائص المميزة للموقف الشبابى. وإذا كانت مرحلة الشباب تتحدد - كما أشرنا - باكتمال النضج الاجتماعى المستند إلى اكتمال التأهيل الاجتماعى للشباب للاضطلاع بمسئوليات محددة، فإننا نجد أن الشباب هم الفئة التى تواجه بأعباء اختيار نوع المسئولية التى عليهم أن يقوموا بها وليست أعباء القيام بالمسئولية ذاتها. غير أننا نجد أن هذا الاختيار يواجه عادة بثلاث صعوبات، وتتمثل الأولى فى مدى تأهيل الشباب للقيام بأى من جوانب المسئولية فى مختلف المجالات الاجتماعية. أما الثانية فتتعلق بمدى ملائمة الظروف الاجتماعية المحيطة والقائمة لإنجاز اختيار الاضطلاع بمسئولية محددة. بينما قد تنشأ الثالثة نتيجة لاتجاه المجتمع إلى فرض مسئوليات محددة على الشباب دونما إتاحة فرصة للاختيار، أو حتى إتاحة فرصة التفاعل مع الاختيار المفروض وهو ما يمكن أن نسميه وصية الاختيار.

وإستناداً إلى ذلك أن مرحلة الشباب تواجه بضرورة القيام باختيارات تتعلق بالاضطلاع بمسئوليات عديدة. فمطلوب من الشاب ضرورة القيام باختيار التخصص. مطلوب منه اختيار المهنة إذا هو قد تخرج من الجامعة. ومطلوب منه الاختيار لتأسيس أسرة مع ما يترتب على ذلك من إنجاز

(*) نجد غالباً أن مجتمعات العالم الثالث متخمة بالمطالب التى تدور حولها الخلاف بين الطلبة والنظام السياسى القائم. حيث شكل الطلبة فى غالب الأحيان رأس حربة الإنقلابات التى تتم ضد النظام السياسى القائم. فمثلاً نجد أن مظاهرات الطلبة هى التى شكلت الإنقلاب الذى أطاح بالرئيس أحمد سوكارنو وإحلال الرئيس سوهارتو محله. ومن ثم نجد أن كثيراً من الصفوات السياسية فى العالم الثالث تلجأ إلى إصدار القرارات الهامة أثناء غياب التجمعات الطلابية (كفترة الأجازات مثلاً) وذلك حتى لا يتمكن الطلبة من تشكيل جماعة ضاغطة لتدعيم القرار السياسى، هذا إلى جانب إصرار كثير من الزعامات على عدم تسييس الطلبة أو الجامعة بحجة أن العلم يشكل مهمتهم الأساسية.

مسئوليات عديدة(*). وإذا قلنا أن عملية الاختيار هذه تجعل الشاب يعيش لحظات القلق والتوتر الوجودى، بما يعدم قدرة المخاطرة لديه، ومن ثم تحمل نتائج القرار، فإن ذلك من شأنه أن يؤكد أحقيته فى المشاركة الإيجابية فى صياغة الواقع الاجتماعى المحيط.. وهو ما يعنى تعميق انتمائه الاجتماعى، باعتبار أن هذا الواقع -- الذى تشكل مسئولياته واختياراته جزءاً منه – هو واقع شارك فيه – بيد أننا نجد على العكس من ذلك، أن حرمان الشباب من تأسيس اختياراتهم المصيرية، يؤدى إلى شعورهم بالقلق والاغتراب والانسحاب من الحياة الاجتماعية، ومن ثم إضعاف انتمائه الاجتماعى، بحيث يتحول إلى عبء يثقل كاهل التنمية، وحشداً أو رصيداً ساكناً ومنتظراً لأى تمرد شبابى قادم وقادر على دفع هذا الحشد باتجاه إشاعة الفوضى فى النظام الاجتماعى.

١١– ويعتبر الرفض والتمرد من الخواص المحورية المميزة الشريحة الشبابية، وتعنى هذه الخاصية عدم اقتناع الشباب بما هو كائن ومن ثم رفضه. وقد يرجع عدم الإقناع هذا إلى أنواع الحرمان التى تواجهها الشخصية الشابة فيه يتعلق بإشباع حاجاتها الأساسية. وقد يتخذ الرفض صورة رفض مؤسسات الدولة التى تحيط بالشباب، والتى يصبحون أمام ضخامتها وفعاليتها فاقدى القوة العقلية، وقد يتخذ الرفض شكل التمرد على منطق الوصاية الذى يحاول الشيوخ فرضه على الشباب بحجة عدم اكتمال نموهم. وقد يصبح الرفض معنوياً كما هو الحال فى النكتة الناقدة لإحدى

(*) لا تتيح الظروف فى كثير من المجتمعات النامية للشباب الجامعة إمكانية بمسئولية الاختير. فمثلاً فى مصر وكثير من المجتمعات العربية نجد أن اختيار التخصص ونوع التعليم يخضع لآليات مكتب التنسيق بغض النظر عن القدرات الخاصة للشباب. وفى اختير المهنة غالباً ما يتولى مكتب القوى العاملة ذلك فى مرحلة التوجه الاشتراكى أما الآن فقد سقط هذا الإلتزام بغض النظر عن طبيعة التأهيل والقدرات أيضاً. بل إننا نقابل فى أحيان كثيرة بمفارقات غريبة فى هذا الإطار كأن يعين خريج الفلسفة مديراً لجمعية استهلاكية وهو ما يعنى إسقاط إعتبار التخصص فى التوزيع على الوظائف. هذا إلى جانب أن إنخفاض مستوى الدخول ينفى مسئولية إختيار تحديد مسئوليات الشباب التى تأتيه دائماً ن الخارج وفرض عليه.

جزيئات الوجود الواقعى، أو يتخذ شكل الهجرة المادية من الوطن، وقد يصبح الرفض لا مبالاة متخلفة عن مظاهر عديدة كالإحباط وإستمرار الحرمان، بحيث يؤدى ذلك إلى ضعف الانتماء، والحياة كفكرة أيديولوجية. ويعنى ذلك أن يعيش الشباب بعقلية المهاجر داخل حدود الوطن، قاطع لكل ارتباطاته والتزاماته، متخلياً عن أية تبعات قد تفرضها بديهية المواطنة(١٣).

ويرتبط بالرفض والتمرد دور الشباب فى المعارضة السياسية والاجتماعية، حيث لعب الشباب هذا الدور فى الولايات المتحدة الأمريكية التى لم تشهد منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حركة عمالية سياسية. والتى لم تعرف أيضاً حزباً سياسياً راديكالياً شعبياً يمكن أن يكون مصدراً لحركة راديكالية جديدة. ويصدق ذلك أيضاً على الفترة التى شعر فيها كثير من الأمريكيين بعدم الارتياح لسياسة حكوماتهم الداخلية والخارجية. وتتجه لذلك بدأ الطلاب الجامعيون يقومون بدور بارز فى التعبير عن عدم الرضاء عن السياسات الحكومية، ثم معارضتها فيما بعد. ويمكن القول بأن الطلاب الجامعيين قد ظلوا يشكلون عنصراً هاماً فى الحركة الراديكالية، ومصدراً للأفكار النقدية. وفضلاً عن ذلك نجدهم يتولون قيادة التظاهرات الجماهيرية، ويلعبون دوراً أساسياً فى التأثير على السياسة القومية من خلال تأييدهم لمرشحى المعارضة، مثلما حدث خلال حملة رئاسة السيناتور يوجين مكارثى(*)(١٤).

والجدير بالذكر أننا نجد أن التمرد السياسى أو المعارضة السياسية التى أعلنها الشباب فى كثير من الأقطار تكون عادة رد فعل للنظم التسلطية

(*) يعتبر قيام شباب الجامعة بدور المعارضة السياسية من الظواهر المنتشرة فى كثير من المجتمعات النامية. ويرجع ذلك لعاملين، الأول غياب المعارضة السياسية الفعالة والمؤثرة والثابتة على موقفها من النظام السياسى القائم، والثانى أن الطلبة الجامعيون هم بالتحديد أكثر الفئات التى يمكنها القيام بالمعارضة دون توقع ضرر مباشر أو مؤثر قد يصيبها. حيث لا يستطيع الموظف العام القيام بالمعارضة نظراً لإمكانية عقابه وحتى رفته من الوظيفة. بينما نجد أن الطالب أو الشاب لم يخضع لعملية الصياغة النظامية =/=

والرجعية الحاكمة فى هذه الأقطار، حيث نجدها نظماً غير متكيفة واحتياجات التحديث ومتطلباته، أو عاجزة عن إشباع الحاجات الأساسية لجماهيرها، أو أنها منفصلة عن الجماهير وتوجهاتها الرئيسية. وتنشأ المعارضة حينما تحاول السلطة فى هذه النظم كبح هذه الحاجات أو القضاء على الأصوات التى تطالب بضرورة إشباعها. حيث تتحول هذه المعارضة فى النهاية من معارضة ذات طبيعة مؤقتة إلى معارضة سياسية دائمة، نشطة ومستمرة للنظام القائم(١٥).

رابعاً : مشكلات الشباب مع المجتمع، طبيعتها الأساسية:

عرضنا فى الصفحات السابقة للمتغيرات المتعددة التى تتفاعل فيما بينها لتخلق المسألة الشبابية، أو لتقل المشكلة الشبابية، وأوضحنا أن بعضا من هذه العوامل يرجع إلى بناء النظام العالمى، بينما ترجع مجموعة أخرى من هذه العوامل إلى بناء المجتمع المحلى الذى يشكل البيئة المحيطة والمباشرة للشباب. فى حين تشكل الشخصية الشابة ذاتها مصدراً لمجموعة ثالثة من العوامل. بيد أن هذه العوامل المؤثرة قد تمتلك تأثيراً إيجابياً على الشباب فتساعد على نضجهم، ومن ثم على تطوير فعاليتهم وهو الأمر الذى يساعد على دفع التنمية وتقدم المجتمع معاً. وقد تصبح هذه العوامل ذات تأثير

=/ Institutionalization الكاملة. ولعل هناك بالتاريخ المصرى والعربى ما يؤكد ذلك. فمثلاً ثار شباب الجامعات فى مصر كرد فعل لأحكام الطيران فى ١٩٦٨ كأحد آثار هزيمة يونية ١٩٦٧, وحينما ساد اعتقاد فى ١٩٧٢ بأن لنظام السياسى عاجز عن تأسيس معركة تحرير الأرض، تظاهر الطلبة وشكلوا بذلك إحدى جماعات الضغط التى كان لها تأثيرها فيما بعد على قرار المعركة. وقد تقدم الأنظمة السياسية على الغاء التنظيمات الجامعية ذات الطبيعة السياسية كالاتحادات الطلابية، وخلق كيانات بديلة وهزيلة، وذلك بهدف قطع الطريق أمام أية معارضة سياسية للطلبة، تحت شعار المناداة بضرورة تفرغ الطلبة لتلقى دروس العلم التى ينبغى أن تشكل جوهر اهتمامهم الرئيسى. غير أن المعارضة الشبابية برغم ذلك قد تنمو وتزدهر. تأكيد ذلك تمرد شباب جنود الأمن العام فى منطقة الهرم عام ١٩٨٩ ، وتمرد شباب الصين فى ١٩٨٩، وتمرد الجماعات الدينية فى الجامعة باعتبارها قوى المعارضة الحقيقية للنظام ابتداء من ١٩٧٢ وحتى الآن.

سلبى ضار، تشيع الحرمان من إشباع الحاجات الأساسية للشباب، ومن ثم تخلق فجوة بين الشباب وسياقه. وبعد الفجوة يأتى التمزق والصراع الذى يتطور فيكون له تأثيره المدمر على المجتمع والشباب معاً. من هنا تهتم هذه الفقرة بإستكشاف بعض مشكلات الشباب التى تظهر نتيجة للتفاعل بين الشباب والمجتمع، بيد أننا قبل أن نعرض لهذه المشكلات نرى توجيه النظر إلى ثلاثة ملاحظات أساسية.

الأولى أن مشكلات الشباب قد ترجع يعانى منها بناء المجتمع، وقد ترجع إلى جوانب نقص خطيرة تعانى منها الشخصية الشابة، أو قد ترجع هذه المشكلات إلى طبيعة التفاعل غير المتناغم بينهما. والثانية، أن مشكلات الشباب يمكن أن تنقسم أيضاً إلى نوعين، مجموعة المشكلات التى تعانى منها الشريحة الشبابية بعامة، ومجموعة المشكلات التى تعانى منها بعض فئات الشباب، كالشباب الجامعى مثلاً هذا بالإضافة إلى أن هناك مجموعة من المشكلات التى تشارك فيها الشريحة الشبابية على مستوى العالم ككل. والثالثة أن المشكلة الشبابية عادة ما تمر خلال تاريخ وجودها بمرحلتين، المرحلة الأولى حيث تكون المشكلة مجرد مشكلة اجتماعية، وخلال هذه المرحلة يمكن مواجهة المشكلة عن طريق بعض التغييرات فى البيئة المباشرة للمشكلة والمخلقة لها. وفى المرحلة الثانية تصبح المشكلة مشكلة بنائية، حيث يتطلب حلها إجراء تغييرات جذرية فى بناء المجتمع القائم. هذا إلى جانب أنه كلما اتسع نطاق المشكلة لكى تغطى معظم أفراد الشريحة الشبابية فى المجتمع، كلما قاربت أن تكون مشكلة بنائية وليست اجتماعية والعكس صحيح. واستناداً إلى ذلك نعرض فيما يلى لبعض مشكلات الشباب:

١- الشباب والحياة في سياق مشكل

نقصد بالسياق المشكل ذلك السياق الذى يمتلئ بمجموعة من المشكلات الرئيسية التى تنتشر فى مختلف مجالاته. فإنخفاض الدخل مثلاً يعوق الإنسان عن إشباع حاجاته الأساسية، ويجعله عاجزاً عن تطوير قدراته

بالنظر إلى الآخر القادر على ذلك. قد يعانى السياق الاجتماعى أيضاً من مشكلة الإسكان – ولا نحتاج أرقاماً للاستشهاد على ضخامة المشكلة فى مصر وغالب مجتمعات العالم العربى – التى يخضع لتأثيرها الشباب، أما من خلال أسرته التى قد تفتقد خدمة المسكن الملائم أو التى ليست لديها خدمة المسكن أساساً، أو قد يعانى الشباب منها بالنظر إلى حاجته المستقبلية. هذا بالإضافة إلى أزمة المواصلات والازدحام ونقص سلع الغذاء، وهى المشكلات التى تجعل حياته اليومية معاناة تعسة ينبغى التخلص منها بالهروب أو المواجهة.

يدرك الشباب أيضاً أنه بعد التخرج سوف يكون مجرد ذرة مضافة إلى الركام الهائل من خريجى الجامعات المكدسين فى مكاتب الوزارات. كان ينبغى أن يشكل الشباب طاقة معدة ومؤهلة للاسهام بما يعود على الشباب والمجتمع بالنفع والتقدم، إذا بهم يتحولون بآلية غريبة من طاقة إيجابية إلى عبء يعوق إنطلاق المجتمع. إضافة إلى ذلك فسوف يؤدى إسقاط الدولة لالتزامها بتعيين الخريجيين إلى تخلق مشكلة بطالة على مستوى خريجى الجامعات، وهم الشريحة التى لديها الاستعداد لتحويل التوتر والقلق إلى تمرد وثورة. ومن ثم فلنا أن نتوقع فترة قادمة تتميز بعدم الاستقرار الاجتماعى. ذلك لأن الشباب الجامعى يدرك التناقض بين إمكانية من ناحية وعجز النظام الاجتماعى عن الاستفادة من هذه الإمكانيات من ناحية أخرى، مثلما أدرك فى فترة سابقة التنقض بين ما يتعلمه فى الجامعة من ناحية ومتطلبات الوظيفة التى يشغلها من ناحية أخرى. وذلك بحجة أن هناك فارق بين التعليم النظرى والخبرة التطبيقية. بحيث نجده يدخل الآلة البيروقراطية للمجتمع حسب شروطها وليس حسب كفاءته وقدراته. وقد حاولت إحدى الدراسات التى أجريت على عينة من الشباب التعرف على مشكلات الشباب من وجهة نظر هذه العينة، حيث أكدت نسبة ٤٩,٩ ٪ على ضعف لمرتبات بإعتبارها المشكلة الرئيسيةعلى حين أكدت نسبة ٣٧,٨ ٪ على ارتفاع

المعيشة، ونسبة ٣٣ ٪ على عدم وجود فرص عمل، ونسبة ١٨ ٪ على عدم القدرة على الزواج ونسبة ٦,٣ ٪ على عدم تلاؤم التعليم مع الحياة، ونسبة ٢,٣ ٪ على عدم ملائمة القدرات الدراسية(١٦). الأمر الذى يشير إلى حياة هؤلاء الشباب فى واقع سياق مشكل بالفعل. وفيما يلى أهم المشكلات التى يواجهها الشباب الجامعى بعد التخرج فى المجتمع (١٧)ومواجهة هذا الموقع المشكل يطرح الشاب معنى الوطن والمواطنة موضعاً للتساؤل. فالوطن فى تحديده الأساسى والمباشر ليس إلا مسكناً وملبساً ومأكلاً، وطموحاً لإشباع الحاجات الأساسية للإنسان، وتجربة تراثية تؤكد حدوث وتواتر الإشباع أو الحرمان. ومن ثم فكلما تحقق هذا الإشباع كلما تأكدت معانى تقديس المجتمع وتعمقت مشاعر الانتماء له والاستقرار بداخله ومن ثم العمل على ترقيته. لأن الاسهام فى ترقية المجتمع له أساسه فى إشباع تحقيق طموحات الذات(*). بغير ذلك فإن عجز المجتمع عن إشباع الحاجات الأساسية للبشر الشباب بداخله، سوف يفرض على الشباب وخاصة شريحته الواعية والمثقفة ثلاثة اختيارات صعبة.

وفى إطار الاختيار الأول، يعيش الشباب داخل المجتمع رافضاً له محاولة الانتقام منه وإستنزافه. وذلك من خلال التحول إلى سلوكيات منحرفة إجرامياً، أو بممارسة السلوك الانتهازى الذى يرى فى الغايات الخاصة أهدافاً واجبة التقديس، مع الإيمان باستخدام أية وسائل قد تجسد له هذه الغايات، فالغاية تبرر الوسيلة.

ويتمثل الاختيار الثانى فى الانزواء والإنسحاب من الحياة الاجتماعية للمجتمع، معايشته دون التفاعل الإيجابى معه، بحيث يعيش الشباب الذى

(*) يزداد الأمر سوءاً حينما تطالعنا وجوه المسئولين فى مواجهة مشكلات الواقع المتردية،، لتصرح بوعود تتعلق بمواجهة هذه المشكلات، وإن شهر كذا... سوف يشهد حلالها. بحيث تلعب هذه الوعود دورها فى تعقيد الأمور. لأنها ترفع من شأن الطموح وتوسع الفجوة بينه وبين الحرمان الواقعى. ويصبح القلق والتوتر الشبابى، وربما الإنفجار هى المادة التى تملأ الفجوة الكائنة بين الطموح المرتفع والحرمان الواقعى المتعمق.

يؤسس هذا الاختيار في المجتمع دون الشعور بالانتماء له، أو قد يصبح في بعض الأحيان رصيداً مدخراً لأية جماعة ذات أيديولوجية هروبية، قد تقدم للشباب الإشباع البديل، ومن ثم تستقطبه كلية لكى تعيد توجيهه في حركة مضادة للمجتمع.

ويتحدد الاختيار الثالث في الوضع الذي يعيش في اطاره الشباب مهاجراً داخل الوطن، رافضاً لهذا الواقع ساعياً للهروب منه إلى مكان يساعد على تحقيق إمكاناته وإشباع حاجاته الأساسية، وذلك عن طريق الهجرة إلى خارجه. تأكيد ذلك أن عدد المهاجرين من المجتمع المصرى إلى الخارج، خاصة إلى البلاد العربية النفطية، قد بلغ نحو ٦٨٨٨ ارتفع في ١٩٧٣ إلى نحو ٤٦٣,٩٩ بحيث يمكن القول بأن الهجرة قد تضاعفت في حوالي خمس سنوات إلى ما يقترب من سبعة مرات[١٨].

لهذه الأسباب السابقة، وبسبب المشكلات التي أشرنا إليها يعيش الشباب في وطنه مهاجراً في حلة دائمة لإصدار قرار الهجرة إلى الخارج تجسيده مادياً [١٩] متى توفرت الفرصة وأصبحت الظرف ملائمة.

٢- الحرمان من المشاركة الاجتماعية:

إذا افترضنا – حسب البرهنة السابقة – أن الشريحة الشبابية هي صاحبة الحق الجوهري في تشكيل مستقبلها بما يلائم إمكانياتها. وإذا قلنا أن شريحة الشباب الجامعي هي الشريحة الأكثر وعياً بهذا المستقبل والاهتمام به، والأكثر إدراكاً للطرق الملائمة – من وجهة نظرها – التي تقودنا لهذا المستقبل. فإنه استناداً إلى ذلك تتأكد مشروعية المشاركة الاجتماعية من قبل هذا الشباب الواعي في كافة المجالات الاجتماعية، وأيضاً بما يساعد على تدريبها على قيادة المجتمع مستقبلاً، بالنظر إلى ذلك وحسبما تؤكد درسات علمية عديدة نجد أن لدى الشباب عزوفاً عن المشاركة الاجتماعية، فمثلاً نلاحظ إنخفاض المشاركة الثقافية للشباب إلى نحو ٥٢٪ من عينة إحدى الدراسات[٢٠] وإنخفاض المشاركة الاجتماعية إلى نحو ٧٦٪[٢١] والرياضة إلى نحو ٢٩٪ السياسة إلى نحو ٨,٥٪[٢٢].

وبرغم إنخفاض المشاركة الشبابية فى مختلف المجالات إلا أننا نجد أن هذا الإنخفاض حاداً فى المجال السياسى، ذلك برغم أن القضايا ذات الصلة المحورية بالنظام الاجتماعى وهى التى تجذب اهتمام الشباب عادة. بل أننا نجد كثيراً من المجتمعات النامية ترفض تسييس الجامعة، تحت حجة أن الطالب الجامعى ينبغى أن يكون طالب علم فقط. ومن الممكن حتى إذا اتفقنا على وجهة النظر هذه أن يتاح نوعاً من التربية السياسية البديلة كإجراء الحوار حول قضايا محددة مع بعض التجمعات الشبابية. ذلك أن غلق المشاركة أمام الطاقة الشبابية سوف يؤدى بالتأكيد إلى عدم وعى الشريحة الشبابية – وهى التى تشكل الغالبية من ناحية، ثم هى التى تتحمل عبء الإنتاج فى المجتمع من ناحية أخرى – باتجاه حركة المجتمع، وهو الأمر الذى سوف ينعكس فى صورة حركة عشوائية للشباب بعيداً عن حركة النظام الاجتماعى الذى لم يمتلك توجها أيديولوجيا واضحاً. هذا إلى جانب أن ذلك سوف يكون مقدمة لسلوك منسحب من حركة المجتمع وتفاعلاته، فهو لا يشعر بأنه مشارك فى هذا المجتمع، ومن ثم فما معنى أن يشارك بالعبء والإنتاج. ثم هو من ناحية ثالثة قد يشكل المادة البشرية التى تعيش عليها الجماعات لخارجة على النظام سواء كانت ذات توجهات راديكالية أم سلفية، تدعوه إليها كى يشارك تفاعلها، بهدف رسم الطريق إلى تحطيم هذا المجتمع الذى لا تصيب لهم فيه، ذلك تحت وطأة يوتوبيا خلق مجتمع جديد.

٣- الحرمان من إشباع الحاجات الأساسية:

لدى الشخصية الإنسانية، والشخصية الشابة عادة مجموعة من الحاجات الأساسية التى ينبغى إشباعها. حيث إتاحة الحاجات الأساسية النمو السوى لشخصية الشاب حتى النضج، هذا بالإضافة إلى تعميق إنتمائه الأيديولوجى، وهو الأمر الذى ينعكس على هيئة تحقيق درجة عالية من الاستقرار الاجتماعى(٢٣). أما إذا لم يتحقق الاشباع لهذه الحاجات الأساسية، فسوف تظل الطاقة الشبابية حبيسة معرضة للإنحراف والإنفجار – تحت وطأت

الحرمان – إذا تواجدت ثقوب فى جدار البناء الاجتماعى القائم تسلم إلى هـا الاشباع الخفى، ومن ثم إنسياب الطاقة الشبابية إلى محاولات غير سوية و تظل على حرمانها فى مختلف مجالات السياق الاجتماعى، بما يجعل عملية إشباعها لحاجاتها، أو بالأصح استمرار وجودها يواجه بعديد من المشكلات الأساسية.

واستشهاداً بإحدى الدراسات العلمية التى أجريت على الشباب المصرى(٢٤) نجد أن الشباب يواجه بمشكلات عديدة فى مختلف المجالات الاجتماعية، فمثلاً قد لا تشكل الأسرة اطاراً ملائماً لاشباع الحاجات الأساسية للشباب، . حيث نجد أن نحو ٤١٪ من حجم العينة يعانى مشكلات أسرية، قد تدور حول صراع الأجيال، الذى يتركز أساساً حول رفض الآباء التسليم بإشباع الحاجات التى يراها الشباب أساسية(٢٥) . فإذا انتقلنا إلى المجال الاقتصادى فإننا سوف نجد أن معاناة الشباب فيه أكثر وضوحاً، حيث نجد أن نسبة ٨٣٪ من عينة الدراسة تعانى من مشكلات اقتصادية تعوق إشباع حاجات الشباب داخل السياق الاجتماعى(٢٦)، وهو الأمر الذى يجعل السياق الاقتصادى بالنسبة للشباب مشكلاً من ناحيتين : الأولى، أن إنخفاض الدخل الأسرى يؤدى إلى عديد من الحرمانات بالنسبة لاشباع الحاجات الأساسية للشباب، والثانية أننا نجد أن الشخصية الشابة خاصة الجامعية هى الأكثر شعوراً بوطأة هذه المشكلات نظراً لتعدد مطالبها، وأيضاً لارتفاع مستوى طموحاتها، خاصة إذا كانت على بداية تأسيس حياة جديدة. ذلك كله فى مواجهة مستوى من الدخل عاجز أمام هذه الاحتياجات المتنامية، وغير قادر حتى على الوفاء بالمستويات الدنيا لإشباع الحاجات الأساسية.

بالإضافة إلى ذلك يعانى الشباب من مشكلات دينية عديدة. ذلك أن حاجات الشباب فى هذا الإطار تظهر فى شكل تساؤلات تتعلق بالهوية الدينية والإيمان، إضافة إلى مجموعة التساؤلات المتعلقة بمعانى أساسية كالله، وما بعد الحياة، وما إلى ذلك من التساؤلات التى يصعب تقديم إجابة

علانية لها فى بعض الأحيان. بحيث يدفع ذلك بالشباب إلى معاناة الغموض فيما يتعلق بالجوانب الدينية لواقعه. يتأكد ذلك من نتائج الدراسة التى أشرنا إليها والتى تؤكد أن نحو ٢٧ ٪ من شباب عينة البحث يعانون من مشكلات تتعلق بالدين[٢٧]. ولا يعنى إنخفاض نسبة من يواجهون مشكلات دينية إنخفاض حجم المشكلات الدينية. لأن النسبة المشار إليها تعتبر فى حد ذاتها عالية، تجعل المجال الدينى مشكلا وتفرض ضرورة المواجهة الحقيقية فى هذا الإطار.

أما فيما يتعلق بإشباع الحاجات إلى الجنس كحاجة أساسية فإننا نجد أنها تشكل وضعاً مشكلاً بالنسبة للشباب الجامعى، إذ يعتبر عدم وجود المسكن فيما بعد التخرج، وإفتقاد الأمل فى إمكانية تشكيل أسرة فى قلب سياق لا يسمح بالإشباع الجنسى خارج نطاق الأسرة، من المشكلات الأساسية التى تواجه الشباب فى هذه الدراسة، إذ تذهب ذات الدراسة إلى أن حوالى ٢٨ ٪ من عينة الدراسة تعانى من مشكلات جنسية[٢٨]. وبرغم الإنخفاض الظاهرى لدرجة المعاناة من المشكلات الجنسية، فإن النسبة التى أشرنا إليها تشير بالتأكيد إلى مجموعة أخرى من الشباب التى لم تستطيع أن تتحدث صراحة فيما تعانيه من مشكلات جنسية باعتبار أن ذلك يدخل فى نطاق الحياء العام(*).

(*) فى هذا الصدد لنا ملاحظتان: أن هناك نوعاً من الخطوبة المرحلية التى بدأت تظهر داخل الحرم الجامعى حيث يتعرف الشاب على فتاة وتتطور العلاقة حتى إعلان الخطبة إشهاراً للمجتمع والأسرة على هذه العلاقة. وتستمر هذه العلاقة بكل متضمناتها على مدى السنوات الأربع. وفى نهاية السنوات الأربع، نشهد موسم فسخ هذه الخطوبات، حيث نقابل معظم هؤلاء الأشخص وقد فسخوا الخطوبة أو تزوجوا بأخريات غير الذين خطبوا لهم فى المرحلة الجامعية.
وتذهب الملاحظة الثانية إلى أن الجماعات الدينية بتأسيسها لإمكانيات الزواج الداخلى، تقدم إشباعاً مشروعاً لكل من الشاب والفتاة بتشكيل أسرة، ومنحها سكناً بأقل قدر من التأثيث. هنا نجد أن الجماعة الدينية تلعب دوراً هاماً فى جذب الشباب إليها. ففى مقابل الإيمان بأفكارها ومبادئها، نجد أن الجماعة تقدم له إشباعاً لحاجاته الأساسية بحيث تطرح الجماعة نفسه اللشاب كبديل للجتمع الذى عجز عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب بالشكل الملائم.

وإذا كان السياق الاجتماعى لا يقدم - كما هو واضح من المعطيات السابقة - إشباعات حقيقية لحاجات الشباب الأساسية، فإن الشباب يكون عادة عرضه لمشاعر القلق والتوتر التى قد تسلمه فى حالات كثيرة إلى أمراض وظواهر نفسية خطيرة، قد تظل على المستوى الفردى فى شكل ظواهر فردية، أو قد تتجمع لتشكل ظواهر اجتماعية ذات طبيعة هروبية إلى الدين أو لرفضه، ومن شأن ذلك يساعد على إنتشار حالة من الفوضى الاجتماعية. بحيث تخلق هذه السياقات الجديدة التى هرب إليها الشباب إشباعاً داخلياً وموقفياً لحاجات المنتمين إليها، غير أنهم يشعرون فى كل الحاجات أنهم قد إنسلخوا عن حركة المجتمع. يؤكد ذلك حجم المشكلات النفسية التى يواجهها الشاب حسبما تذهب ذات الدراسة، حيث أكدت أن ٥٠٪ من شباب العينة يعانى من مشكلات نفسية(٢٩)، تدور حول مشاعر القلق والاغتراب، وهى المشاعر لتى تكمن أسبابها فى السياق الاجتماعى، الذى ينبغى التوجه نحوه مباشرة لإصلاح ما به، لكى يوفر ما يساعد على تحقيق السواء النفسى للشباب. ذلك أن الشباب لديهم حاجات أساسية لابد من إشباعها، فإذا صادف الشاب الحرمان من الإشباع، فإن ذلك سوف يؤثر على قوة انتمائه الاجتماعى، ومن ثم سوف يكون نهباً لأية انتماءات تقدم له إشباعاً بديلاً أو على الأقل تقدم له وعداً مستقبلياً بإمكانية الإشباع.

٤- مشكلة الغياب الأيديولوجي:

يتبنى أى مجتمع - فى وضعه المثالى أو المعتاد - موقفاً أيديولوجيا محدداً تشكل متضمناته الموجهات الأساسية التى تحكم السلوك الاجتماعى، باعتبارها المحكات التى يحكم بالنظر إليها على طبيعة الأداء. وتشير الأيديولوجيات فى معانيها الأساسية إلى مجموعة المبادئ أو الأفكار التى تشكل رؤية محددة للمجتمع، ومن ثم موقفه من قضايا الوجود المحيط به. وتتمثل القيمة الحقيقية لأية أيديولوجيا فى أنها تطرح النموذج أو المثال الذى ينبغى احتذاؤه أو تمثله، ومن ثم ففى الة غياب الأيديولوجيا أو عدم وضوح

المثال الذى تطرحه، فإننا نجد أن التفاعل الاجتماعى يتم بلا وجهات أساسية. ومن ثم يتحرك المجتمع حركة عشوائية يفتقد الهدف ولا تمتلك خطاً مستقيماً للوصول إليه، وهو ما نرى إنعكاساً له فى سعى الأفراد لانجاز متطلباتهم وفقاً لأيديولوجيات خاصة قد تهتم بما هو خاص، وتفضله على ما هو عام. وتكشف محاولة تفحص البنية الأيديولوجية للمجتمع المصرى مثلاً فيما بعد ١٩٥١ عن تميزها بعدة ملامح أساسية.

وتتمثل أول هذه الملامح فى افتقاد الأيديولوجيا للتماسك العضوى. إذ نجد أن أيديولوجيا ما بعد ١٩٥٢ ضمت مجموعة من العناصر التى لا تشكل مع بعضها بنية أيديولوجية متماسكة، تفرض مثالاً واضحاً ومحدداً ينبغى احتذاؤه. فقد تعددت انتماءات المجتمع بين الانتماء العربى الإسلامى والاشتراكى وحتى الرأسمالى. بحيث تميز التاريخ الحديث بالانتقال بين مختلف هذه المواقف أو ضم بعضها معاً. مما أدى إلى عدم الوصول إلى بنية أيديولوجية محددة المعالم، ومن ثم فقد أدى هذا التنوع بين العناصر الأديولوجية إلى طرح مشكلة تتعلق بالنموذج الواجب احتذاؤه، والقيم التى ينبغى أن توجه سلوكنا.

وتشكل ظاهرة التنقل الأيديولوجى الظاهرة الثانية فى هذا الصدد وتأكيداً لذلك فإننا إذا تتبعنا التاريخ الأيديولوجى الحديث لمصر فسوف جد أنه فى الفترة من ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٦ ساد ما يمكن أن يسمى بالتوجه الأيديولوجى الرأسمالى الذى دعم ببعض العناصر القومية والإسلامية، أما الفترة من ١٩٦١ وحتى ١٩٧٠ فيمكن أن نسميها بفترة الأيديولوجيا الاشتراكية، هذا بينما تعرف الفتاة من ١٩٧٠ وحتى الآن بفترة الإنفتاح الاقتصادى والسياسى وتشجيع القطاع الخاص. والمشكلة الرئيسية فى هذا الصدد تتمثل فى أن الانتقال الأيديولوجى كان عادة انتقالا ين اختيارات متناقضة. وهو الأمر الذى يعوق استيعاب أى من هذه الأيديلوجيات أو توجهاتها الأساسية. بحيث يسلم هذا التنقل الأيديولوجى إلى حالة من عدم الاستمرار، ومن ثم إلى غياب النموذج الأيديولوجى.

إلى جانب ذلك تميزت ممارسة الصفوة الحاكمة لأيديولوجيتها بعديد من المشكلات، فهناك مثلاً ظاهرة التجريب الأيديولوجى (حيث كان الرئيس عبد الناصر يشير كثيراً إلى الصفة التجريبية لسياساته وعدم رغبته فى الالتزام بعقيدة جامدة). هذا إلى جانب الانتقاء والتغيير الأيديولوجى، بمعنى أن البنية الأيديولوجية قد تضم عناصر منتقاة إلا أنها متناقضة، بالإضافة إلى ذلك هناك ما يمكن أن يعرف بالتوسطية الأيديولوجية. بمعنى أن لا نكون اشتراكيون بصورة واضحة(*) أو رأسماليون بصورة محددة، بل نتبنى توجها أيديولوجيا فيه أسوأ ما فى الاثنين معاً، يخلط بلا وعى بين العناصر المتناقضة فى بناء أيديولوجى واحد مثال على ذلك القول بالديموقراطية، والتأكيد فى ذات الوقت على ضرورة أن يتم ذلك فى إطار ترضية النزعة الأبوية.

يضاف إلى ذلك ما يمكن أن يسمى بأحادية ومحدودية التوجه الأيديولوجى. ونقصد بأحادية التوجه الأيديولوجى أننا نلاحظ أن الاختيارات الأيديولوجية فى البلاد النامية تتم عادة على مستوى الصفوة السياسية من حيث اختيارها أو ممارستها دون اهتمام بعملية تربية الجماهير وفقاً لها. وهذا من شأنه إتاحة التفاعل بين الجماهير والاختيار الأيديولوجى حتى يمكنها فى النهاية استيعابه بحيث يصبح أى إنحراف أيديولوجى من قبل الصفوة له رد فعل واضح من جانب الجماهير.

(*) من الثابت أن أول منطقة حرة افتتح فى بورسعيد سنة ١٩٦٥ قمة سنوات المد الاشتراكى ولا سئل عبد الناصر أن هذا الإجراء يتناقض مع الفلسفة الاشتراكية سخر من ذلك مجيباً أنه «لا بابوية فى الاشتراكية، بالإضافة إلى ذلك نجد أن عبد المنعم الفيسونى فى أول بيان لحكومة فى سنة ١٩٥٧، يشير إلى أننا نعمل حسب فلسفة رأسمالية تشجع القطاع الخاص، فى الوقت الذى صدرت فيه قوانين الاصلاح الزراعى وتوزيع الأرض علس صغار الفلاحين، كمقدمة لصدور قوانين ١٩٦١ الاشتراكية وفى هذا الإطار أشار أحد المفكرين الاجتماعيين فى إحدى المناقشات إلى أنه يعتبر أن الكارثة الحقيقية والتى تتجاوز كارثة يونيو ١٩٦٧، تتمثل فى إنسحاب الناصرية بكل منجزاتها من على المسرح الاجتماعى والسياسى أو أستبدالها بأيديولوجية أخرى دون اهتمام من الشارع المصرى الذى حققت له الناصرية الكثير، ويعزى ذلك بالأساس إلى فشل الناصرية فى تأسيس ما يمكن أن نسميه بالتربية الأيديولوجية للجماهير.

أما محدودية التوجه الأيديولوجى فنعنى بها اقتصارها على الصفوة المثقفة سواء شريحتها المؤيدة أو المعارضة لهذه الأيديولوجيا، فى حين لم يحاول النظام الاجتماعى فى أى من مراحل التاريخ المجابهة الشجاعة لتربية الجماهير تربية أيديولوجية محددة ومتمعقة.

من الظواهر التى انتشرت فى هذه المرحلة أيضاً ما يمكن أن نسميه بظاهرة التعايش الأيديولوجى فنظراً لغياب حسم الخيار الأيديولوجى نجد أن معظم البلاد النامية عادة ما تكون مسرحاً لمجموعة من الأيديولوجيات المغلقة فى وجه بعضها البعض، فقد توجد الأيديولوجية الاشتراكية إلى جوار الاتجاهات الليبرالية بالإضافة إلى الاتجاهات الداعية لإحياء التراث والتى ترى فى الدين إطاراً ملائماً لتوجيع الواقع الاجتماعى، غير أن الخطير فى ذلك أن هذه العناصر الأيديولوجية تستقطب أفراداً يحملون ولاء متعصباً لها، ولا تحاول التفاعل أو الحوار الداخلى فيما بين بعضها البعض، ومن ثم تستند قوتها إلى ما تستطيع جذبه من أعضاء. ومن هنا يحدث ما يمكن أن يسمى بالجماعات الأيديولوجية المتوازنة، التى ترفض كل منها تصور الأخرى بحيث يمكن أن يقود هذا الوضع إلى ظواهر عديدة كالصراع الأيديولوجى، الذى يسلم فى بعض حالاته فى النهاية إلى غياب الاتفاق الأيديولوجى المحدد المعالم.

ذلك يعنى أننا لا نستطيع أن نؤكد امتلاك البلاد النامية لأيديولوجيا محددة، ونتيجة لذلك تظهر ظواهر كثيرة كرد فعل لهذا الغياب أو التهرؤ الأيديولوجى، من هذه الظواهر فى اطار الشباب الجامعى هو تعريضه لخيارات أيدولوجية ممزقة، وظهور ا يمكن أن نسميه بالجماعات الأيديولوجية الهروبية. وفى هذا الصدد لابد من النظر إلى الجماعات ذات الانتماءات الدينية أو الجماعات اليسارية على أنها تمثل اتجاهات

هروبية(*)(٣٠)، حيث هي هاربة من حالة الفوضى الأيديولوجية تحاول أن تعثر على أطر مثالية تتولى بالنظر إليها تغيير الواقع الاجتماعى وترشيد حركتها في اطاره، بحيث تعمل فى اطار ذلك على تجميع الانصار حول هذه الأطر وترتيبها حول توجهاتها الأيديولوجية، وقد تتحين الفرص أحياناً لفرض هذا المثال أو الأيديولوجيا على الواقع الاجتماعى إن سلما بالاقناع وإن عنفا تحت طلقات الرصاص.

الظاهرة الثانية فى هذا الصدد أن غياب الثمال الذى يفرضه توجيه أيديولوجى محدد، يؤدى أحياناً إلى إنخفاض الانتماء الاجتماعى، وممارسة الحياة وفقاً لمنطق خاص، تقدس فى اطاره الغايات التى يسعى الفاعل لانجازها باستخدام أية وسائل متاحة حتى لو كانت غير مشروعية فى بعض الأحيان(**). المهم هو النجاح بغض النظر عن شرف الوسائل. مع ما يرتبط بذلك من إهدار لكل القيم والمقدسات التى لها تاريخ عريق من الاحترام فى الوسط الجامعى.

٥- الشباب والمؤسسات في المجتمع:

إذا أكد علماء الاجتماع أنه لكى يكتسب الإنسان خاصيته الاجتماعية

(*) من الواضح خفوت صوت الجماعات اليسارية وبخاصة لماركسية فى السنوات لأخيرة وبخاصة بعد إنهيار الاتحاد السوفيتى، حيث وجدت هذه الجماعات نفسها فى حالة من العرى الأيديولوجى، وأمام هذه المفاجأة - إنهيار الاتحاد السوفيتى - تشرزمت هذه الجماعات، اتجاه بعضها ليستريح فى خيمة القائلين بالعلمانية، بينما اتجه البعض لآخر إلى بعض المواقف القومية المدعاة، بينما مارس البعض الثالث نوع من النقد الاجتماعى العشوائى الذى لا يمتلك إطاراً محدداً الغريب فى الأمر الهروب السريع من الماركسية، وهجر قضاياها!!!؟

(**) من الظوهر المقلقة التى بدأت تسود الوسط الجامعى فى السنوات الأخيرة هى محاولة النجاح والتفوق استناداً إلى أية وسيلة سواء تمثلت فى الاكتفاء بالمرجع الأساسى أو حتى تلخيصه واختزاله كوسيلة سهلة وسريعة للنجاح وحتى الغش فى الامتحانات. وتعتبر الظاهرة الأخيرة من الظواهر التى أصبحت ملفتة للنظر حتى أصبحت هناك ممارسات عديدة ومبتكرة فى هذا الصدد، الشاهد على ذلك الارتفاع الجنونى لعدد حالات الغش المضبوطة فى السنوات الأخيرة.... بل لقد أظهرت بعض التحقيقات أن الأسرة كانت تشارك الشباب فى إعداد وسائل الغش.

فإنه لابد وأن يعيش في مجتمع. حيث يتواجد الأنا مع الآخرى يؤسسون علاقات وأدوار، يخلقون المجتمع بسيطاً ليتولى هو بعد التعقيد تخليقهم. يعنى ذلك أن ثمة مجتمعاً له كيانه الكلى، والفرد كجزئية يتعامل مع هذا الكل لذى شارك في تخليقه وأصبح الآن متضمناً فيه. بيد أن هذا التصور لعلاقة الفرد بالمجتمع قد تصلح لمجتمع المشاعة البدائي، إلا أنه لا يلائم البناءات الاجتماعية التى خلقتها المراحل التاريخية التالية. حيث تعقدت علاقة الفرد بالمجتمع وأصبحت إلى حد كبير غير واضحة وغير مرئية وغير مؤثرة لهذا التصور المبسط لها.

ذلك لأن هناك كما في المؤسسات أو السياقات الجزئية التى تتوسط التفاعل بين الفرد والمجتمع، ومن ثم تؤثر فيه وتتأثر به، وهى بذلك تلعب دور الوسيط الذى يعكس احتياجات الفرد أو الذى يفرض متطلبات المجتمع. فى اطار ذلك يواجه الفرد نوعين من المؤسسات النوع الأول، ويتمثل فى مجموعة مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وتضم الأسرة والمدرسة والسياق المحلى كبناء ضبطى. في مواجهة هذا النوع من المؤسسات يصادف الشاب نوعين من المعاناة الأول أنها عادة تغرس فى الشباب النماذج المثالية للسلوك الواقعى، فهى عادة ما تسمح بحرية التعبير بل وتشجع الفرد عليها، تسمح بالاختلاف مادام فى حدود ما تفرضه مراسم الاختلاف وتقاليده، نوع من الاختلاف يعمل على تفجر طاقات الابداع والتجديد فى بناء المجتمع، وأثناء ذلك تغرس فيه المثال الواجب احتذاؤه. ومن ثم فهى تشكل مرحلة غرس أدوات القياس ومحكات السلوك التى تساعد الشباب على التفاعل الاجتماعى بشكل سوى. والمعاناة التى قد يواجهها الشاب فى اطار ذلك تتعلق بالصدام الذى تتعرض له المثل والمعايير ومقاييس السلوك التى استوعبها فى الصغر مع نظائرها فى الواقع الاجتماعى، التى قد تكون متحركة أو متناقضة، ومن ثم تعكس طبيعتها كم المعاناة التى قد يواجهها الشاب فى حياته اليومية، ومن ثم تكون هذه المؤسسات منعزلة عن سياقها متقدمة عليه أو متخلفة عنه، وفى هذه الفجوة قد يقف الشاب ليتحمل المعاناة الناتجة عن هذا الإنفصال.

النوع الثانى من المعاناة التى قد يتعرض لها الشاب بالنظر إلى هذه المؤسسات، يتمثل فى عجز هذه المؤسسات ذاتها عن فرض النموذج أو تأسيس ضوابط تكون منهارة، حيث النزعة الفردية كما هو الحال بالنسبة للأسرة فى المجتمعات المتقدمة، أو حينما تكون شديدة التماسك والصلابة بحيث تفرض نماذج جامدة على أنماط كالأسرة فى المجتمعات الأشد تخلفاً. وفى الحالتين لا تلعب هذه المؤسسات دوراً فعالاً فى تأهيل الفرد بالمتطلبات الحقيقية الملائمة للتفاعل مع الحياة الاجتماعية.

أما النوع الثانى من المؤسسات : فهى تلك التى نطلق عليها مجموعة المؤسسات القومية الحاكمة أو مؤسسات الدولة شعبية كانت أو سياسية. وفى الحقيقة أصبحت مؤسسات الدولة الحديثة تمثل فى حد ذاتها مشكلة عالمية بالنسبة للفرد فى المجتمع والشباب بصفة خاصة. فهذه المؤسسات أصبحت من الضخامة بحيث لا يستطيع الفرد أن يحاول مواجهتها ومن ثم يظل الفرد فى حالة خوف وقلق دائم من إمكانية سطوتها عليه. خوف على حريته من أن يعبر أو أن يكون مضمون التعبير متناقضاً وخوف من الاغتراب الذى قد تفرضه هذه المؤسسات عليه بما يظهر طاقات الإبداع فى ذاته. كأن تحاول فرض منطق فكرى أو وصاية أيديولوجية معينة، ومن ثم تقلب تفكيره فى قالب معين قد لا يتلاءم مع بناء شخصيته، لكن يتلاءم مع أهداف هذه المؤسسات.

ذلك يفسر قلق الشباب وتوتره وربما إنفجاره رافضاً هذا الوضع المفروض عليه. وذلك يفسر أيضاً هذا الموقف الحاد الذى يقفه الشباب من المؤسسات الحاكمة فى المجتمع أو من الذين يتولون مقاليد أمرها. بحيث تتنوع أسباب الرفض بين الخوف على تحقيق تصورهم للمستقبل فى ظل المؤسسات، أو إدراكهم لعدم ملاءمة اتجاه وطبيعة التغير الذى تفرضه هذه المؤسسات ومن ثم تحدث إنفجارات عديدة قد يتخذ الإنفجار شكل النقد العنيف لها أو حتى تحديها لها، أو تحدياً. وحين اليأس وفقدان الأمل يصبح

الهروب إلى جماعات هروبية ساكنة ومنعزلة أو متحدية مشروعاً لكونا تفرض ما هو ملائم للتصور الشبابى.

٦- الهوة بين المثال وتجسدات الواقع :

الحالة المثالية فيما يتعلق بحياة الشخصية فى السياق الاجتماعى أن يحدث تطابق بين النماذج وأنماط السلوك التى استوعبتها الشخصية فى مرحلة التنشئة وبين تجسداتها فى الواقع، بيد أنه قد تحدث إنحرافات عن هذه الحالة المثالية، كان يتخلق تناقض أو إنحراف بين المثال تجسده الواقعى، قد لا يعى ذلك الصغار، لأنهم لم يصلوا بعد إلى مستوى التفاعل الاجتماعى المسئول، وقد لا يهتم به الشيخ لأنهم قد يكونوا هم المسئولون عن ذلك. يبقى الشباب، وهم المرحلة العمرية التى تواجه واقعها بمثلها، ومن ثم فهى تعيش مرحلة تجريب أو بالأصح بحثاً دائماً عن اليقين، ولذلك فهى عادة ما تكون الأكثر قدرة على أدراك التفاوت بين المثال والواقع. ومن ثم يتولد لديها قلق وتوتر يتعلق أساساً بما ينبغى أن يكون عليه التفاعل. ونتيجة الخبرة بهذا التفاوت تتجه إلى الرفض لحركتها الاجتماعية، بيد أن الرفض لا ينصب على القيم الأساسية، وإنما ينصب على تجسدها الواقعى. ومن ثم، فهو ليس إلا مطالبة بعودة هذه القيم إلى شكلها المثالى.

إذ تلاحظ عند الشباب حيرة بين النموذج الذى ينبغى تمثله أو الذى يجب احتذاؤه لكى يحقق طموحه وبين كفاءة تجسده فى الواقع، وهل إذا تمثل النموذج أو احتذاؤه، فهل سيساعد ذلك على تحقيق طموحه؟ هل الأفاق مفتوحة لذلك؟ المؤكد أن الحياة المصرية كان يسودها فى فترة سابقة نموذجان، النموذج الفردى، والنموذج الاشتراكى، النموذج الفردى يتأسس على قهر المزاحمين فى ساحة الصراع. بينما يفترض فى النموذج الاشتراكى تأكيداً على عدالة التوزيع والمشاركة. ويحدث الخلط حينما نكتشف أن هناك غموضاً يتعلق بالنموذج الذى يجب أن نحتذيه وذلك الذى يجب أن نرفضه. فالتعليم مثلاً يؤكد على المنافسة للحصول على المجموع

وهو فى ذلك يدعو إلى احتذاء النموذج الفردى، بينما محتوى التعليم ومضمونه كان إشتراكياً. ذلك قد يسبب نوعاً من الخلط قد يسهم فى فساد القضية وفى أقلها احتمالية سوف يجعلها تعيش فى بيئة محيطة متخمة بالتوتر. حينما أصبح واقعنا الاجتماعى يعيش بدون نموذج نسعى إلى تجسيده، فلا وجود للنموذج الاشتراكى بعد أن دخل المجتمع تجربته الليبرالية، والنموذج الفردى مطروح بصورة مشوهة. والنتيجة أننا نعيش حالة من الفراغ تهدد بأن ينفرط عقد المجتمع، مؤثرات ذلك ارتفاع معدلات الجريمة، وتعاطى المخدرات.

وأمام الحيرة والخلط بين النماذج والتوترات الناتجة عن ذلك، تقع عدة ظواهر فى المجال الشباب، وكلها تشير ألى أن ثمة بحيث عن نموذج يرغب الشباب تمثله، واحتذاؤه ويلقى موافقة اجتماعية. فقد يرفض الشباب ابتذال القيم الأساسية، ومن ثم يبرز نداء بالعودة لهذه القيم الأساسية فى شكلها المثالى، يتجلى ذلك فى اتجاه الشباب نحو الارتباط بجماعات ذات صبغة دينية، أو ذات منطلق أيديولوجى معين. وفى هذا الاطار لا يجب أن نسمى ذلك هروباً إنحرافياً كما قد يحلو للبعض تسميته، ولكنه اتجاه إيجابى ينجزه الشباب بحثاً عن القيم فى أصولها ومراجعها النقية، قد تختلف منطلقات واتجاهات الشباب فى ذلك، إلا أن الحافز أو الدافع يظل دائماً هو البحث عن المثل فى صيغتها الأساسية، نقية تختلف عما يراه منحرفاً فى بيئته المحيطة.

فإذا لم يكن الشباب على قدر من الرشد الذى يؤهله البحث عن المراجع النقية فأنه يتجه عادة إلى الكفر بالمثل الكائنة، ونتيجة لذلك فقد يتجه عنيفاً ومحتجاً إلى التطرف وتبنى قيماً قد يراها المجتمع منحرفة، إلا أنها دائما مجالا نقيا وطاهراً يندف إليه الشباب، هروباً من المعاناة التى يواجهها، نتيجة لإفتقاده أكثر الطرق سلامة لإلغاء مصادر التناقض.

٧- الرفض كظاهرة شبابية معاصرة :

لا شك أنه قد وقعت مجموعة من الأحداث التى ميزت مجتمعنا

الإنسانى المعاصر وأثرت على طبيعة تفاعله. فقد أدى تأسيس الثورة العلمية والتكنولوجية ومن ثم إندفاعها بمعدلات متوالية هندسية إلى إلغاء البعد المكانى بين مختلف السياقات الاجتماعية المحلية وترتيباً على ذلك لم يعد غريباً تواجد تجمعات قد تتباين فيما بينها محلياً إلا أنها تخلق تجانساً فيما بينها على المستوى العالمى. بيد أن تزايد السرعات التى انطلق عقالها منذ عهد مجموعة الثورات السياسية والعملية والتكنولوجية أدى إلى طرح كم هائل من المتغيرات فى اطار واقع التفاعل الاجتماعى بحيث انتفت قاعدة الثبات التى يمكن للشباب مثلاً أن يؤسس على أساسه تنبؤاته بشأن المستقبل. ونتيجة لذلك فقد تولد لديهم قلق وتوتر بشأن المستقبل والقضايا المتعلقة به. قد تختلف القضايا وفقاً للسياقات المحلية إلا أنه يظل مؤكداً أن هناك قاسماً مشتركاً بين الشباب على المستوى الإنسانى، الكل لا يعرف إلى أين هو ذاهب، ومن شأن هذا القلق أن يبرر منطق الرفض إذا أحس الشباب أن الشيوخ ليس لديهم نفس توترهم أو قلقهم بشأن المستقبل. ومن هنا يتفجر الرفض لعدم مراعاة حقه فى أن يعلم ألى أين يسير، رفضاً لادراكه أن الجيل المسيطر مسايراً لما يجرى ولا ينتبه الانتباه الكافى لهذه الطفرات التى تتلاحق، والتى سيكون الشباب ضحية لها إذا لم يكن ثمة تخطيط يحدد بوضوح نقطة بدء الانطلاق وإمكانات الإنجاز والنتائج المتوقعة.

هذا الرفض قد يأخذ شكلين، الأول صريح يعلن فى اطاره الشباب أن الشيوخ ليس لديهم الانتباه الكافى لحركة الحاضر والمستقبل، ولذلك فإن لهم الحق فى رفض قيادة الشيوخ للمجتمع. بذل يصبح رفضهم رفضاً لمنطلق الوصاية أو القولية التى قد تفرض من أعلى (من الخارج على حركتهم). وقد يتخذ الرفض أيضاً طلباً إيجابياً معلناً من أجل المشاركة فى دراسة القرار وإصداره ماداموا هم متحملوا تنفيذ هذا القرار.

الشكل الثانى للرفض هو الشكل السلبى، حيث يحيا الشباب فى إطاره مواطنين بلا وطن، مهاجرين فى أوطانهم. وهنا لا تكون الهجرة بمعناها

الخـارجى، أعنى أن يسـافـر إلى الخـارج. ولكن تتـأسس الهـجـرة كـفكرة وأيديولوجيـة إن صح هذا التعبير، إذ يعيش الشاب بعقلية المهاجر داخل الحدود، يقطع أثناء ذلك كل ارتباطاته بهذا الوطن، فهو يعيش بشكل قسرى فى اطاره، لاحساسه بأن هذا المجتمع لا يوفر ه فرص الطموح وإمكانية المشاركة. وتستمر هذه الطاقة إلى أن تتحول الهجرة المعنوية إلى هجرة فيزيقية حقيقية، حيث أوطان فيها الفرص وفيها إمكانيات تحقيق الطموح[٣١].

خامساً : الشباب والعلاقة بالمجتمع (خاتمة):

استعرضنا فى الفصل الأول طبيعة المتغيرات المؤثرة فى عالم الشباب. سواء كانت ذات طبيعة عالمية أو محلية أو انطلقت من الثقافة العامة للمجتمع. ويشكل الفصل الثانى استعراض لطبيعة فاعلية مختلفة النظم الاجتماعية مختلفة النظم الاجتماعية وتأثيرها على تنشئة الشخصية الشابة، ثم مدى تكيف الشخصية الشابة، مع واقع المجتمع من خلال مشاركته فى تفاعل مختلف نظمه. وفى هذا الفصل حاولنا التركيز على الشخصية الشابة ذاتها، باعتبارها نتاجاً للتفاعل مع متغيرات النظام العالمى من ناحية ونظم المجتمع ن ناحية أخرى، بيد أننا إذا تأملنا موقف الشباب من بناء المجتمع، فإننا سوف نجد أنه قد ظهرت بعض الظواهر الشبابية فى الفترة الأخيرة، هى نتاج للتفاعل الذى بدأ يسود المجتمع، وإن كانت هذه الظواهر سوف تؤثر بدورها على أوضاع المجتمع.

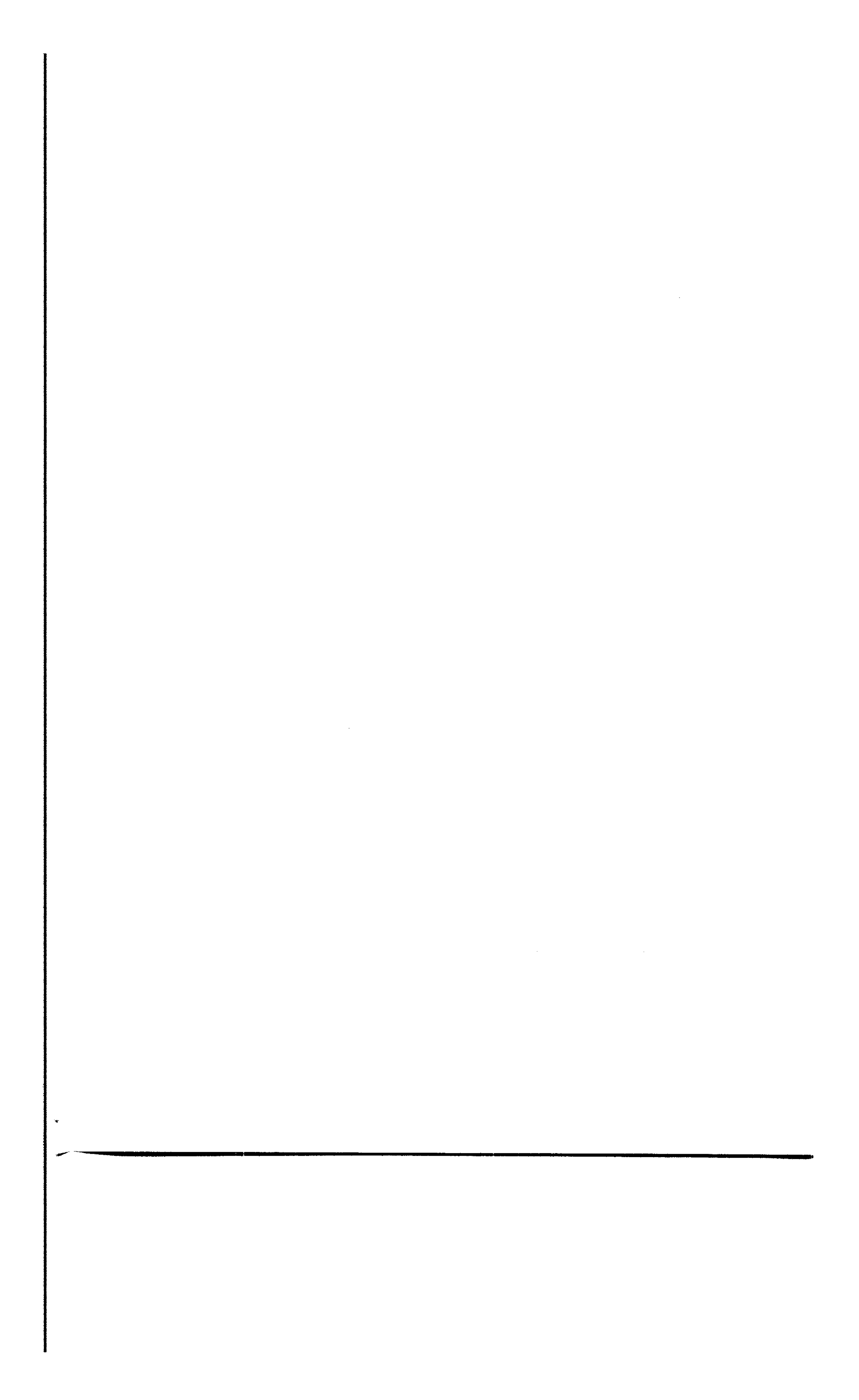
ويعتبر التكيف الفائض – قياساً على القهر الفائض – من الظواهر التى بدأ يشهدها واقعنا الاجتماعى فبرغم قصور الواقع الاجتماعى عن إشباع الحاجات الأساسية للشباب، نجد أن الشباب خاضعاً متكيفاً. فقد أصبحت فرصة العمل نادرة بالنسبة للشباب، واستناداً إلى غياب فرصة العمل، تغيب إمكانية لدخل أو يتدنى مستواه. وبغياب هذين العنصرين يواجه الشباب مشكلات الإسكان، حيث يفتقد المسكن الذى يستقبل فيه ويقود حياة مستقرة،

يصبح من الصعب عليه أيضاً أن يحاول تشكيل أسرة لاستحالة الحصول على مستلزماتها. برغم ذلك فهو متكيف مع واقعه ولا يرفضه، يستوعبه تدريجياً، غير زن ذلك لا يعنى أنه راض عن واقعه، بل رفض صامت، يعمق هذا الرفض عمق الحرمان الذى يواجهه، الذى أسقطه إلى ما دون خط التمرد أو الثورة، حيث انتفاء الطموح الذى يعنى القدرة على التجاوز. ومن ثم فالمعتقد أن شبابنا يعيش اليوم حالة من اليأس العام، تخدره الظروف أو بالأصح تقتل فيه إمكانية التمرد، غير أنها إذا وجدت، فإن حركة قطاعات الشباب الساكن سوف تكون أكثر ضراوة وأكثر قسوة، تحتاج قطاعات الشباب فقط إلى من يرفعها معنوياً إلى مستوى خط التمرد والثورة والقدرة على الطموح.

من الظواهر التى أصبحت تحتل مساحة عريضة فى حياتنا، ظاهرة الهجرة، سواء تلك الدائمة أو المتجهة إلى مجتمعات النفط، حيث أصبحت الهجرة حلماً فرديا يحل محل الهدف القومى العام. وهى هجرة من نوع خاص لكنها تقتل فى الإنسان أقوى الروابط بالوطن. من هنا تواجدت شريحة من الشباب لا تعرف الحنين إلى الوطن وهى فى الخارج. ذلك أنها فى وطنها كانت محرومة من الشباع، وفى قلب الحرمان يتولد الشوق إلى حلم الهجرة الوردى، فإذا امتلك الشاب الفرصة فإنه يتسارع إليها فرارا من أرض خراب. ولذلك آثاره على كل من الفرده والمجتمع. فلها آثارها على المجتمع لأن أكثر أبنائه تأهيلاً يفرونه، ولها آثارها على الفرد، لأنها تخلع من بناء شخصيته أية مشاعر إيثارية أو غيرية، كذلك تقتل فيه القدرة على التضحية والفداء.

وتعتبر ظاهرة إدمان المخدرات من الظواهر التى بدأت تلقى رواجاً فى مجال الشباب، وإذا أردنا فهماً علمياً وموضوعياً لهذه الظاهرة فينبغى أن نتجه مباشرة إلى النظام الاجتماعى والسياسى لذى تقع عليه مسئولية انتشار هذه الظاهرة، فأمام الواقع الصعب، الذى يعجز فيه الإنسان عن تحقيق ذاته وطموحاته، وأمام عشوائية حركة النظام الاجتماعى، يصبح الهروب من

هذا الواقع هو الحل. أحياناً للبحث عن عالم خيالى تشبع فيه كل الحاجات، أو ينسى الشباب من خلاله مشاعر الحرمان. وأحياناً يكون نوعاً من الانتحار الذاتى الذى يبدأ فردياً لينتهى جماعياً حينما تتخرط أعداد كبيرة من الشباب مشاركة فى هذه الظاهرة. قد يكمن علاج هذه الظاهرة فى تناول الشباب المدمن بالعلاج أو فى محاربة جلب أو انتشار المخدرات. غير أن الجهد الحقيقى الذى ينبغى أن يبذل يتعلق بالنظام الاجتماعى والسياسى القائم أساساً. لابد من حلم قومى أو مشروع قومى يتعلق به الشباب ويبعث فى نفوسهم الآمل، والحركة إلى المستقبل بثقة، لابد أن يؤسس النظام السياسى تنمية حقيقية تنظم توزيع البشر فى اطار عملية الإنتاج. بذلك تتخلق فرص لعمل، والدخول والحد الأدنى من إشباع الحاجات الأساسية، وهى كلها إشباعات تعيد دعم الروابط العضوية بين الفرد والمجتمع.



المراجـــع

١- على ليلة : الشباب والمجتمع، ملامح الإنفصال والاتصال، المؤتمر الدولى الثانى للإحصاء والحسابات اعلمية ١٣-١٤ أبريل، ص ١٨٢ .

٢- نفس المرجع، ص ١٨٣ .

3- Flacks, R. : Youth and Social Change. Markham Publishing Company Chicago, 1971. P. 22.

4- Ibid, P. 30.

5- Orum, A. M. : Introduction to political Sociology, The Social Anatomy of the Body Poltitc. Prentic - Hall. INC. Englewood. New Jersy. 1982. P. 113.

6- Parsons, T. & Platt G.M. : Age, Social Structure and Socialization Higher Education. Sociology of Education Vol. XLIII, wenter, 1970. P. 37.

7- Ibid, P. 38.

8- McClland, D.C. : The Acheiving Society. Prinseton N.S. van Nostrand, 1961. P. 28.

9- T. Parsons & G. M. Platt : Op, Cit., P. 142.

10- Zolbery, A, : Youtha as a PoliticaL Phenmomenon in Tropical frica. 1969, PP. 198.

11- Richard Flacks: Op. Cit., P. 28.

12- Ibid, P. 39.

13- Ibid, P. 39.

14- Ibid. P. 44.

١٥- على ليلة ك مرجع سابق ص ١٧٦ .

١٦- نفس المرجع. ص ١٧٧ .

١٧- نفس المرجع. ص ١٧٨ .

١٨- نفس المرجع. ص ١٧٩ .

١٩- على ليلة : الشباب المصرى وقضاياة من وجهة نظر المثقفين المصرين. منشورات المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٠، ص ٥٦ .

٢٠- على ليلة: الشباب والمجتمع، ملامح الاتصال والانفصال. مرجع سابق، ص ١٧٧ .

٢١- نفس المرجع، ص ١٧٨ .

٢٢- نفس المرجع، ص ١٧٩ .

23- Richard Flacks: Op, Cit., p. 18.

٢٤- على ليلة: الشباب والمجتمع، ملامح الاتصال والانفصال، مرج سابق، ص ١٨١ .

٢٥- نفس المرجع. ص ١٧٩ .

٢٦- محمد على محمد : الشباب والمجتمع، دراسة نظرية وميدانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية - ١٩٨٠-١١٣ .

٢٧- على ليلة: الشباب المصرى وقضاياه من وجهة نظر المثقفين المصريين، مرجع سابق، ص٥٧ .

٢٨- نفس المرجع. ص ٥٧ .

٢٩- على ليلة : الشباب الجامعى، اهتماماته ومشكلاته، ندوة التعليم الجامعى، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨١، ص ص ١٢٤ - ١٢٥ .

